# صدى الحرب العاصفة

## صدى الحرب على العراق في الساحة الدولية
## ومراجعة وتقويم لكتاب تحت رماد الحرب العاصفة
## الذي نشر في أعقابها وصداه الإعلامي

## وأهم الموافقات التي أكدتها الأحداث التي تلت الحرب وأسرارها الخفية


## علاء الدين المدرس



دار الرقيم للنشر والتوزيع/ دار النمير للنشر والتوزيع

بغداد- دمشق

١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

دار الرقيم للنشر والتوزيع/ دار النمير للنشر والتوزيع

بغداد- دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾

سورة التوبة/ ١٩



# الإهداء

إلى القارئ العراقي والعربي وإلى المخلصين والمنصفين منهم، عسى أن تضيف ذاكرة الحرب العاصفة وصداها شيئاً إلى ما وصل إليهم عنها.

إلى الآخر ممثلاً بالمخالفين في الرأي والقناعة في شرعية هذه الحرب ومنطقيتها من الأخيار، لكي يتسع صدرنا لجميع الرؤى والاجتهادات.

وإلى الآخر الذي ينبغي أن نؤمن بوجوده وبرأيه ودوره المعارض مهما كان مغايراً لما نفكّر به ونعتقد.

إلى الدول والشعوب المحيطة بالعراق وقد ذاقوا بعضاً مما لم يحسبوا حسابه وفق قانون التدافع وبأس الباطل وغدره، ومبدأ عقر الناقة وهتك الشرعية الدولية بالاحتلال والاغتصاب، بغض النظر عن الحجج والدوافع والمسوغات..

إلى مبغضي صدام ومحبيه في العراق وخارجه.. عسى أن يقتنعوا أخيراً أن عهد صدام قد ولّى – بعد انهيار نظامه ومقتل ولديه واعتقاله- بكل ما فيه من ظلم واستبداد وقوة وسيادة وأمن، وإن عهد العولمة والأمركة وتقهقر السيادة والاستقلال واختلاط الأوراق ومحاولات طمس الهوية والثقافة لدى الأمم.. هو العهد الباقي في العراق والمنطقة وحتى حين..

وإلـى المبهـورين بـالقوة وغطرسـتها والـداعين إلـى الاستسـلام والرضـوخ لصوت القوة المتجبرة.. لكي يتذكّروا أن زهو الباطل غثاء وأنـه سيزول، كمـا زالـت إمبراطوريـة بريطانيـا العظمـى، التـي كانـت لا تغـرب عنهـا الشمس، وإمبراطورية هتلر فـي ألمانيـا واستالين فـي روسـيا وغيرهـا مـن الإمبراطوريات، التي زالت حين هرمت وحادت عن منـهج الحـق والعدل والخير.. وقد نرى يوماً ليس ببعيد، في إمبراطوريـة أمريكـا الحاليـة، كيـوم المغول الذين دمّروا بغداد -قبل قرون- ثم أعـادوا بنـاءها حين عـادوا إلـى الحق ودخلوا في دين الله أفواجا..

ولعـل صـدى الحـرب العاصـفة والظالمـة سـيلتقي يومـاً مـع صـدى الحـق والخير والسلام، بعد أن تشـرق الشـمس من جديـد علـى العـالم وهـو يعـيش حياة العدل والأمن والحرية الحقّة.

# الفهرست

**الموضوع** **الصفحة**

# المقــدمة

لقد تميّز كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة) بسرعة إخراجه ونشره، فقد كان أول كتاب يتكلم عن الحرب العراقية الأمريكية ليس في العراق فحسب بل ربما في العالم أيضاً.. فقد ظهرت أول مسودة نهائية للكتاب بتاريخ ٢٠٠٣/٥/٦ أي بعد ثلاثة أسابيع فقط من الشروع في كتابة الكتاب في تلك الظروف الاستثنائية الصعبة التي تلت الحرب، وكنت قد شرعت في كتابته يوم الاثنين ٢٠٠٣/٤/١٤ ثم استطعت أن أطبع بضع مئات منه بطريقة الاستنساخ خلال الأسبوع الرابع، حيث تم توزيع كمية منها في ٢٠٠٣/٥/١٣ في جامع الإمام الأعظم بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي، ثم طبعت في تلك المرحلة الخطيرة من تاريخ العراق ٣٠٠٠ نسخة (طبعة أوفست ذات غلاف ملون عبّر عن موضوع الكتاب بشكل متميّز) والتي سرعان ما نفذت خلال أسبوعين، فأخرجت الطبعة الثانية المنقّحة في مطلع حزيران وبكمية مضاعفة والتي انتشرت في بغداد ومعظم المدن العراقية لاسيما بغداد والرمادي والموصل وكركوك والنجف وكربلاء والحلة والبصرة، كما وصلت خلال مدة قياسية إلى الدول العربية وبقية دول العالم لاسيما سوريا والأردن ومصر والخليج وإنكلترا وأمريكا وفرنسا وألمانيا واستراليا وماليزيا وغيرها. إن هذه السرعة التي طبع فيها الكتاب والكمية الكبيرة التي تم تسويقها خلال

الأشهر القليلة التي تلت الحرب، واعتماد الكتاب على أكثر من خمسين شاهد عيان عراقي عاشوا أحداث الحرب كان على رأسهم المؤلف، وظهوره في تلك المرحلة الحرجة والخطيرة التي كان الإعلام العراقي الرسمي قد اختفى فيها من البلد بكل مؤسساته وأجهزته بشكل كامل، والتي عاش العراق في ظلها في ظلام سياسي وإعلامي وأمني دامس، فضلاً عن انهيار كافة الخدمات الأخرى بسبب سقوط النظام وتبخر أجهزته ورموزه ومؤسساته وانتشار قوات الاحتلال في بغداد وباقي مدن العراق، وانتشار أعمال السلب والنهب والحرق التي عمّت البلد كله لاسيما العاصمة.. كل ذلك يجعل لهذا الكتاب –برأيي- أثر قوي في التخفيف من شدة الظلام والعتمة الإعلامية التي خلفها الاحتلال، ودور مهم في إعطاء صورة تقريبية للمواطن العراقي عما حصل خلال أيام الحرب وأثر العدوان الأمريكي على البلد وتصوير الدور البطولي والصمود الشجاع للشعب الصابر خلال أسابيع الحرب الثلاثة، ومواكبة أعمال السلب والنهب والانفلات الأمني التي تلت الحرب، مما ولّد نوعاً من التفاعل الجمعي النفسي والاجتماعي والإعلامي لدى الكثير، وخفّف من حالة الذهول والإحباط التي ذاقها الشعب وتجرّع مرارتها بعد ذلّ الاحتلال الذي لم يكن لهذا الشعب أن يستمرأه ويستسيغه مهما كانت الظروف والمبررات. ومع ذلك وبسبب المفاجأة في سرعة إخراج الكتاب بعد شهر واحد من سقوط بغداد، فقد أذهلت المفاجئة البعض

وربما داخلهم بعض الشك والظن في دقّة المعلومات التي كتبت والأحداث التي سطّرت، لاسيما بعض المنكسرين الذين كان طعم مرارة الهزيمة لا يزال في داخلهم ونفوسهم بعد انفراط عقد الجيش وتسريحه وإلغاء مؤسساته بقرار متعسّف من سلطة الاحتلال، وبعض المروّعين الذين هربوا من بغداد قبيل السقوط وتركوها عرضه للاحتلال والسلب والنهب نجاة بأنفسهم وأطفالهم، بسبب شدّة الحرب النفسية التي مارستها قوات الاحتلال وبمساندة الإعلام الأمريكي المتحيّز المسيطر وبسبب تخلف وهوان الإعلام العراقي، وكذلك بسبب سياسة الردع المتعمّد للإعلام العربي والأوربي المحايد والمتعاطف مع الشعب العراقي.. كل ذلك جعل البعض يحاول التشكيك في مدى صحة المعلومات الواردة في الكتاب لاسيما الفصول التي حاولت تصوير المعارك والأحداث المتسلسلة وصمود الشعب في المدن والقرى والبوادي أمام الآلة العسكرية الضخمة والماردة لأعتى قوتين في الأرض اليوم وتصوير خسائر العدو وتفاصيلها حسب رواية شهود العيان من العسكريين والمدنيين، وربما كانت هذه النقطة بالذات.. نقطة الخسائر البشرية في الحرب والتي قدّرها شهود العيان العراقيون بحدود عشرين ألف قتيل وثلاثين ألف جريح من قوات التحالف، والتي أخفاها المحتلون ولم يعترفوا ألا بجزء يسير جداً لا يقارن مع تلك الأرقام، هي المفارقة أو الرواية الغريبة الرئيسية في الكتاب التي لم يستطع البعض استيعابها

بسبب الثقة العمياء برواية الخصم والخضوع والاستسلام للإعلام الأمريكي، والهزيمة النفسية أمام عقدة التفوق الغربي، فضلاً عن أثر زلزال الاحتلال ومفاجأته لبعض النفوس التي كانت تحت تأثير نارين هما مطرقة الاستبداد والدكتاتورية وسندان الاحتلال المذل. والآن وبعد مضي أكثر من تسعة أشهر على إخراج الكتاب وصدوره وانتشاره في الآفاق، ورغم أن نسبة هؤلاء المتشككين المنهزمين أمام بهرجة القوة والتكنولوجيا قليلة، لاسيما الآن وبعد اشتداد المقاومة ضد الاحتلال وضخامة الخسائر البشرية التي واجهها التحالف التي جاوزت خسائرهم في حرب فيتنام خلال السنتين الأولى في مطلع السبعينات، وبعد أن ثبت لأمريكا والعالم أجمع أن قوات التحالف قد دخلت المستنقع العراقي وغرقت فيه فعلاً حتى بات التحالف يستجدي دعم الدول الأخرى ومساعدة منظمة الأمم المتحدة للخروج من المأزق العراقي ومن حمام الدم والفتنة والفوضى السياسية والأمنية والعسكرية التي باتوا يواجهونها كل يوم، وأصبح العراق كما صرّح الرئيس الأمريكي بوش بؤرة استقطاب وملجأ للإرهابيين من كافة أنحاء العالم ولكل من له ثأر أو خصومة مع أمريكا يريد تصفيتها معها، وأصبح الجندي الأمريكي يواجه خطر الموت والمداهمة في كل لحظة، بل إن شعوره القاتل بخطر التصفية والتفجير أصبح يقتله كل لحظة، وأصبح الوضع النفسي والمعنوي متردّياً للجنود الأمريكان في قوات التحالف المنتشرة في

العراق من البصرة حتى الموصل، بل إن هذه الحرب قد أتت على الوضع الأمني في العالم أجمع وقوّضت دعائم الأمن والسلام العالمي بسبب السياسة الرعناء والجهل الأمني والعسكري الذي تخبّط فيه بوش وحزبه الحاكم ومن ورائهم الصهاينة الذين تمنوا أن يحكموا العالم ويضعوا يدهم على مقدراته بعد هذه المجازفة الغبية، وبعد أن أقنعوا إدارة بوش بضرورة احتلال العراق وصوروا لها فوائده وثماره وفق الأحلام الوردية التي كان من المفترض أن يفتح العراق أبوابه –في ظلها- للشركات العملاقة والقوى المالية والسياسية المتحالفة مع الصهيونية، فما وجد هؤلاء غير أبواب الجحيم قد فُتحت لهم بعد تجاوزهم على الشرعية الدولية وتورطهم في ذلك المستنقع الآسن وهذا البركان المتأزّم سياسياً وعسكرياً، والذي سيأتي على حكومة الصقور في أمريكا وحلفائها بالفشل والخسران المبين.

## موافقات وتوقعات الحرب العاصفة:-

للوهلة الأولى ومن خلال نظرة فاحصة ومقارنة لما ورد في الكتاب وما جرى من أحداث ونقل من أخبار عن الحرب وتداعياتها خلال الأشهر التي تلتها، نلمس أن العديد من التوقعات قد تحققت، ونجد أن أكثر من ٢٠ حقيقة ورواية ذُكرت في الكتاب تطابقت مع الواقع ومع

ما تناقلته القنوات الإعلامية والمراكز البحثية والإخبارية العالمية فيما بعد، بما يمثّل نوع من التوافق والتطابق بين ما ذهب إليه الكتاب وكشف عنه وبين الواقع بما يُشبه السبق والتوقع الصحفي لما أكدته الأيام والأشهر التي تلت الحرب، بدءاً من تأكيده خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل إلى استخدام قوات التحالف للأسلحة المحرمة كالسلاح النووي التكتيكي الصغير (المحدود) الذي استخدم في مطار بغداد لحسم المعركة ودخول بغداد وانتهاءاً باعتراف قوات التحالف بتورطهم في دخول المستنقع العراقي المهلك واعترافهم بكثرة الضحايا والخسائر، والانفلات الأمني المريع والاضطراب الذي عم العراق بأجمعه اليوم.. والجدير بالذكر أن الكونجرس الأمريكي وافق في أيلول الماضي على تصنيع قنابل نووية صغيرة بعد نجاح تجربتها في العراق، وفي ذلك تأكيد على عدم تردد أمريكا في استخدام الأسلحة المحرمة عند الضرورة، كما حدث مع اليابان وفيتنام وإقليم كوسفو وغيرها.. وهذا بحد ذاته يعد منهجاً بربرياً مقوّضاً للسلام العالمي، وهو بحاجة إلى وقفة دولية حازمة بوجهه لفضحه وردعه..

ونذكر أدناه أهم الموافقات والتوقعات التي جاءت في الكتاب والتي توافق صداها مع الأحداث التي تلت الحرب:-

١. شجاعة الشعب العراقي وبسالته في رفض الاحتلال واستمرار الصمود والمقاومة.

٢. عدم وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق، وكذب الدول والجهات التي روّجت لها وتزييفها وتضخيمها عن قصد للمعلومات التي زودت بها إداراتها لتبرير الحرب.

٣. عناد صدام وعنجهيته واستبداده وشجاعته وإصراره على التصدي رغم الاندحار في الحرب وحتى لحظة اعتقاله بعد تخديره وربما خلال سجنه أيضاً.

٤. استخدام أسلحة مجهولة ومحرّمة لحسم معركة بغداد كالسلاح النووي التكتيكي في المطار أو قنابل المايكروويف والقنابل الإشعاعية والصوتية الارتجاجية والحارقة وغيرها في معارك الناصرية والنجف وبغداد قبيل السقوط.

٥. جسامة الخسائر الأمريكية ومحاولة إخفائها بواسطة فرق الإنقاذ المتطوّرة، ووجود عدد كبير من الجنود المرتزقة في الجيش الأمريكي.

٦. أعمال السلب والنهب ومن وراءها وسرقة المتحف العراقي وآثاره ومنها جدارية السبي البابلي لليهود التي تصوّر سجود ثلاثة آلاف يهودي أمام ملك بابل الشهير نبوخذنصر، حيث وصلت الجدارية إلى تل أبيب مع آثار أخرى بعد شهر من انتهاء الحرب.

٧. صحة قصة إسقاط الطائرة السمتية الأمريكية بسلاح خفيف (بندقية البرنو الألمانية) على يد الفلاح العراقي علي لفتة المنكاش، كما أكدّت قناة أبو ظبي بعد أربعة أشهر من الحرب في برنامج حرب الصحاف

على لسان مقدم البرنامج جابر عبيد ومحمد سعيد الصحاف وزير الإعلام العراقي.

٨. انهيار شعبية بوش وبلير بعد نهاية الحرب وتدنّيها إلى أدنى مستوى لها في شهر نوفمبر ٢٠٠٣م بعد فشلهما في تبرير الأكاذيب والفضائح السياسية والأمنية التي انهالت عليهما بعد فضيحة مدير المخابرات الأمريكية جورج تينت حول كذب خبر اليورانيوم المباع للعراق ومقتل خبير الأسلحة البريطاني ديفيد كيلي في أيلول.

٩. ظهور القطب الأوربي المعارض للعدوان واللاشرعية الأمريكية وازدياد المطالبة الدولية بالعودة إلى الشرعية وتسليم الملف العراقي إلى الأمم المتحدة والشعب العراقي، والاتفاق بين سلطة الاحتلال ومجلس الحكم الانتقالي العراقي على نقل السلطة في ظل تغيير مفاجئ في سياسة الرئيس الأمريكي بوش الستراتيجية بسبب تصاعد وتيرة المقاومة العراقية وانخفاض شعبية بوش، وذلك في ٢٠٠٣/١١/١٥ والذي حدد موعد نقل السلطة إلى العراقيين في٢٠٠٤/٦/٣٠م.

١٠. ازدياد العنف والإرهاب في العالم وفق مبدأ رد الفعل بسبب سياسة الرئيس بوش وحزبه المتجبّرة وغير العقلانية في معالجة الأمور السياسية في العالم والتحيّز ضد العرب والمسلمين، مما ولّد تياراً داخل أمريكا يدعو إلى نبذ سياسة الحرب والردع الوقائية وسياسة الدعم اللامحدود لإسرائيل واتهام المسلمين بالإرهاب والتطرف، ونبذ سياسة

التعسف المتغطرسة التي جعلت أمريكا دولة كريهة ليس في العالم العربي والإسلامي فحسب وإنما في أوربا والعالم أجمع، وقد تبنى بعض قادة الحزب الديمقراطي هذا التوجه السياسي المناهض للحرب والعدوان، كما لمسنا في تصريحات المرشح الديمقراطي جون كيري الأخيرة، في التنافس الدائر بين الجمهوريين والديمقراطيين حول انتخابات الرئاسة الأمريكية المقبلة.

١١. انقلاب السحر على الساحر للأطراف التي تحالفت مع أمريكا وبريطانيا، من خلال تجاهل أمريكا لمصالح تلك الدول وحقوقها الفترضة، بتجاهل القرارات والعهود السابقة، وكذلك احتمال إقامة دولة عراقية موالية للنفوذ الأمريكي تخدم المصالح الأمريكية مما ينتج عنه بداهةً تجاهل المصالح الكردية والتركية والإيرانية والعربية إذا ما تعارضت مع المصلحة الأمريكية.

١٢. إن دوافع الحرب الأمريكية في العراق تكتيكية وإستراتيجية متعددة، تبدأ من السيطرة على ثروات العراق وفي مقدمتها النفط والزئبق الأحمر وموارد الطاقة الأخرى، ثم الهيمنة على نفط الخليج، وضمان الأمن الإسرائيلي الأبدي، والحصول على قواعد ومواقع عسكرية إستراتيجية مهمة للتمهيد لعولمة العالم العسكرية والسياسية والاقتصادية، والسيطرة على مقدرات أوربا واليابان والصين والعالم

والهيمنة عليها، تمهيداً لإعلان النظام الدولي الجديد وحكم العالم من القارة الأمريكية.

١٣. تخطيط الولايات المتحدة ونيّتها المبيّتة في إقامة قواعد عسكرية إستراتيجية أمريكية في العراق بعد تشكيل حكومة عراقية علمانية موالية لها، سواء جاءت هذه الحكومة بالانتخابات الموجّهة أو بدونها.

١٤. التزييف الإعلامي وإرهاب الإعلام العربي والعالمي تماماً كما تم تحجيم وإرهاب الإعلام العراقي خلال الحرب بغية إعطاء الصورة المطلوبة عن مجريات الحرب التي لا تمثل الحقيقة بقدر ما تمثل الرغبة الأمريكية وتصوير البطل الأمريكي الأسطوري الذي لا يقبل بغير النصر السهل السريع الحاسم بديلا على طريقة هوليود، لإرضاء الغرور الأمريكي وعدم جرح الكبرياء والتجبّر الذي يحاول الساسة الأمريكان الجدد فرضه على الأرض كأمر واقع بعد غزو أفغانستان والعراق.

١٥. التورط الأمريكي والوقوع في المستنقع العراقي بسبب الغباء السياسي وضعف الخبرة بالواقع العراقي والنفسية العراقية، والاعتماد على معلومات خاطئة استلمت من المعارضة العراقية التي كانت جاهلة بحقيقة واقع العراق وتركيبة الشعب وقواه الرافضة للاحتلال بكل أطيافها.

١٦. لقد أكّد الكتاب على أن الغزو الأمريكي البريطاني كان لاحتلال العراق وليس لتحريره من نظام صدام وقبضته الحديدية المستبدّة كما ادعى الغزاة قبل الحرب وأثنائها، وقد لمسنا أن المتفائلين بالتحرير

يتناقصون تدريجياً كلما تشبث المحتل بسياسة الأزمات والفوضى الأمنية والخدمية وسياسة النفوذ والتواجد العسكري في أرض الرافدين.

١٧. تورط الموساد الإسرائيلي في غزو العراق بمعية قوات التحالف.

١٨. افتضاح سياسة الكذب والتزييف الإعلامي لتبرير الحرب وغزو العراق، والتي يمكن أن تؤدي في النهاية إلى سقوط بوش وبلير بعد غرقهما في المستنقع الآسن.

١٩. استغلال المحتل للورقة الطائفية والعرقية في العراق الذي يتميّز بفسيفساء التنوع القومي والديني والمذهبي، كما استغل أجدادهم المستعمرون الصراع الصفوي العثماني في بلورة الطائفية وتغذيتها قبل قرون.

٢٠. هزيمة الحزب والجيش وصمود الشعب حتى آخر لحظة مع صدام كما أكد ذلك صدام نفسه في آخر خطاب له في الإذاعة ليلة سقوط بغداد.

٢١. إن الأعظمية والفلوجة وسامراء وبعقوبة كانت أكثر المناطق العراقية صموداً وآخر المدن والمناطق سقوطاً بيد المحتل والأكثر رفضاً ومقاومة للاحتلال، كما ظهر خلال الأشهر التي تلت دخول بغداد وحتى كتابة هذه السطور في آذار سنة ٢٠٠٤م.

# آراء وقناعات في إحصائيات وروايات الشهود

الكلّ يعلم قصة جحا وابنه والحمار، وكيف اختلف الناس في الطريقة التي تعامل بها جحا مع حماره وهو ماضٍ في طريقه من الحقل إلى البيت.. حتى اضطر أخيراً بعد أن جرّب كل الاحتمالات المتاحة أمامه لاستخدام الحمار في أن يحمله مفرداً أو يحمل أبنه أو كليهما، ولم ينجُ من كلام الناس ونقدهم وهو يجهد نفسه لإرضائهم، فاضطر إلى ترك حماره يمشي بدون حمل وهو وابنه يسيران بجواره.. فقال الناس انظروا إلى هذا الرجل الذي فقد عقله وهو يسير بجوار حماره ولم يركب الحمار ولم يرُكب ابنه. أنها قصة رمزية طريفة في تراثنا قد تتكرر في أي وقت وحين سواء في الفعل أو القول أو الكتابة أو التعامل مع الناس فضلاً عن الحيوانات. لقد وجدت الناس قد اختلفوا في رأيهم حول الكتاب إلى حد التضاد والتناقض أحياناً، فرغم أن القبول والرواج كان من أهم سمات نشر هذا الكتاب مقارنة مع باقي كتبي أو حتى مع ما نشر في العراق من كتب خلال أكثر من عشر سنوات، ورغم أن معظم القرّاء كانوا مع منهج الكتاب وأطروحاته ورواياته وأسلوبه في تصوير التصدي الشجاع للشعب العراقي وجيشه المحتسب، رغم وقوعه بين حدّي الاستبداد والحصار والظلم والفساد الذي شهده خلال

عقود طويلة وبين القوة الغاشمة المتغطرسة التي جاءت لغزو العراق واحتلاله ظلماً وعدواناً.. ضاربة بعرض الحائط كل القوانين والشرائع، وفي مقدمتها قرارات ومواثيق مجلس الأمن والموقف الدولي المعارض لهذا الغزو، فإن البعض الآخر كان لا يخفي اختلافه مع منهج الكتاب وطرحه. ولقد وصلتني أكثر من مائة رسالة من القراء.. معظمها كانت مؤيدة للكتاب وتوجهه مدحاً وإطراءً وتفاعلاً وتعاطفاً مع مجريات الأحداث والروايات التي صورها الكتاب، والبعض القليل كان لديه نصائح وتصويبات لغوية وطباعية تقليدية..ومن القرّاء من زارني في المكتب أو البيت لغرض إيصال رأيه، والبعض الآخر كان يرى ضرورة نشره خارج العراق وترجمته إلى لغات أخرى لكي يعيش العالم مع العراق في محنته العصيبة، وقد ترجم فعلاً مرتين إلى اللغة الإنكليزية كانت إحداها ضمن دراسة لرسالة ماجستير في قسم الترجمة في كلية الآداب/جامعة بغداد. وقد أفرط البعض في المدح والإطراء[1] كما أفرط البعض الآخر في النقد

[1] **ومن ذلك الرسالة التي وصلتني من الأخت أم رحاب وهذا نصها:-**

**بسم الله الرحمن الرحيم بغداد ٢٠٠٣/١٢/٤**

**المفكر الإسلامي والمحلل السياسي الكاتب.. وقبل ذلك كله.. العراقي الأصيل الوفي للوطن والشعب.**

لقد كان وفاؤك وحرصك وقلقك من المجهول على أمتك المتعبة واضحاً في مؤلفك (تحت رماد الحرب العاصفة) فقد حملت قلمك وجاهدت وقاتلت الأعداء المتصهينين والعرب المتأمركين، ومن خانوا الأمة مع الأسف..فحمداً لله سبحانه أن وهب للعراق الغالي من حماه وأهله بالسيف والقلم على مدى الزمن..

إن هذه دهور أليمة فانية ستزول بإذن الله كما زالت عواصف الماضي وفتنه.. وأعتقد أنها إرادة الله سبحانه لتنقية الوطن والشعب من رموز الظلم والفساد كي يحيى العراق حياة الكرامة والمحبة والمؤازرة..

لدي بعض الملاحظات:-

١. أن يدعّم المؤلف بالخرائط لتوضيح مواقع المعارك.

٢. أن يلخّص الكتاب ويترجم إلى الإنكليزية وينشر خارج العراق كي تطّلع الشعوب الأخرى على بسالة المواطن العراقي بجميع شرائحه وفئاته ويفتضح أمر العدوان.

٣. أن يستمر عطاؤك في التأليف لمواصلة أحوال العراقيين وتوثيقها لما بعد الحرب.

٤. أن بعد نظرك وتحليلك للأوضاع وتوقعك للمستقبل جعلني (كقارئة) أتمنى لك أن تشغل منصباً مهماً يليق بك وبأفكارك وطرحك الصريح الجريء والحقيقي على كل الأصعدة..

وبارك الله فيكم وفي من ساهم معكم في نشر تلك البحوث والنشاطات الإعلامية التي تخدم الأمة.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أختك من بغداد العزيزة..أم رحاب

ورسالة أخرى من قارئ آخر هو الأخ عدنان محمد ياسين وهـذه مقتطفـات منها:

الأستاذ الفاضل علاء الدين المدرس المحترم -السلام عليكم- قـرأت كتـابكم القيّم حول الحرب الأخيرة على العراق، وفي الحقيقة أنه جهد متميز ومحاولة جادة وموضوعية لمعرفة لماذا سقطت بغداد، ولا يسـعني هنـا إلا أن أقـدّم أمنياتي وشكري الجزيل لكم..

أخي الكبير والعزيز.. إن ما أقدمه ليس نقداً بل مجرد ملاحظات من قارئ قليل المعلومات متواضع الثقافة، ولكن رغبتي أن يكون كتابكم سجل إدانة للعـدوان (نعم للعدوان) فإن هذه الحرب تهدف أولا إلى تدمير شعب العـراق حضـارةً وفكراً وعقيدةً، أما إزاحة نظام أو أسلحة دمار شامل فهذه مجـرد أكاذيـب لا غير... وعندما نكتب عن الشجاعة لبعض المقاتلين فإنه ليس دفاعاً عن النظام السابق بقدر ما هو قول للحقيقة، وبالتأكيد فإن الكثير لم يدافعوا عـن صـدام بقدر دفاعهم عن الوطن وتربته الطاهرة. ويؤسفني جداً أن أسمع قول البعض بأن كتابكم محسوب على صدام ونظامه، لدي ظن أن الذين كانوا في الخـارج وعاشوا طوال هذه السنين العجاف متنعمين هم وراء هذا الكلام. كان بودي لو أن هنالك خارطة للعراق تبين العمليات العسكرية التي حدثت فيها المعارك. إن هذه الحرب كانت كارثة ونكسة كبيرة للعالم العربي والإسلامي ومصيبة تـدمي القلب، أمثّلها بسقوط غرناطة أو دخول المغول إلى بغداد قبـل قـرون، إنهـا عاشوراء جديدة، أن ٢٠٠٣/٤/٩ يوم أسود في تاريخ العراق، وهنـا سـؤال مهم: من المسؤول عن هذه المصيبة؟.. هل حقاً إنها لعبة سياسـية وانتهـت بسقوط صدام كما صرّح بذلك د. محمد الدوري سـفير العـراق لـدى الأمـم المتحدة؟ أم خيانة وطنية أم مخطط استعماري قديم وحان الآن وقت تنفيذه؟..

وهناك سؤال يطرح نفسه هل إن كل الدوائر تعرّضت للسلب والنهب، أقول لا، وعلى سبيل المثال: شركة الخياطة الحديثة ، مصنع البطاريات في الوزيرية، منشأة القادسية في ديالى، ومدارس وكليات ومستشفيات عديدة، لم يحدث بها أي نهب لسبب بسيط هو تفاني بعض المخلصين من العراقيين القريبين منها وجهودهم المتميّزة في صد المخربين والغوغاء والجواسيس والمأجورين عنها، وعلى سبيل المثال فإن أغلب دوائر ومحطات الكهرباء في بغداد لم يحدث فيها سلب، وكنت متواجداً طيلة الحرب بمحطة كهرباء شمال بغداد، وفيها مخازن ومجمع سكني (خمسون دار) وكان عدد المتواجدين لا يزيد عن خمسة عشرة فرداً تحرس مساحة الموقع البالغة ستون دونم، وبفضل الله وشجاعة زملائي وسكان المجمّع لم تسجل أي حادثة سرقة وكنا لا نملك سوى بندقيتين فقط، وكثير من هذه الحالات الإيجابية كانت تنير ظلمة الحرب والتدمير المقصود، ولكن للأسف الشديد هنالك تركيز إعلامي على عمليات السلب والنهب لاسيما من الإعلام الغربي. ومن الحالات الإيجابية أيضاً دور علماء الدين (الأئمة والخطباء) بالتوعية ومشاركتهم بتقديم يد العون والمساعدة لعموم الشعب وتكاتفهم وتعاونهم ونبذ الخلاف المذهبي...

إن شعوري بالأسى والحزن على بلدي دفعني أن أكتب إليك وأقول بارك الله فيكم على هذا الجهد المتميّز.. وإني أعتبر كتابكم سجل يدين الظلم والعدوان، وإني كقارئ عراقي بسيط وموظف في هيئة الكهرباء تجمعني معك العقيدة وحب الوطن وإن كنتَ لا تعرفني.. والسلام. عدنان ياسين

والذم والتجريح[1] من بعض العسكريين المتألمين مما جرى للبلد من أهوال والذين رأوا في الكتاب فرصة للانتقام لكرامتهم التي جرحت خلال سقوط بغداد واحتلال البلد وهم حرّاسه، فلم يستطيعوا أن يواجهوا هذا الإحباط والانكسار المعنوي الذي سببته لهم قوات الاحتلال فوجدوا في الكتاب ونقده بطريقة انفعالية غير مبررة فرصة للتنفيس عن ذلك الإحباط والألم، وجعله البعض كالشماعة لتعليق التقصير الذي يشعرون به، بحجة أن الكتاب يفتقد إلى الطرح العسكري المتخصص أو أنه لم ينصف الجيش العراقي، على الرغم من أني قد أعلنت منذ نشر الكتاب وللعديد من هؤلاء، أن الكتاب ليس كتاباً متخصصاً في المجال العسكري ولم أدعِ دقّة كل المعلومات والروايات التي وردت فيه، وإنما هو وجهة نظر ورؤية ميدانية لشريحة من العراقيين وانعكاس لما جرى من تداعيات وذاع بين الناس في تلك الأيام الرهيبة، ورغم مراجعته من بعض العسكريين من أصحاب الثقافة العالية، وان أكثر من نصف شهود العيان الذين اعتمد الكتاب على شهاداتهم هم من العسكريين، فان الكتاب كان- في جوهره -كتاباً إعلامياً تعبوياً وتوثيقياً يعتمد أساساً على شهود العيان وإرهاصات الشارع العراقي أثناء الحرب-كما ورد في مقدمة الكتاب- ولم يلتزم

---

**[1] رأى البعض أن الكتاب ظهر بسرعة خاطفة ربما أثّرت على مستواه التقني بينما رأى البعض الآخر في ذلك ميزة وسبق لصالح الكتاب.**

الاعتماد على الوثائق والكتب والمصادر التي كانت متوفرة رغم قلتها في ذلك الوقت العصيب، وذلك خشية الوقوع في فخ الإعلام المعادي والحرب النفسية الأمريكية التي كانت مسيطرة على الساحة الإعلامية في ذلك الوقت. كما تعرّضت للكتاب فئة أخرى قليلة من المنهزمين والسائرين في ركب التبعية للأجنبي وتيار موالاة القوات الغازية، وهؤلاء (المستغربين) كان موقفهم طبيعي ومتوقع لا يحتاج إلى رد أو تفسير فهم كحال المستغربين القدماء الذين ظهروا في مصر ولبنان في مطلع القرن الماضي أبان حقبة الاستعمار والاحتلال الأولى للعالم العربي من السائرين في ركاب الغرب وحضارته، المتنكرين لحضارتهم وتراثهم الشرقي الأصيل، وهؤلاء لم يكونوا يؤمنون بضرورة التصدي والوقوف في وجه الغزو المغولي الجديد.. بل كانوا ينظرون إليه نظرة العبد إلى الفاتح والمحرر لهم والذي سيفك وثاقهم من ظلم الحاكم المستبد والنظام الجائر الذي تسلّط عليهم، ولم يفطنوا إلى من أوجده آنفاً، ولم يتعظوا بلدغة الجحر وظنوا خطأً أن للثعلب ديناً وعهداً، وهم لا يدركون أن هذا السيد لم يكن إلا أحد عبيدهم، وحين ضعف أمره معهم جاءوا بأنفسهم ليزيدوا الوثاق والخناق حول رقاب الشعوب المغلوبة على أمرها ويثقلوا البلد بالذل والتبعية من جديد.

أما عموم النقاد المنصفين الذين تفاعلوا مع الكتاب بفصوله وتفاصيله جميعها، فقد استوقف بعضهم ملاحظات عامة محددة منها:-

١. تسليط الضوء على ما جرى في الأعظمية من أحداث وأخبار أكثر من أي حدث آخر خلال أسابيع الحرب الثلاثة.. متناسين أنني من سكنة الأعظمية، ومن الطبيعي أن أكثر من ذكر الروايات والأحداث التي جرت أمامي والتي كنت أنقلها عن شهود العيان القريبين مني، هذا فضلاً عمّا جرى بعد الحرب من أحداث وتطورات واشتعال فتيل المقاومة وتصاعد وتيرتها كان في وسط العراق وضمن دائرة ومساحة كان مركزها مدينة الأعظمية وبقية المدن الشبيهة بها كالفلوجة وبعقوبة وسامراء.

٢. إن إجمالي الخسائر البشرية التي حددها الكتاب كانت عشرين ألف قتيل أمريكي تقريباً وثلاثين ألف جريح، مقابل مائة ألف شهيد عراقي، ورغم أن تثبيت تلك الأرقام جاء بناءاً على تقديرات شهود العيان من العسكريين والمدنيين العراقيين، ورغم أن البعض قد قدّر خسائر قوات التحالف بأكثر من تلك الأرقام، إلا أن هذه الأرقام قد بدت غريبة وغير مؤكدة ولا يمكن إثباتها عملياً لأن الإعلام الأمريكي لم يعترف إلا برقم ضئيل منها لم يكن يزد على ١% من الخسائر التي قدّرها الكتاب بناءاً على رأي شهود العيان وما تناقل في الشارع العراقي في تلك الأثناء، حيث لم تزد خسائر الأمريكان على ١٥٠ قتيل

خلال مدة الحرب البالغة ٤٣ يوماً حسب ما صرّحت به وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، ورغم أن هناك بعض النقاد والإعلاميين من اتهمني بعدم التثبت في تقدير الخسائر الأمريكية والجري وراء مشاعر الانفعال أو الكره اللاشعوري للقوات الغازية وتصديق الشائعات التي انتشرت بين العراقيين المذهولين أثناء سقوط بغداد، كما ذكرت جريدة (سومر) التي كان يصدرها حسن العلوي في عددها الثامن في ٢٠٠٣/٦/١٩ في مقالها الذي حمل عنوان (الإشاعة والأسطورة في أول كتاب عراقي حول الحرب) وما شابهها من الأصوات التي كانت تعيش (عقدة الخواجة) والتي كانت أسيرة الثقة العمياء بالإعلام الغربي وتصورها المستكين بأنه لا بد أن يكون الغرب أدق وأصدق منّا في نقله للأخبار والروايات، إلا أن تداعيات ما بعد الحرب كانت كفيلة بالرد على هؤلاء الذين أسلموا عقولهم وأرواحهم ومشاعرهم للإعلام الأمريكي الذي كان مهيمناً على الساحة، والذي حاول جاهداً إسكات الإعلام العراقي والعربي والأوربي المحايد خلال أيام الحرب. ورغم التأكيد في أكثر من موقع في الكتاب على النظرة الأحادية المنحازة – بل والمتعسفة- في الإعلام الأمريكي وطغيانه وغطرسته في التعامل مع قنوات الإعلام الأخرى، وتأكيد الكتاب على وجود مرتزقة وبأعداد كبيرة في قوات التحالف، ووجود فرق متطورة كبيرة وعديدة للإنقاذ وسحب الخسائر بسرعة كبيرة ومقصودة، والتي باتت معروفة فيما بعد

ومن مظاهر الجيش الأمريكي المعروفة، ورغم تأكيدنا على استخدام قوات التحالف لأسلحة محرمة بعد أن فشلت خطة الصدمة والترويع الأولى -التي خطط لها الأمريكان بأن تنهي الحرب خلال ثلاثة أيام فقط- بفضل صمود الشعب العراقي، ورغم وجود الكثير من المؤشرات التي تدعم الأرقام التي أوردها شهود العيان العراقيون في الكتاب، إلا أن موقفي في الدفاع عن وجهة النظر هذه كان ضعيفاً لعدم توفر الأدلة لدي لإثبات ما أقول وأروي، حتى كانت الأشهر التسعة التي تلت الحرب لتثبت وتعزز ما ذهبنا إليه في الكتاب من أن الخسائر الأمريكية كانت كبيرة حقاً [1]، سواء أثناء الحرب أو فيما تلا ذلك بعد تبلور

---

**[1] لقد نشرت جريدة البصائر العراقية في عددها السادس والعشرين بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٨م خبراً بعنوان *<u>( مفاجأة يطلقها كاتب أمريكي عن مقتل واصابة (٢٢) ألف جندي أمريكي في العراق )</u>* والمقال يؤكد جسامة الخسائر الأمريكية ويقترب من الرقم الذي حدده الكتاب منذ شهر مايس، ونص الخبر يقول: البصائر/وكالات..كشف الدكتور ويليام وينكيفورد مساعد وزير الدفاع الأمريكي لشؤون الصحة عن وجود حوالي(١٢٠٠)جندي أمريكي في القواعد الأمريكية يعانون من أمراض نفسية نتيجة الحرب و(٤٠٠) يعانون من اضطرابات عقلية من بين عشرة آلاف جندي تم إجلائهم من الأراضي العراقية بسبب الإصابات مع (٢١)حالة انتحار وارتفاع ظاهرة قيام العديد من العائدين بقتل زوجاتهم أو الانتحار.**

وتزايد المقاومة العراقية التي امتدت الآن من شمال العراق إلى جنوبه وتعددت ألوانها وأطيافها حتى أصبحت لغزاً محيراً وفخاً قاتلاً للجيش الأمريكي وهو يخوض في أوحال المستنقع العراقي الذي بات أكثر تعقيداً وخطورةً من المستنقع الفيتنامي، لاسيما بعد اعتقال صدام حسين واستمرار تلك المقاومة التي لا يعرف رأسها من أساسها ولا قاعدتها من قيادتها، حتى بات العراقيون وهم يتفرجون عما يجري يقولون أن الذي يقاتل أناس عراقيون لكنهم ليسوا بيننا، فالكل يسأل عن تلك المقاومة ومن يقف وراءها، ولقد أكدت الأخبار المنشورة في وسائل الإعلام العالمية وعلى شبكة الانترنيت والقنوات الفضائية أن هناك أكثر من عشرة آلاف جريح أمريكي وجروحهم بالغة ومعوقة قد دخلوا المستشفيات الألمانية[١]، كما تؤكد الأخبار والتقارير -كما أخبرني

---

**من جانبه أكد وزير النقل العسكري الأمريكي أن إجمالي عدد الجنود الذين تم ترحيلهم من العراق *بلغ (٢١) ألف جندياً غادروا العراق لأسباب طبية!!..*كما أعدت شبكة (سي،أن،أن) الإخبارية تقريراً مهماً حول ارتفاع معدلات انتحار الجنود الأمريكيين في العراق على وقع ضربات المقاومة العراقية وبشاعة الجرائم التي يرتكبها جنود الاحتلال ضد الشعب العراقي الأعزل.**

**[١]في تقرير ألماني طبي واحد يؤكد أن هناك تزايد مطّرد في أعداد الجرحى الذي يصلون المستشفيات العسكرية الألمانية أسبوعياً، وقد وصلني عبر الانترنيت وتمت ترجمته وهذا نصه:-**

**أين يذهب الجرحى** **لاندشتول، ألمانيا ٤ تشرين الثاني**

قال مارك فيليب مراسل شبكة سي بي أس: أن الجهود الأمريكية في العراق تدفع الأرواح ثمناً لها كما تدفع ثمناً آخراً هو الأعداد الجسيمة المتزايدة من الذين يصابون إصابات بالغة أو يعوقون إعاقات دائمة. ولم تفقد أرواح البعض فقط بل تحطّمت حياة آخرين وتحولّت إلى معارك طويلة الأمد مع الألم والإعاقة. فبعد نجاة ٢١ جندياً من الهجوم الذي شن على مروحية يوم الأحد وإصابتهم في الحادث نقلوا جوا إلى المستشفى العسكري في لاندشتول في ألمانيا ليقفوا في طابور أعياه شدة الإنهاك، إذ أن المرافق هناك استنفذت إلى أقصى مداها. وقالت العميد روندا كورنم آمر المستشفى "لقد رأينا الكثير من الناس، أجل يا سيدي، ولم تتراجع نسب الإصابات في ساحة المعركة كما كان متوقعاً، لا زالوا يأتون." وأضافت العميد كورنم "منذ الثالث والعشرين من آذار الماضي حتى الثاني من تشرين الثاني كان لدينا ٩١٢ مريضاً" عدا عن الواحد والعشرين مصاباً في المروحية. قد يكون الهجوم على المروحية هو الأكبر من حيث عدد الإصابات التي أصابها حادث مفرد والتي ينبغي على المستشفى أن يتعامل معها ولكن العدد لم يشكّل صدمة، إذ أنهم اعتادوا هنا على الأعداد الكبيرة، فمنذ بدء الأعمال العسكرية في العراق توجب على المستشفى معالجة أكثر من ٧٧٠٠ أمريكي بضمنهم مصابون إصابات معارك عسكرية ومصابون إصابات بليغة أسبابها غير عسكرية ومرضى. ومن أسباب الأعداد الكبيرة للمصابين الستر الواقية التي يرتديها الجنود والتي تبقي البعض أحياء وبدونها كانوا سيعدون في عداد الأموات.(إن هذا العدد في مستشفى واحد في ألمانيا ولغاية كتابة التقرير في تشرين الثاني ٢٠٠٣م). ويؤكد الرائد الطبيب الآن فيليب "نجاح بعض من أجزاء درع الجسد في تقليل إصابات الجذع على سبيل المثال والتي تعد عادةً من أنواع الإصابات المميتة. لقد كان نجاحاً بارزاً." لقد

شاهد عيان مطّلع- أن قتلى الأمريكان منذ نهاية الحرب حتى كتابة هذه السطور (آذار ٢٠٠٤) قد وصل إلى أحد عشر ألف قتيل، معظمهم قد دفنوا في أرض العراق أو رميت جثثهم في نهر دجلة أو الفرات لاسيما الزنوج وذوي البشرة السمراء من أصحاب الجنسيات الأخرى خارج الولايات المتحدة، في حين لم يعترف الأمريكان إلا بخمس مائة قتيل فقط في مدة ما بعد الحرب وحتى نهاية كانون ثاني ٢٠٠٤م. ولقد حاولت قوات الاحتلال معالجة أمر المقاومة المتصاعدة باتجاهين أحدهما سياسي والآخر أمني فقرر الرئيس الأمريكي من الناحية السياسية تحديد موعد أقرب لنقل السلطة إلى العراقيين مما كان مخططاً له، وأما الأمني فقد وسّع الأمريكان سياسة المداهمات والاعتقالات في سياق العملية العسكرية التي أطلقوا عليها اسم المطرقة الحديدية لاسيما بعد سقوط العديد من الطائرات السمتية وازدياد الخسائر البشرية والهجمات الفدائية ضد قوات الاحتلال، فقد وصل عدد المعتقلين والأسرى العراقيين لدى الأمريكان إلى أكثر من مائة

---

**نقل ثلاثة من الذين نجوا إلى الولايات المتحدة لأخذ العلاج. إذ أنهم ينقلون المرضى من هنا سريعاً ليفسحوا المجال للمزيد من الجرحى.**

**ترجمة د. سوسن صالح**

**٢٠٠٣/١١/٢٢**

ألف معتقل حسب ما يرويه العراقيون[١] (بينما يدعي الأمريكان أن المعتقلين العراقيين بحدود اثنا عشر معتقلاً فقط)معظمهم أبرياء وقد سجنوا واعتقلوا لأسباب كيدية، ربما تكون بسبب وشاية شخصية أو كتابة تقرير من بعض العملاء والجواسيس والموالين لقوات الاحتلال، فإنه من المعتاد أن يسجن أي مواطن عراقي تحت اسم أي جناية يختارها الواشي الذي يمكن أن يكون دافعه الكيدي عداوة شخصية أو طائفية أو عرقية أو مصلحية طمعاً في المكافئات والرشاوى التي تخصصها قوات الاحتلال لمثل هذه الأدوار، وربما يسجن البعض الآخر لقرب سكنهم أو محلات عملهم من المناطق التي تحدث فيها الهجمات الفدائية وأعمال المقاومة، وغالباً ما يكون سبب الاعتقال بدوافع نفاقية وعداوات لا علاقة لها بالمقاومة، ولقد أكد العديد من المعتقلين الذين مكثوا في السجن أشهر عديدة بدون أن يتم إثبات أي تهمة بحقهم، أن الكثير من المعتقلين قد تم إيداعهم السجن وبقائهم فيه مدداً غير محددة رغم تيقن الأمريكان من براءتهم من أي تهمة أو علاقة بالمقاومة، وإنما يتم الاستمرار بحبسهم لغرض التحقيق العام

---

**[١] لقد اطلعت بنفسي على حالة لأحد السجناء العراقيين في المعتقلات الأمريكية وهو يحمل الرقم ١٦٠،٠٠٠، علماً بأن رقم السجين عادةً لا يعطى إلا إلى معتقل واحد، ويعطى بطريقة تسلسلية، مما يؤكد العدد الكبير للمعتقلين العراقيين بتهمة المقاومة ومساندتها.**

والشامل معهم بهدف إنشاء قاعدة معلومات ضخمة حول الواقع العراقي في كافة محاوره دون الالتفات إلى انتهاك حقوق الإنسان والتجاوز على حرية الإنسان العراقي وحقه في الحصانة القانونية وتوفير الأمن والأمان له في حده الأدنى، وقد يُنسى السجين البريء في سجنه شهوراً طويلة أو قد يموت في خضم الكثرة الهائلة للسجناء وصعوبة توفير المستلزمات والحاجات الإنسانية الضرورية لهم من الجوانب الصحية والأمنية والنفسية والقانونية وغيرها، كما إنه قد يموت من جراء التعذيب والعنف أثناء التحقيق في بعض المعتقلات التي يشرف عليها بعض الحاقدين على العراقيين كالموساد وغيرهم. وقد ثبّتت حالات عديدة من الوفيات في السجون منها وفاة أحمد عبد الله بعد تعذيبه حتى الموت ووفاة الشيخ عبد الرحيم في حي الصليخ وغيرهما، وبسبب تلك السياسة الغبية التي يمارسها الأمريكان والتي أصبحت شائعة في أحاديث العراقيين، متجاوزين فيها حقوق الإنسان وعدم ثبوت أي تهمة بحقهم وبراءة الكثير منهم، ازداد معدل الكره والحقد والازدراء للوجود الأمريكي في العراق من كافة الأطياف والفصائل دون استثناء، مع تفاقم باقي الأزمات الخانقة التي يعاني منها الشعب العراقي والفوضى والاضطراب الذي حل بالبلد بعد احتلاله، وعدم قدرة الأمريكان على إدارة البلد في إطار الحد الأدنى الذي يضمن الأمن والحق والعدل، وتفشي الفساد والبطالة والمشاكل التي

ليس لها آخر، ولقد قدّر البعض عدد المعتقلين في العراق بخمسة أضعاف الرقم الذي تم اعتماده أعلاه، في حين أن الأمريكان لم يعترفوا إلا باثني عشر ألف سجين من المتهمين بالإرهاب (أي المقاومة) أو التعاون معه، وهو أمر لا يختلف كثيراً عن اعترافهم بمائة وخمسين قتيلاً خلال الحرب وخمسمائة قتيل خلال أشهر المقاومة التسعة!!..

إن التاريخ سيثبت أن خسائر الأمريكان كانت أكثر بكثير مما يتخيل بعض المتابعين للإعلام الأمريكي ذي الرواية الفريدة والوحيدة دائماً، كما سيثبت للعالم كذب الإدارة الأمريكية والبريطانية في مبرر ذهابهم سوية للحرب باختراع كذبة أسلحة الدمار الشامل العراقية، كما أكدته أحداث وتداعيات مقتل خبير الأسلحة البريطاني في منتصف شهر أيلول الماضي وفضيحة تورط مدير المخابرات الأمريكية في معلومة شراء العراق اليورانيوم من النيجر الكاذبة في آب الماضي وتصريحات رئيس فريق البحث عن الأسلحة العراقية الأمريكي واستقالته في أواخر شهر كانون الثاني المنصرم والتي اضطرت الرئيس الأمريكي لفتح تحقيق في صحة المعلومات الاستخباراتية المقدّمة لإدارته بشأن الأسلحة العراقية المحظورة في ٦/ شباط/ ٢٠٠٤م، وجعل تلك اللجنة القانونية عاملة لمدة سنة على أن تقدّم تقريرها النهائي في آذار/ ٢٠٠٥، لتخفيف تأثير هذه الأزمة على موقفه في الانتخابات القادمة في أواخر هذا العام.

## صدى الحرب العاصفة في وسائل الإعلام العالمية

لقد اعتبر العديد من النقاد والصحفيين كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة) جزءاً من مفردات الحرب العراقية الأمريكية نظراً لسرعة صدوره وانتشاره في بغداد والعراق، بل أنه كان يصف حالة السلب والنهب والقتل والحرق والتدمير في بغداد وهي لا تزال حية، وفيه نداء عاجل إلى الرأي العام العراقي والعربي والإنساني بتاريخ

٢٠٠٣/٤/١٣م حول هذه الفوضى والاضطراب الأمني الذي كان ما يزال مستمراً حتى شهر تموز تقريباً، فأحداث سرقة المصارف والمخازن والسيارات وحرق المؤسسات الحكومية أستمر خلال شهري مايس وحزيران بشكل ملحوظ، بسبب عدم وجود أي هيكل للدولة وأجهزتها المسؤولة عن الأمن والنظام ولم تخف هذه الحالة إلا بعد أن تم تشكيل أجهزة الشرطة العراقية ونشر وحداتها لتعقيب أعمال (الفرهود) والجريمة المنظّمة بعد تشكيل مجلس الحكم الانتقالي في ٢٠٠٣/٧/١٣، فكان الكتاب يروي أحداثاً حية وصور موجودة في الميدان وأخبار المعارك التي حدثت على طول شاطئ الفرات الصحراوي بالأمس القريب. فكانت الأخبار والأحداث والصور جزءً من الحرب التي عاشها أهل العراق من شماله إلى جنوبه. لذلك كان الاهتمام به واضحاً في وسائل الإعلام العراقية والعربية والأوربية والأمريكية.. وقد زارني العديد من الصحفيين والإعلاميين من مختلف الوكالات الإخبارية والقنوات الفضائية، أذكر منهم مراسل وكالة رويتر الإخبارية البريطانية وهو السيد خالد يعقوب أويس (مصري الجنسية) الذي زارني في بيتي ظهر يوم الجمعة ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٣م، واستمر اللقاء معه حوالي ساعة، ومنهم مراسل وكالة الأسيوشييتدبرس الإخبارية الأمريكية السيد حمزة هنداوي (مصري الجنسية أيضاً) الذي زارني في الجمعة التالية ٢٠٠٣/٥/٣٠م وجاءني في اليوم التالي إلى

مكتبي في شارع المتنبي لاكمال الحديث والأسئلة حول الكتاب وسرعة صدوره ومدى تأثيره على الرأي العام العراقي، وكيف تم جمع مادته خلال تلك الأيام المضطربة وغير ذلك من اهتمامات الصحفيين، وكان بصحبته مصور تركي اسمه أنور مع مراسل عراقي مساعد له، وقد صور اللقاء وكنت غير راغب في التصوير والحوار الصحفي معه أيضاً، وبعد التداول معه اقتنعت به واشترطت أن يزودني بنسخة من التقرير الصحفي عند نشره في وكالته الإخبارية، ووعدني بأنه سيجلب التقرير بعد نشره بنفسه يوم الاثنين أي في ٢٠٠٣/٦/١م ولكنه للأسف لم يفِ بوعده وغادر العراق بعد عشرة أيام من لقائي به، وقد علمت أنه نشر التقرير من خلال اعتماد بعض الصحف عليه في نشر الخبر والتعقيب عليه ومنها جريدة سومر العراقية التي صدرت أعدادها الأولى، كما زارني في شهر حزيران في مكتب الرقيم في شارع المتنبي مراسل وكالة الأكس برس الإخبارية وكذلك السيد يورج آرمبروستر/ مدير مكتب التلفزيون الألماني ARD/ مكتب القاهرة للبلاد العربية. كما التقيت ببعض مراسلي قناة الجزيرة حول الموضوع منهم الأخ ماهر عبد الله معد برنامج(الشريعة والحياة) والأخ وضّاح خنفر مدير مكتب الجزيرة في بغداد ووكيله السيد عبد الحق صدّاح، وكذا الأخ جابر عبيد من قناة أبو ظبي ومراسل قناة المنار اللبنانية وغيرهم من الصحفيين والإعلاميين.

كما قامت العديد من الصحف والمجلات العراقية والعربية بنشر فقرات من الكتاب ونقده وتحليله باعتباره أول كتاب عراقي يصدر عن الحرب، منها: جريدة القبس البغدادية وجريدة الزمان والحوار واليوم الآخر وسومر ودار السلام والبصائر ومجلة شناشيل وغيرها، وأدناه نماذج لبعض ما نشر من أصداء حول الكتاب في الجرائد والمجلات العراقية والعربية، علماً بأن العديد من الناشرين العرب في سوريا والأردن والخليج قد أبدوا رغبة بنشره خارج العراق، وهناك اتفاقات عديدة لتنفيذ ذلك وربما يتم نشره عن طريق بعضهم خلال الفترة المقبلة إن شاء الله.أما أهم المقالات التي نشرت بخصوص الكتاب والمتوفرة لدي فهي:

### ١- جريدة البصائر العراقية:

نشرت جريدة البصائر في عددها الأول بتاريخ ٢/٨/٢٠٠٣م المقال التالي:

يعد كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة/ أسرار حرب العراق) للباحث الإسلامي الأستاذ علاء الدين المدرس؛ أسرع كتاب يصدر عن أحداث الحرب الأمريكية البريطانية على العراق. فقد صدر هذا الكتاب بعد سقوط بغداد بشهر واحد فقط. تناول المؤلف في كتابه موضوعات شتى

أعتمد في أغلبها على طريقة تسجيل الملاحظات اليومية؛ ثم رتبها على شكل مقالات يكمل بعضها بعضاً وتسهم كل واحدة منها في إعطاء جانب من جوانب الصورة المتكاملة للحدث العراقي.

**ومن أبرز عنوانات هذا الكتاب:**

بدء الحرب على العراق - معركة أم قصر- معارك البصرة والناصرية والنجف والرمادي- معركة المطار- كيف حسمت معركة بغداد- معركة الأعظمية- الانفلات الأمني وأعمال السلب والنهب- الورقة الطائفية العرقية- الفدائيون والاستشهاديون العرب وغيرها.

ومما يلاحظ على هذا الكتاب أن فيه بعض التكرار في المعلومات الناشئ عن طبيعة تركيب الموضوعات القائمة على التسلسل الزمني للحوادث الذي أملى عليه إعادة بعض المعلومات من أجل التمهيد للحديث أو التعقيب في الكتاب على واقعة معينة. وقد أبان في المقدمة عن هدفه من الكتاب وهو ((تدعيم الثقة بقدرات هذا الشعب العظيم والثبات أمام ظلم الاحتلال البغيض، وعودة الوعي ومراجعة الذات العراقية بما جرى من أخطاء وهفوات لتحرّي الصواب واستلهام العبرة والحكمة وتخطي العقبات والأخطاء التي كان الجهل والاستبداد من أهم أسبابها...)). يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع الكبير، مع غلاف ملون، وهو من إصدار مكتبة الرقيم التي يمتلكها المؤلف.

## ٢- جريدة القبس البغدادية:

جاء في جريدة القبس المقال التالي في العدد الثامن بتاريخ ٢٠٠٣/٨/٢م:

قراءة في أول كتاب يروي أحداث سقوط بغداد

**ماذا قالت المرأة لصدام في الأعظمية؟...**

لماذا لم يقاتل الجيش قتالاً فعلياً في المعركة؟...

**ما أسرار الخيانة التي حدثت وأدت إلى سقوط بغداد؟...**

كشف باحث عراقي عن أسرار جديدة عن سقوط بغداد، وخيانات بعض قادة الجيش والحرس الجمهوري، ونتائج معارك وانزالات بين الجيش العراقي والقوات الأمريكية، فضلاً عن المواقع التي ظهر فيها صدام بعد سقوط بغداد، والحالة التي كان بها.. فقد تضمن الكتاب الذي أصدره الباحث علاء المدرس " الموسوم تحت رماد الحرب العاصفة!!؟" لأسرار حرب العراق... الذي يعد أسرع كتاب صدر في العهد الجديد إذ صدر بعد أسابيع من نهاية الحرب وسقوط بغداد واحتلال العراق... تضمن أسراراً جديدة وتفاصيل عن الوقائع والأحداث التي جرت وحدثت خلال الحرب وما بعدها. وأضواءً على بعض المعارك التي حدثت، فضلاً عن تحليلات لنتائج تلك الأحداث اعتمدت على شهادات شهود عيان، ووقائع منظورة ومعاشة من قبل المؤلف وأصدقائه، الأمر الذي منحها الموثوقية والمصداقية.. وقد

حرص المؤلف على التعامل مع مجريات الأحداث بحيادية ورصانة، بالرغم من أنه قد يجد صعوبة في إقناع القارئ بصوابية ما ثبّته من بعض الآراء والتصورات حول رئيس النظام السابق... غير أنه عموماً جاء تسجيلاً صادقاً وحيّاً، لمجريات الحرب منذ بدايتها وحتى نهايتها، وخاصة في دفاعه عن بعض المظاهر التي حدثت وكادت تشوه سمعة الشخصية العراقية والمواطن العراقي، ومواقفه من بعض الإفرازات التي ولدتها مهمازات الحدث وانثيالاته وتداعياته..

ومن بين ما أورده الكتاب وأشار إليه وألقى الأضواء لكشف حقيقته ما حدث خلال المعارك الأخيرة وخاصة معارك بغداد وإنزالاتها. فهو يقول: من خلال خمسين شاهد عيان ثقاة على أحداث الحرب العدوانية على العراق خلال ثلاثة وأربعين يومً من (٢٠٠٣/٣/٢٠ إلى ٢٠٠٣/٥/١)... كانت هناك ذكريات ساخنة ورؤى لشاهد عيان على جريمة العصر، والأهوال التي شهدتها بغداد وما حولها أبان الغزو الأمريكي على العراق. ففي فجر يوم الخميس وفي الساعة الخامسة بعد انتهاء فترة الإنذار القصيرة للعراق، بدأت الحرب وسمعنا صفارة الإنذار بعد دوي القصف الجوي والصاروخي على بغداد، ثم أعلن البيان الأول معلناً بدء الهجوم البري الأمريكي على أم قصر"... وقد كانوا يظنون أن شعب العراق سيفتح ذراعيه وأبوابه لهم بالورود والزهور فلم يجدوا غير الرصاص والصدور المؤمنة الصابرة التي

واجهت قوات الاحتلال وصواريخهم. حدثت معركة طاحنة بين قوات التحالف والعراقيين، أبدى فيها الشعب العراقي وجيشه بسالة نادرة... بيد أن استخدام القنابل الثقيلة والعنقودية على المناطق المدنية في بغداد واشتداد القصف الصاروخي والجوي على كافة المحاور حول بغداد وفوقها، أدى إلى حسم معركة بغداد لصالح قوات التحالف يوم الثلاثاء (٤/٨) وانهيار النظام وحزبه، ذلك بعد أن أزيل صدام وأعوانه من القصر الجمهوري في نفس اليوم، ليختفي بشكل نهائي وغريب منذ الجمعة (٤/١١) وإلى الأبد من حياة الشعب العراقي الذي عاش في ظل حكمه المتسلّط حياة الذل والكفاف، ولم ينعم بالأمان والاستقرار طوال العقود الثلاثة التي كان صدام يقود دفة الحكم فيها- وأضاف:- لقد انشغل صدام في معظم فترة حكمه منذ عام (١٩٧٩) بالحروب والصراعات السياسية العنيفة المحلية والدولية التي كانت غالباً ما تؤدي إلى الحروب المهلكة والمدمرة، فكانت حرب إيران قد غطت معظم عقد الثمانينيات، ثم جاءت حرب الكويت بعد غزوه، وهزيمة الجيش المرّة على يد التحالف الثلاثيني بقيادة بوش الأب، ثم تجرّع الشعب في سنين الحصار العجاف أشكال العذاب والذل لكي يبقى صدام في سدة الحكم، ويستفيد الأمريكان والصهاينة من حصار لا يبرره إلا بقاء صدام في الحكم..متواصلاً في الحديث:- لقد كان من مظاهر حكم صدام في العراق خلال العشرين سنة الماضية من الحكم

الاستبدادي، أن كل شيء في العراق قديمه وجديده يسمى باسم صدام، كل إنجاز أو عمل جديد يمكن أن يخدم الشعب سواء في زيادة الراتب أو بناء سد أو إنشاء طريق أو حفر نهر كلها كانت تعد مكارم من القائد إلى الشعب، بل من الطريف والمعتاد أن نسمع بقرار أنه مكرمة القائد ثم يلغي ويعد إلغاؤه مكرمة القائد أيضاً، سواء كان القرار سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، كما حدث في تشريعات المرور والعفو عن السجناء وغيرها من القرارات الكبيرة والصغيرة، وكذلك في كل نشاط من النشاطات العامة في أية وزارة من وزارته التي كانت في الحقيقة ليست وزارات ولا وزراء وإنما مكاتب سكرتارية تابعة إلى ديوان الرئاسة ومجلس قيادة الثورة والحزب الذي يحكمه القائد الأوحد..

ومن مناظر تأليه صدام لنفسه واستخفافه بشعبه واستعبادهم، كثرة التماثيل والأصنام والنصب والصور المنشورة في الشوارع والدوائر والشركات والبيوت بشكل مفرط وغير معقول، فهناك مئات الصور الكبيرة في كل مدينة من مدن العراق.. وقد أفاض الكتاب في تحدثه عن معارك الدورة والسيدية، والزعفرانية، ومعركة المطار، ومعركة بغداد، وكيف حسمت، وأهم الأسلحة المحرمة والشاملة التي استخدمت ضد العراق، معرّجاً على نظام صدام وأجهزته القمعية، والانفلات الأمني وأعمال السلب والنهب....

وعن ظهوره الأخير في الأعظمية ذكر شاهد عيان ثقة قال بأنه رأى صدام مع وزير دفاعه وولده قصي على جسر الأئمة أمام الجامع، وقد عثرت رجله وهو يحاول الصعود إلى السيارة، وكان ابنه قصي يسنده وهو في غاية الجهد والتعب، وقد بثت قناة الجزيرة لقطات من زيارته للأعظمية ظهر الأربعاء ٤/٩ وذلك بعد أسبوعين من سقوطه... وقد سألته امرأة عن سبب تلك النهاية وهذا الذي حصل فأجابها قائلاً: لقد خانني أقرب الناس إلي!..

- وتضمن الكتاب الذي يعد أول تسجيل لمجريات الحرب، تضمّن الكثير من التفاصيل عن معارك ووقائع أخرى خلال الحرب، مورداً العديد من الشهادات الحيّة لشهود عيان ثقة من أصدقائه وأقربائه ومعارفه من المدنيين والعسكريين والصحفيين وغيرهم.

تصوير/ هيثم الدفاعي، إعداد عبد الكناني

## ٣- جريدة دار السلام:

نشرت جريدة دار السلام في عددها العاشر بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٧م المقال التالي:

**(دار السلام) تفتح أول كتاب عن الحرب الأخيرة**

**(تحت رماد الحرب العاصفة).. المدرس شاهد على حدث استثنائي**

**حاوره/ محمد كريم الجبوري**

مرّ بلدنا الحبيب العراق قبل فترة زمنية ليست ببعيدة بظروف عصيبة وهو يحمل أوزارها إلى يومنا هذا ويرزج تحت ظلمها وظلامها. حيث لاقى هذا البلد العريق الشامخ وأبناؤه ما لاقى من حرب مؤلمة أحرقت الأخضر والأصفر، فلم تبق نيرانها شبراً من أرض العراق إلا وتركت فيه أثراً سيتحدّث عنه أحفاد أطفالنا. ولم تكن تلك الحرب إلا حرب مصالح ونفع ووصولية وأهداف ليس للعراق ولا للعراقيين فيها ناقة ولا جمل، وإنما كانت لهم فيها فقط الضحايا والخسائر وأن يكون قدرهم عبارة عن رزوح تحت نير الاحتلال. ونسبة إلى الأهوال التي مرّ بها شعبنا والتي شاب منها الوليد. هرع أحد أبناء هذا الشعب البطولي وهو المفكر الكاتب علاء المدرس لتكوين وثيقة تاريخية قد تسهم في كشف الحقائق يوماً من الأيام أمام العالم الذي حرم من تلك الحقائق لضعف الإعلام العراقي وضمور صوته الذي لم يتمكن من إيصاله إلى العالم وأهل الضمائر. وكان لنا هذا اللقاء مع السيد علاء الدين المدرس حول مؤلفه التاريخي (تحت رماد الحرب العاصفة) فأجابنا جزاه الله خير الجزاء عنها.

- ما هو الدفع الأساس والفكرة وراء تأليف الكتاب؟

-إن الدافع الأساس وراء تأليف الكتاب هو تقديم رؤية إسلامية وطنية عن دور الشعب العراقي في الصمود والتحدي أمام أقوى هجمة شرسة عدوانية، من خلال نظرة الشارع العراقي وشهود العيان أبان الحرب،

مستبعداً- عن قصد- دور الإعلام المعادي، بغية إعادة الثقة وتثبيت الشعب الصابر المحتسب وتقوية الروح المعنوية والنفسية أمام حرب إعلامية ونفسية عنيفة، وكذلك تقديم نظرة ميدانية علمية محايدة عن أحداث الحرب من خلال نظرة المؤلف الشخصية كأحد شهود العيان.

- ما الظروف التي ألّفت تحت وطأتها الكتاب؟

- كانت ظروف تأليف الكتاب ظروف استثنائية حادة، فبعد سقوط بغداد وأحداث السلب والنهب فجعت كما فجع بقية العراقيين، مما جعلني في حالة وجدانية وروحية غير اعتيادية، وتحديداً في يوم ٢٠٠٣/٤/١٤ الاثنين صباحاً حين رأيت بعيني عصابات السلب والنهب تسرق كل شيء حتى أسرة المرضى في المستشفيات ورحلات طلاب المدارس والجامعات والمصارف والوزارات والمؤسسات الحكومية المختلفة ثم تحرقها ، فرجعت إلى البيت وقرّرت أن أسجل ما كان من أحداث جسام منذ بدء الحرب في ٣/٢٠ وحتى نهاية شهر نيسان، وقد استمرت كتابتي للكتاب أسبوعين كاملين بمعدل يصل إلى ٢٠ ساعة يومياً دون انقطاع، وأولادي يطبعون ما أكتب برغم الظروف الصعبة وانقطاع التيار الكهربائي، وكنت أجمع ما تراكم في ذاكرتي من معلومات خلال أيام الحرب وأتجول في المناطق المقصوفة والمنكوبة في بغداد والتقي بشهود العيان، وقد اخترت ٥٠ شاهد عيان من أصل ٣٠٠ شاهد. واعتمدت على من أثق بهم وبقدرتهم على وصف ما شاهدوا وعاشوا

من الأحداث والمعارك في بغداد والمحافظات، وقد عشت معارك الأعظمية ساعة بساعة كشاهد عيان ومتابع من خلال وجودي في الأعظمية، وكذلك كنت أذهب بنفسي إلى مكان الأحداث بعد انتهاء المعارك في السيدية والدورة والعامرية وحي العامل والمنصور والبلديات وحي الشعب والتاجي والشعلة وغيرها من مناطق بغداد التي تعرضت للعدوان والقصف والقتال، فتراكم عندي كم جيد من المعلومات والمشاهدات والتحاليل والبيانات التي أسرعت في تدوينها وترتيبها بسرعة فائقة أبهرتني حتى كأنني كنت أشعر بيد العناية الإلهية والسند والتوفيق الذي أراده الله لهذا المشروع الوطني الذي لم يكن بالحسبان والحمد لله.

- هل تعتقد أن هذا الكتاب سيكون وثيقة تاريخية؟.. وهل سترفده بجزء آخر لتكملة مستجدات أوضاع العراق تحت نير الاحتلال؟

-أعتقد جازماً أن يكون لهذا الكتاب أهمية توثيقية وسبق مبكر ودقيق في تسجيل الأحداث التي كانت تدور أثناء الحرب، وأعتقد أن الكتاب يعكس صورة حية وساخنة وميدانية ومحايدة في ترجمة ما كان يجري في الشارع العراقي وما يفكر به الناس أثناء العدوان، وطبيعي أن يكون هذا الجهد جزءاً من جهود أخرى عديدة أتمنى أن تظهر لكتّاب آخرين عسكريين ومدنيين.. مؤرخين ومفكرين وسياسيين.. لتوثيق تلك المرحلة المريرة من تأريخ العراق وهو يشهد الغزو والاحتلال باسم

التحرير والحرية. فلا بد من تضافر وتكامل الأدوار والجهود بين مفكري الأمة، ولا أجد عذراً للقلة المتقاعسة والمتشائمة أو التي ذهبت تنتقد سرعة إخراج الكتاب وسبقه الزمني، فبدلاً أن نلعن الظلام لابد من أن نشعل الشموع لنبني العراق من جديد بالكلمة الطيبة والنبتة الزكية والموقف المبدئي، فلا يحق لهم أن ينتقدوا السبق والإبداع بحجة العجلة أو الحاجة إلى الاستشارة العسكرية والسياسية أو الشرعية، فكفانا لوماً للعاملين الذين أغاظهم الظلم والعدوان الذي حصل فسهروا الليالي وجابوا الطرقات والمدن من أجل أن يعيدوا الأمل والبسمة إلى الجيل القادم واليقين بقدرة الشعب المؤمن الصابر، مستنيرين بالكتاب والسنة وقوة الإيمان في نفوس العراقيين وفي تراث الأمة الزاهر ومستذكرين هزيمة المستعمرين المحتلين ولو بعد حين، ومنها قول الشاعر العربي أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

أما بالنسبة للجزء الثاني من السؤال.. فلا أظن أني سأكتب جزءاً آخر حول الحرب، إلا إذا كانت هناك ضرورة أو حدث قاهر يدفعني إلى الكتابة دفعاً، كما دفعتني الأحداث الرهيبة إلى إخراج تلك الوثيقة التاريخية التي سأعتز بها طوال حياتي، لأنها كانت-برأيي- كلمات صادقة من قلب مكلوم ، ورسالة إلى هذا الشعب الصابر، وإنني برغم

قيامي بتأليف وطبع عشرات الكتب قبل كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة) لم أشهد مثل هذا القبول والرواج الذي حدث مع هذا الكتاب، بحيث بيعت أكثر من خمسة آلاف نسخة منه في بغداد خلال شهر، وهذا الرقم يمثل ثلاثة أضعاف معدل البيع السنوي لأكثر الكتب رواجاً في العراق خلال السنوات الماضية، وقد علمت من القرّاء أن كل نسخة كانت تقرأ من أكثر من ثلاثين شخصاً، في وقت عصيب واستثنائي غابت فيه وسائل الإعلام خلال الحرب وما تلاها.

- الحرب الأخيرة كان صدام يمثل أحد أهم رموزها ما موقعه في الكتاب وما دلالات ذلك؟..

- إن صدام في كتابي كان يرمز إلى التحدي العراقي والعناد والعنجهية والإصرار برغم ما كان يمثله من استبداد وفردية وظلم، وما قام به حزبه الأوحد خلال ثلاثين عاماً من كبت وقمع وعبث. وإن الأمريكان بعدما فشلوا في احتلال البلد في الأسبوع الأول وفق خطة الصدمة والترويع، وبعد ما شهدوا الموقف البطولي الصامد للشعب المجاهد، استخدموا الخطة البديلة في الأسبوع الثالث، باستخدام أسلحة تكتيكية وذات تأثير شامل ومحرمة دولياً بعد معركة المطار الأولى، ومع الحرب الإعلامية والنفسية الموجهة لكسر إرادة الشعب المقاوم والمدافع عن بغداد ومدن العراق الأخرى برغم التخاذل والخيانات التي حدثت وتأثير الجواسيس في تحديد المواقع المهمة بغية قصفها

وتدميرها، كانوا قد وضعوا خطة عسكرية علمية سوقية لشل حركة الجيش والحرس الجمهوري، وذلك بضرب أجهزة الاتصال الرئيسية والمهمة، ومنها البدالات والشبكات السلكية واللاسلكية منذ منتصف الأسبوع الثاني للحرب، حيث علموا أن قوة صدام والنظام كانت تعتمد على ارتباط القاعدة العسكرية والحكومية بالقيادة عن طريق شبكة الاتصالات، وكانت اللحظة التي أنهار فيها نظام صدام هي يوم قصف موقع اجتماع القيادة في المنصور بعدما تسنى لهم تدمير وسائل الاتصال فضلاً عن مواقع القيادة والحرس الأخرى، فخرج صدام من ركام البيت الذي تم قصفه خلف مطعم الساعة، فرداً أعزلاً عن المؤسسات وزعيم مجموعة من الفدائيين، وكان الأمر قد فلت من يده ولم يعد يستطيع السيطرة على الجيش والحرس والوزارات وغيرها من مؤسسات النظام،

- ما هو المحتوى والمضمون العام للكتاب، هل يمكن أن تختصره وبكلمات معدودة معبّرة عن فحوى ذلك الكتاب؟

- إنه ببساطة حالة تجلي وانفعال روحي لمواطن عراقي ذاق مرارة الظلم والاحتلال بطعم العلقم الذي لم يكن يتخيله قبل دخول المحتل إلى بغداد، وإنما قرأ عن ذلك في التاريخ، فكان إخراج الكتاب تعبيراً عن حالة السخط والغضب الهادر على أخطاء الماضي القريب، ورفض الظلم والاستبداد الذي أوصلنا إلى هذا الحال، ثم دعوة المخلصين إلى

الثبات والثقة بقدرتنا كشعب وأمة أنجبت الحسين وصلاح الدين والكيلاني، وعودة الوعي إلى الذات لشعب كابد الظلم والحرمان منذ عقود، كي يعيد بناء البلد من جديد وفق الأسس الصحيحة، بعيداً عن مسارات الظلم والجهل والخرافة والطائفية والعرقية التي أخذها الأعداء أفخاخاً لهذا الشعب الأصيل للدخول في دوامة الصراع والفوضى وضياع الهوية التي أراد الكاتب أن يجعلها عراقية مؤمنة تدعو إلى الوحدة والتعايش البنّاء والحكمة ومقاومة الظلم واللاشرعية.. ولعل الله سبحانه يستجيب لدعائنا ويجمعنا على هدي الدين الحنيف ومنهج الحق والعدل والحرية والسلام.

٤- **كما نشرت مجلة الشناشيل:** مقالاً مقتبساً من الكتاب في صفحة ١٠من العدد صفر بعنوان (أول حوار مع صدام بعد سقوطه أجراه لسان الحال للشعب الجريح) وذلك في ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٣م. ثم نشرت جريدة (اليوم الآخر) نفس المقال المقتبس من الكتاب في مطلع آب ٢٠٠٣م، تحت عنوان: (أول حوار صحفي مع صدام بعد مقتل ولديه) ونقلته حرفياً دون أن تشير إلى المصدر سواء كان الكتاب أو مجلة شناشيل.

٥- **نشرت جريدة الحوار:** في العدد (١٥) بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/٣٠ مقالاً للصحفي العراقي (خضير العقيدي) تحت عنوان (أهم أحداث عام

٢٠٠٣) استعرض فيه أهم الأحداث التي حدثت خلال الغزو الأمريكي للعراق، والمقال هو محاولة لاختصار الكتاب وقد استقى كافة التفاصيل والإحصائيات والتواريخ منه كبدء الحرب ومعارك أم قصر والبصرة والناصرية والأنبار ثم معارك بغداد التي انتهت بسقوطها.. وقد أشار كاتب المقال إلى اعتماده على الكتاب في إعداد تقريره فقال: في أواخر آذار جرت معارك كبيرة في الأنبار والنجف وكربلاء، وتم إسقاط عدد من الطائرات نوع أباتشي في معارك الناصرية والنجف، وأسر وقتل عدد من الجنود الأمريكان على يد قبيلة (ألبو نمر) في الأنبار كما نقل الباحث والمؤرخ علاء الدين المدرس.

### ٦- مقال جريدة سومر:

ردّ المؤلف على مقال جريدة سومر في عددها الثامن الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/٦/١٩ والذي كان بعنوان (الأسطورة والإشاعة في أول كتاب عراقي حول الحرب) بالمقال التالي:-

**لماذا التجريح في النتاج العراقي يا (سومر)..؟.**

نشرت جريدة (سومر) في عددها الثامن يوم الخميس ١٩ حزيران مقالاً حول أول كتاب عراقي طبع في بغداد يتحدث عن أسرار حرب

العراق من خلال شهود العيان العراقيين الثقاة، وجعل كاتب المقال الذي لم يذكر اسمه اسم المقال (الأسطورة والإشاعة في أول كتاب عراقي حول الحرب) ونسب الكاتب التفاصيل إلى إحدى الوكالات الأجنبية وهي وكالة الأسوشيتد برس الأمريكية التي حاورت مؤلف الكتاب في أواخر شهر مايس في مكتبة الرقيم /شارع المتنبي، إلا أن الكثير من التفاصيل التي ذكرها المقال كانت –مع الأسف- فيها نظر، وتتسم طريقة معالجة المقال للكتاب بالتجريح وضعف الأمانة ولا تتمتع بالأصالة العراقية والافتخار بالنتاج العراقي والسبق الصحفي والتوثيقي الذي حققه الكتاب الذي يعد من الكتب الناجحة على المستويين المحلي والعالمي، وقد سجّل أعلى معدل مبيعات بين الكتب العراقية خلال عقدين من الزمن، وهو ينشر تفاصيل الحرب على العراق ويفضح الإعلام الأجنبي الذي كان يحاول تهميش دور الشعب والجيش الذي وقف ضد الاحتلال لولا فشل قيادته المستبدة وأثر الخيانات والجواسيس في الإجهاز على وقفته البطولية. والغريب أن المقال الذي يصدر من جريدة عراقية يحاول التشكيك بالعراقي كشاهد عيان ويجعل من الأخبار التي رواها العراقيون الثقاة أقرب إلى الأسطورة والإشاعة لا لشيء سوى أنها لا تتفق مع رواية الأجنبي للأحداث والمعارك.

والجريدة التي يصدرها الأستاذ حسن العلوي، تستكثر على العراقيين السنة والشيعة وقفتهم البطولية وجهادهم المخلص دفاعاً عن العراق خلال الحرب. ويستشهد كاتب المقال بنزاهة المؤلف وحياديته في تقييمه للأحداث والأخبار المروية في الكتاب ويجعلها مبرّراً للتشكيك في كل الكتاب والتوهين من الكتاب وقيمته التاريخية والتوثيقية، وعدم حثّ الناس على قراءته والتعرف على ما جرى من أحداث رويت بدقة وأمانة، ومروية بطريقة وجدانية وحماسية وقصصية لتشدّ القارئ العراقي ليعرف من ظلمه وكيف ظلمه. ولقد أثبتت الأسابيع التي تلت صدور الكتاب منذ تاريخ صدوره في ٢٠٠٣/٥/١٣ أن الكتاب كان له السبق في أكثر من عشرين خبر وحادث أثبته الكتاب ثم أكدته القنوات الفضائية والإخبارية العالمية، منها على سبيل المثال لا الحصر.. قصة سرقة جدارية السبي البابلي ووصولها إلى إسرائيل بعد سرقتها من المتحف العراقي كما ذكرت قناة الجزيرة، وما جرى في المطار والأعظمية والمنصور، وقصة تواجد صدام حسين في الأعظمية يوم سقوط نظامه في ٤/٩ ولقائه بالجماهير ظهر الأربعاء وبثّه آخر خطاب له من إذاعة متنقّلة محدودة البث على موجة FM الساعة العاشرة ليلاً في نفس اليوم، وهل أن هدف الحرب كان لتحرير العراق أم احتلاله، حيث أكدت أمريكا والأمم المتحدة مبدأ احتلال البلد بعد صدور الكتاب، وأخبار الانفلات الأمني وأعمال السلب والنهب ومن

كان وراءها من أيادي خفية، ووحدة الصف العراقي بقومياته وأديانه ومذاهبه، ومبدأ الحرب العاصفة وتفسير روح العصف بالقوى والدول والمبادئ، ومصير صدام ونظامه وغيرها كثير من المواضيع التي سبق الكتاب غيره في التبكير في وضع اليد عليها والإشارة إلى أسرارها.. ولكن ماذا نفعل لعين الحسد. إننا في هذا الرد الصحفي ننصح جريدة (سومر) أن تكون أكثر دقة وأمانة، وأن لا تشجع أسلوب التجريح الإعلامي والتشهير وإثارة البغضاء بين أبناء البلد بحجة العلمية والنقد العلمي، لكي نصون الحرية التي منحها الله لنا ولا نجعلها أداة تخريب وخصومة.

وأخيراً يحاول كاتب المقال البائس أن يستعدي الأجنبي على مؤلف الكتاب ويصفه بأنه معروف بانتمائه للتيار الأصولي، وكان الأولى أن يقول إنه كاتب عراقي إسلامي وداعية للتقريب والتعايش المذهبي والديني ذو اتجاه مستقل.

إن كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة) –برأيي كمؤلف- كان أشبه بملحمة أدبية وحالة تجلّي كُتبت في وقت عصيب، وقد تضافر شهود العيان العراقيون على خدمة مادة الكتاب والتحقّق من أخباره، ليعبر عن نبض الشارع العراقي وغيرته على بلده، فجاء بتلك الصورة والروح العراقية الأصيلة الصادقة، وفي ختام هذا الرد أنصح كاتب المقال أن لا يتمادى في ذلك التجريح غير المبرر وإلا أصابته لعنة

المتنبي وهو يتحدث عن المذّمة بأنها قد تنقلب إلى شهادة بالفضل إذا كانت تجريح غير مبرر واتهامات بدون أساس[١].

٢٠٠٣/٦/٢٠م.

## ٧- جنون البشر ينتقل إلى أمريكا من إسرائيل

مقال للمؤلف نشر في ٢٠/١/ ٢٠٠٤م.

إن أكبر مفارقة عاشها العالم وعرفها مع مطلع القرن الحالي هي ظاهرة جنون البشر التي تمارسها إسرائيل مع الشعب الفلسطيني منذ عقود، واستطاع شارون وأعوانه في أمريكا من اللوبي الصهيوني وبعض المتصهينين من جماعة الصقور والحزب الجمهوري الحاكم في أمريكا برئاسة بوش، عبر ممارسات وسياسات كاذبة ومقلوبة كثيرة أن ينقل بريد جنون البشر وملف الإرهاب الدولي الجماعي وسياسة القمع والعنف الرسمي إلى حكومة بوش، بعد أن تعهد الأخير للوبي الصهيوني الذي أوصله للحكم بطريقة مبهمة وغير نظيفة أن

---

**[١] بعد الرد على مقال جريدة سومر وإرساله إلى إدارة الجريدة عبر الإيميل توقف صدور الجريدة، وكنت قد فقدت الجريدة، وحاولت الحصول عليها جاهداً لنشر المقال وردّه ضمن هذا الكتاب، ولكني فشلت رغم محاولاتي الحثيثة في البحث عن العدد، وقد سبّب هذا في تأخر صدور الكتاب ثلاثة أشهر لأسباب فنية ومعلوماتية كان البحث عن مقال سومر في مقدمتها، فعذراً للقارئ حين يقرأ الرد دون أن يرى المقال أصلاً.**

يسير على خطى هذه السياسة المحمومة في دولة عظمى وبلد عرف في العالم بأنه راعي الحرية والديمقراطية وراعي الحضارة المعاصرة التي تستند إلى العقل ونتاجه التكنلوجي والثقافي العظيم الذي تمثّل بثقافة العولمة والانترنيت والأقمار الصناعية.. إنها مفارقة عجيبة أن تقوم دولة صغيرة تابعة بدور الناقل لهذا المرض الخطير لدولة عظمى سيدة بمساعدة حفنة من المفكرين والمنظرين الصهاينة الذين قاموا خلال بضعة عقود ببناء نظرية خادعة تقوم بالخلط بين بعض المفاهيم التوراتية ونبوءة أرض الميعاد والشعب المختار وعداء السامية والهولوكوست وأرض الهجرة (أمريكا) للخروج بدين أو مرض جديد وهلوسة واعية خبيثة يقودها صقور أمريكا لتحويل العالم إلى مستعمرة أمريكية تقوم إسرائيل -البنت المدلّلة- بالعبث فيها واستثمارها كما تشاء، ويتم كل ذلك باسم محاربة الإرهاب وباستخدام كل وسائل الإرهاب المعروفة، وباسم تحرير الشعوب وباستخدام كل وسائل القمع والقتل والتزييف الإعلامي وتزوير الحقائق وقلبها، بحيث تصور للعالم كذباً أن يقوم الظالم بدور الضحية، وتقوم الضحية بدور المجرم القاتل والإرهابي السفّاح بعد خلط الأوراق وخلط الأسباب بالنتائج والفعل برد الفعل والجريمة بالدفاع عن النفس، وتقوم أمريكا اليوم في العديد من دول العالم فضلاً عن أمريكا نفسها، كفلسطين وأفغانستان والعراق وكوريا وفنزويلا وإيران وسوريا والسودان

وغيرها، تقوم بتكبيل القوى الفاعلة والحاكمة -بغض النظر عن توجهها- وإغراء القوى المعارضة والقوى الخاملة والأقليات لإعادة تفعيلها وإخراجها إلى سطح السياسة الدولية لكي تؤدي دورها في تدمير السيادة والهوية والثقافة والتنوع الحضاري والديني في هذه البلدان وإثارة الفتن والحروب الأهلية والنزاعات العرقية والطائفية لكي تجني ثمارها في النهاية ومن ورائها إسرائيل، كما تحاول استثمار أي حدث في العالم لصالح هذه السياسة الخطرة على السلام العالمي والحضارة المعاصرة، كما حدث بعد أحداث ١١ أيلول وتفجيرات الرياض والدار البيضاء وغيرها،في بلد يدعي الصدارة بين الدول التي تدعوا وتسعى إلى السلام العالمي وبناء الحضارة الإنسانية المثلى، حيث تسعى الإدارة الأمريكية إلى السيطرة على مقدرات الأمم عبر سياسة مجنونة لا تستند إلى الشرعية الدولية. إنها صورة شيطانية بشعة وسياسة متغطرسة متجبرة يحلم بها البعض في أمريكا في ظل نظام القطب الأوحد الذي رشّحهم له تهشّم النظام الشيوعي ودولته العظمى السوفيتية وتخدّر أوربا بعد الحرب العالمية الثانية واتكالها أمنياً على حليفها الفتي (أمريكا).. ولا نغالي إذا ما أطلقنا على هذا التوجه الأمريكي الجديد (جنون البشر) وجنون أمريكا المعاصر يحمل لواءه الرئيس الأمريكي الحالي وحزبه وأنصاره من الصهاينة والمتصهينين.. ولا بد للإنسان المتحضّر أن يعود إلى عقله ووعيه

ويشعر بحاله وشذوذه عن الآخرين ليتخذ التدابير الحقيقية لإعادة التوازن العالمي وإرساء السلام الحقيقي بعد أن يتوقف عن جنون الإرهاب والتطفيف الدولي والحروب العدوانية التي تمارسها أمريكا في بلدان ومناطق عديدة في العالم في مقدمتها بلاد العرب والمسلمين، وأن ترفع يدها وأسلحتها القمعية الجديدة عن المستضعفين وتطلق يد الشعوب في تقرير مصيرها، وتفرج عن أسرى هذا الجنون المحموم وتعيد الحرية الحقيقية وتسمح بالتعددية الحضارية في العالم بدل صدام الحضارات التي روجت له على يد مفكريها المتكبرين أمثال صموئيل هنتكتون (مؤلف كتاب:صدام الحضارات) وفوكوياما (مؤلف كتاب:نهاية التاريخ) وهنري كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون والخبير الإستراتيجي في السياسة الأمريكية ومهندس حرب فيتنام وصاحب المقولة التوراتية حول العراق (إن مشكلتنا نحن الغربيون ليست مع صدام بل مع العراق، هذا البلد القوي. ربما يأتي أحد بعد صدام ويقوده باتجاه مضاد لمصالحنا في الشرق الأوسط وعليه يجب تحطيم العراق) ورتشارد بيرل المستشار الحالي للرئيس بوش وصاحب مفهوم (محور الشر) الذي أطلق على العراق وسوريا وإيران ومهندس الحرب على العراق وبنيامين نتن ياهو الإسرائيلي (مؤلف كتاب: مكان تحت الشمس) وغيرهم من المنظرين والمفكرين الأمريكان والصهاينة الذين جذّروا وسوّقوا مفهوم السيادة المطلقة

لأمريكا على العالم وقوتها الأبدية العظمى.. وإذا أصرّت الإدارة الأمريكية على سياستها المتجبرة والمتعالية فعليها أن تواجه مصيرها المرتقب ولو بعد حين، مصير الفناء الحضاري والانهيار الاقتصادي والسياسي المفاجئ الذي سيعيدها في آخر الركب البشري، إذ لا مكان للمجانين في وسط العقلاء.. إن هذه السياسة واستمرارها مما سيقرره الشعب الأمريكي في الانتخابات الأمريكية القادمة، فهو إما أن يختار العقل والعدل أو الجنون والانتحار. وقبل أكثر من قرنين من الزمن تنبّأ مؤسّس الدولة الأمريكية ومحرّرها من الاحتلال الإنكليزي (بنيامين فرانكلين) بأن الخطر اليهودي على أمريكا قادم وإن الأمريكان إذا لم يقوموا بما يلزم لتحجيم دور اليهود وإيقاف تغلغلهم الاقتصادي والسياسي في أمريكا، فإن الأمريكان بعد زمن ليس بعيد سيصبحون عبيداً لليهود وسيجدون أحفادهم يعملون كخدم في مزارع ومصانع اليهود، وقد تحققت هذه النبوءة بالهيمنة الصهيونية السياسية والاقتصادية والإعلامية على الإدارة الأمريكية والرأي العام الأمريكي، وهو ما يحصل اليوم في أمريكا وكيف أن الجندي الأمريكي يقاتل بالنيابة عن المخطط اليهودي، ويقوم بالدور الصهيوني في خارج أمريكا وكيف يهيمن المال والإعلام الصهيوني على العقل الأمريكي في داخل أمريكا.

إن العقد القادم من هذا القرن سيشهد افتضاح حرب الأكاذيب التي بلورتها الصهيونية في لا شعور الرأي العام الأمريكي والعالمي فيما يسمى بحرب الإرهاب ضد العرب والمسلمين وخلط الأوراق والسيطرة على الماكنة الإعلامية العالمية لتصوير الحقيقة كما يريدها هؤلاء الأبالسة، وسياسة تكديس الثروة والقوة لدى عصابات الربا والاحتكار الدولية، فيتوقع البعض أن تقوم ثورة عارمة يقوم بها الشعب الأمريكي الأصيل بعد كشفه حقيقة هؤلاء الوحوش الكاذبين والمجانين المحتكرين للسلطة والقوة والمال العالمي والساعين للسيطرة على العالم والمروّجين للخداع والتزييف وقلب الحقائق وحثّ العالم المسيحي للتصادم مع العالم الإسلامي حضارياً وسياسياً، وسيجتث هؤلاء –بإذن الله- هذا الزبد الباطل ليقيموا النظام العالمي المتعدد الحضارات والثقافات الخالي من الزيف والتطفيف وتجاوز حقوق الإنسان وسرقة مقدرات الشعوب.

# الرئيس بوش وكذباته الخمسة لتبرير غزو العراق

صدر كتاب في أمريكا بعنوان (الكذبات الخمسة التي قصها لنا بوش بشأن العراق) وكانت هذه الكذبات هي المتّكأ التي بنا البيت الأبيض

سياسته الخارجية على أساسها لشن الحرب علـى العراق. والكذبات هي..

١- امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل.

٢- علاقة العراق بتنظيم القاعدة.

٣- محاولته شراء اليورانيوم من النيجر.

٤- تهريب أسلحة الدمار الشامل العراقية إلى سوريا.

٥- العـراق يشـكل خطـراً علـى الأمـن القـومي الأمريكـي والأمن العالمي.

وقد قام بتأليفه ثلاثـة من الكتـاب الأمـريكيين وهم (كرسـتوفر سـكير ولاكشيمي جودري وروبرت سكرير).

**جريدة الحوار، العدد ١٧في ٢٠/١/٢٠٠٤م.**

## أصداء وأضواء حول تداعيات الحرب العاصفة:

من أغرب تداعيات مشكلة التلاعب بملف أسلحة الدمار الشامل العراقية في واشنطن ولندن لتبرير الحرب على العراق، إن كل من جورج بوش وتوني بلير قد أعلن كل على حدة في مطلع شباط ٢٠٠٤ عن قرارهما لتشكيل لجنة متخصصة وفتح تحقيق في ملف الأسلحة الشاملة العراقية وحول المعلومات الاستخباراتية عنها والتأكد من خلو العراق من تلك الأسلحة، وهذه هي المرة الأولى التي تتفق الإدارتان الأمريكية والبريطانية على إجراء خطير ومتشابه يوحي باعتراف كل من بوش وبلير بأن مبرر الحرب الأساسي كان وهم وكذبة تم إقناع الشعبين بها لدخول الحرب.. والطريف أن استراليا قد تبعت حليفتيها في إجراء شبيه وبعد يوم واحد من قرار كل من بوش وبلير لإجراء هذا التحقيق السياسي الفريد من نوعه- وقد تحل لعنة الكذب والتزييف الإعلامي أيضاً بحكومة أسبانيا الحليف الرابع في الحرب- من أجل الخروج من المأزق العراقي وتهمة الكذب المتعمد الذي مورس قبيل بدء الحرب على العراق وتحميل هذه التهمة والجريمة الأخلاقية والسياسية لأجهزة المخابرات والاستخبارات ووضعهما ككبش فداء للخلاص من ذلك الموقف المدان شعبياً ودولياً. ويأتي ذلك بعد سلسة التطورات والتداعيات التي طفت على سطح الإعلام العالمي بعد

فضيحة مقتل خبير الأسلحة البريطاني ديفيد كيلي في ٢٠٠٣/٩/١٨ بعد نشر وكالة الأخبار البريطانية BBC أخباراً عن تورّطه في ملف الأسلحة العراقية وتضخيم المعلومات التي تم تسليمها إلى الحكومة، ثم استقالة المستر كامبل مستشار بلير في تشرين الثاني الماضي ليمثل دور كبش الفداء لإنقاذ ماء وجه بلير وإدارته، ثم جاء تقرير قاضي المحكمة المكلفة بالتحقيق في الموضوع (اللورد هالتون) وتبرئة المحكمة لإدارة بلير وإدانة وكالة الأخبار البريطانية الـBBC ومحررها السيد كاليكان الذي نشر تصريحات ديفيد كيلي، مما أدى إلى استقالة رئيس الوكالة ومديرها العام والمراسل الصحفي كاليكان في ٢٠٠٤/١/٢٠م مما ولّد أزمة ثقة حقيقية بالحكومة وخروج مظاهرات تؤيد الـBBC وتدين الحكومة الكاذبة، وأخيراً وليس آخراً اتهام وزيرة التنمية السابقة في الحكومة البريطانية كلير شورت حكومة بلير بالتجسس على الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة كوفي عنان قبيل بدء الحرب على العراق، وبروز أزمة سياسية جديدة في بريطانيا وذلك بتاريخ ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٤م، وتأييد كل من هانس بليكس ورتجارد باتلر ( رئيسا فرق التفتيش على الأسلحة العراقية التابعة للأمم المتحدة) لما جاء على لسان الوزيرة البريطانية (شورت) وتأكيدهما على أن أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية قد قامت بالتنصّت عليهما وعلى اتصالاتهما بالأمم المتحدة والحكومة العراقية قبل الحرب. إن هذه

التداعيات الخطيرة وأزمة الثقة بالحكومة ومصداقيتها أمام الشعب البريطاني هي التي دفعت بلير إلى اتخاذ قرار التحقيق في مدى صحة المعلومات الاستخبارية المقدّمة حول الأسلحة العراقية المزعومة، للخروج من المأزق السياسي ومحاولة استعادة الثقة بحكومته المتأرجحة برلمانياً وشعبياً.

في نفس الوقت كانت التداعيات في واشنطن تأخذ منحاً مشابهاً رغم هيمنة الصقور وتيار بوش اليميني المتطرف على الإدارة والإعلام ورغم تأكيد دونالد رامسفيلد وكوندا ليزا رايز ورتشارد بيرل وأضرابهم على صحة سياسة إدارة بوش إزاء العراق وصحة مبرّرات الحرب.. إلا أن التفاعل الخفي والمتسارع للأزمة كان يزيد الموقف توتراً داخل أروقة الإدارة الأمريكية مع اقتراب فترة الانتخابات الرئاسية والتنافس على أبواب البيت الأبيض، والاستعداد الحازم المتماسك والمنظّم للحزب الديمقراطي المنافس للحزب الجمهوري الحاكم لاقتحام هذا البيت الذي يحكم أمريكا والعديد من بقاع العالم، لاسيما بعد فضيحة التلاعب في ملف الأسلحة العراقي في أجهزة المخابرات الأمريكية وكذبة شراء اليورانيوم من النيجر التي اتهم بها جورج تينت مدير المخابرات الأمريكية وجهازه المكلف بملف الأمن القومي الأمريكي، واعتراف الرئيس بوش بأنه استلم معلومات مضخّمة دون أن ينبّه ودون علمه حين أعلنها في خطابه أمام الأمة

الأمريكية قبيل بدء الحرب، في فضيحة إعلامية وكذب على مستوى عالٍ تماماً كما ظهر كذب معلومة الـ٤٥ دقيقة التي يحتاجها العراق لضرب أمريكا وبريطانيا وإسرائيل بالأسلحة الشاملة المحظورة التي جهّز بها بلير في لندن من قبل أجهزة استخباراته بالتنسيق مع بعض عناصر المعارضة العراقية وبالاعتماد على معلوماتهم عن العراق، والتي أدلى بها رئيس الحكومة البريطانية قبيل الحرب وبغية تبريرها أيضاً، ثم استقالة رئيس فرق التفتيش الأمريكية في العراق د. ديفيد كي بعد انسحاب أكثر من ٤٠٠ خبير أسلحة من العراق في أواخر شهر كانون الثاني ٢٠٠٤م وإعلانه خلو العراق من الأسلحة الشاملة ودعوته إلى إجراء تحقيق حول ملف الأسلحة والأكاذيب التي تم تسريبها للحكومة لتبرير شن الحرب ومحاسبة من يقف وراءها ودعوته للحكومة الأمريكية للاعتراف بالخطأ الذي ارتكبته وهو قرار الحرب الذي جاء بناءاً على معلومات خاطئة وغير دقيقة، وقال انه من الشجاعة الاعتراف بالخطأ وتغيير السياسة الحالية التي ولّدها هذا الخطأ، مما اضطرّ بوش في أن يعلن عن قراره بتشكيل لجنة قانونية للتحقيق في ملابسات هذا الموضوع بتاريخ ٢/٢/٢٠٠٤م لكي يحمي سمعته التي باتت تتهاوى في مستنقع الكذب والتزييف والتي ستؤدي حتماً إلى تدهورها وتؤثر سلباً على شعبيته التي هي عماد فوزه في الانتخابات القادمة.

إن هذا التزامن بين القرار الأمريكي والبريطاني يؤكد حقيقة المأزق الذي يعيشه الشريكان بوش وبلير بعد مجازفتهما بالدخول في المستنقع الملتهب ويؤكد البديهية التي تقول إن حبل الكذب قصير، وإن الزبد لابد أن يذهب جفاء ولا يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس، وسيأتي الكذب والدجل على أكذوبة الإرهاب وأكذوبة تحرير الشعوب وهوس الهيمنة على العالم باسم العولمة والنظام الدولي الجديد وعلى كل ذلك الغثاء الشيطاني إلى مزبلة التاريخ، وسيجد الكاذب مهما كان كبيراً وعظيماً أنه في قعر الظلمات ومخلّفات الحضارة البشرية وإن غداً لناظره لقريب.

إن المؤشرات الحالية في شباط ٢٠٠٤ وبعد مضي أكثر من تسعة أشهر على سقوط بغداد وانتهاء نظام صدام في ٢٠٠٣/٤/٩م واعتقاله في ٢٠٠٣/١٢/١٣م، لاسيما ظاهرة الإدانة الشعبية لدى دول التحالف لقرار الحرب على العراق وافتضاح كذبة أسلحة الدمار الشامل العراقية واتهام أجهزة المخابرات والاستخبارات بافتعالها وتضخيمها، وفتح تحقيق متزامن في كل من واشنطن ولندن وملبورن (استراليا) حول صحة المعلومات المخابراتية التي قدّمت من قبل تلك الأجهزة إلى الحكومات الثلاث، وإدانة المرشح الديمقراطي (جون كيري) لقرار الحرب وتأكيده الانسحاب من المأزق العراقي في حال فوزه على بوش في انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة. كل تلك التداعيات السياسية

والعسكرية والاقتصادية لاسيما بعد استمرار المقاومة العراقية بعد اعتقال صدام واستمرار الفوضى الأمنية ومظاهر الجريمة المنظمة والاغتيالات والأزمات الخانقة في العراق كلها تشير إلى وجود عدد من العقد والتطورات المهمة في المشهد العراقي يمكن تحديدها في نقاط أو استنتاجات متوقعة هي:-

١. من المحتمل جداً أن تنتهي تداعيات الحرب بسقوط كل من بوش وبلير بعد استمرار تدني شعبيتيهما وبعد الفضائح السياسية التي أحاطت بهما والتشكيك في صدقهما ونزاهة إدارتهما لتبرير هذه الحرب التي كانت تصب بالدرجة الأولى في صالح إسرائيل واللوبي الصهيوني وتجار الحروب في أمريكا. وإن سقوطهما في الانتخابات سيكون نصر حقيقي للعراق المحتل والمتضرّر الأوحد من هذا الغزو الاستعماري، وهو نهاية سعيدة لهذه الحرب تثلج قلب كل عراقي وطني بغض النظر عن الخسائر الجسيمة والانهيار الأمني والاقتصادي الذي أصاب العراق من جراء هذا الحرب، وبغض النظر عن البديل عنهما، وان كان الأفضل من ينصف العرب والمسلمين ويحترم العدل والسلام الدوليين.

٢. عدم شرعية مجلس الحكم المحلي العراقي وانزوائه في زاوية التبعية والتحالف مع سلطة التحالف بسبب عدم شرعية الحرب أصلاً ثم سلطة الاحتلال ثم شرعية المجلس كتحصيل حاصل.

٣. حضور ظلال الفتنة والحرب الأهلية المتوقعة والتي يحاول العراقيون منعها بكل أطيافهم وأحزابهم وتياراتهم رغم محاولة الأجنبي تغذيتها، ولا يمكن درأها بغير وحدة الصف وروح الأخوة والتعاون والتكامل والصبر على جهالة الجاهلين وظلم ذوي القربى، والدعوة إلى (عراق مؤمن موحد مستقل) بغض النظر عمّن سيحكمه، وشجب النَّفَس العرقي والطائفي والإباحي المندس، الذي يسعى إلى الفساد والتغيير الديموغرافي والتطهير العرقي الذي يتبناه أتباع الشيطان.

٤. إن المقاومة العراقية التي بدأت في منتصف شهر مايس الماضي وازدادت وتيرتها حتى وصلت إلى أقصى معدلاتها في شهر نوفمبر الماضي بحيث وصلت عدد عملياتها ضد قوات الاحتلال إلى خمسة وثلاثين عملية يومية باعتراف سلطة الاحتلال نفسها.. أن هذه المقاومة ورغم أن قيادتها غير معلنة ولا معروفة، إلا أنها –على الأرجح- سيكون لها دور أساسي في مستقبل العراق السياسي خلال الفترة القادمة، وستضطر سلطة الاحتلال إلى التعامل معها باعتبارها تيار رئيسي للشعب العراقي، لاسيما وأن المثلث المقاوم قد تحول الآن إلى مربع حول بغداد، وإلى مستطيل شمل العراق كله بعربه وكرده وسنته وشيعته، ويبدو أن المقاومة المسلحة التي ولدت بعد الحرب هي مقاومة عراقية ضد الاحتلال يؤجّجها الدافع الوطني بالدرجة الأولى وليس

للدافع الديني الخارجي أو العربي الخارجي إلا دور ضئيل لا يقارن مع الدافع الوطني العراقي الذي ضم الكثير من شباب العراق بكل أطيافه.

٥. إن الورقة العرقية والطائفية التي لها وجود فاعل في شمال العراق وجنوبه هي ورقة غريبة عن العراقيين تحاول سلطة الاحتلال تضخيمها وتفعيلها ابتداءً من إنشاء مجلس الحكم الانتقالي على أساسها ثم التشكيل الوزاري العرقي والطائفي ثم التشكيل السياسي والحزبي القائم الآن في عراق ما بعد الحرب، إن كل ذلك محاولات بائسة لتفعيل النزعة الطائفية والعرقية في العراق أملاً في إشعال الحرب الأهلية ووصولاً إلى تقسيم العراق على الأساس العرقي والطائفي، ويبدو أن بعض الذي خدعوا ببريق الامتيازات والسلطات والثروات التي يحلمون بها لوراثة العراق الغني بأرضه وشعبه ونفطه وثرواته المعروفة سيأكلون أصابعهم من الندم لدخولهم في لعبة خطرة وحساسة أكبر بكثير من حجمهم وإمكانياتهم المحدودة، تماماً كما تورطّت بعض الأنظمة والدول والقوى المحيطة في لعبة الحرب التي أحرقتهم وشوهت سمعتهم وستسقط حلفائهم في واشنطن ولندن، وان هذه النار التي أشتد أوارها وهذه الحرب التي عصفت بالمنطقة والعالم وبالشرعية الدولية والموازنات السياسية والمواثيق التي أبرمتها الأمم والشعوب منذ إنشاء عصبة الأمم ثم منظمة الأمم المتحدة.. ستحرق كل الأرض التي تحت أقدام الطامعين فيها، وسيكشف قانون التدافع وسنة

الزبد وحكمة قِصر حبل الكذب كل من تآمر على العراق وشعبه وعلى السلام العالمي ولا يصح في النهاية إلا الصحيح ولا يحق غير الحق وسيحيق المكر السيئ بأهله إن شاء الله.

٦. أن الصراع والتصادم بين شعب العراق وبين التغلغل اليهودي الصهيوني في المنطقة الناجم من احتلال العراق والتحالف الأمريكي الصهيوني، وهذه الحرب الباردة، ستسير جنباً إلى جنب مع الصراع في فلسطين والحرب على الإسلام في أمريكا وأوربا باسم الإرهاب حتى يحين الوقت وتنكشف الصلة الوثيقة بين الصهيونية والإرهاب وسيكون الحق في النهاية هو المنتصر بعد أن تسقط الأقنعة وتعلم الأمم والشعوب في أمريكا وأوربا والعالم العربي والإسلامي من هم دعاة السلام والخير والتعايش ومن هم دعاة الإرهاب والشر والحروب التي تهلك الحرث والنسل وذلك ليس ببعيد.

## ملامح التغيير الديموغرافي ومخاطره في عراق ما بعد الحرب

لا شك أن هذه الحرب اللاشرعية وحالة غياب السلطة في العراق خلال فترة ما بعد الحرب ستعصف بالتشكيلة الديموغرافية[1] للشعب العراقي كما عصفت ببقية الملفّات والثوابت الأمنية والسياسية والاقتصادية.. سواء المحلية أو الإقليمية أو الدولية. إلا أن الملف الديموغرافي في العراق له خصوصية وتشعبات وتعقيدات قد تكون السبب في تفجير كل الملفات والأزمات الخاملة والخامدة منذ عقود طويلة، ولعل مثل البيضة والدجاجة ينطبق على هذا الملف أكثر من غيره، فليس من السهل الحكم أيهما يأتي بالآخر، هل إن السلطة تولّد التغيير الديموغرافي أم التغيير الديموغرافي يولّد السلطة أو يسلّم السلطة إلى الأكثرية التي تنشأ بفعل هذا التغيير.. كما أن حسابات

---

**[1] قصدنا هنا الإشارة إلى الجانب السكاني والإحصائي للتغييرات المتوقعة والحاصلة على عراق ما بعد الحرب، ولذا استخدمنا مصطلح (ديموغرافي) للتدليل على ذلك، ولم نستخدم مصطلح (ثيوغرافي) الذي يشير إلى الجانب العرقي والديني والطائفي وإلى وجود صراع وتصادم بين القوميات والأديان والطوائف وهو ما لم يحدث في العراق بتلك الصورة وإنما هي نزاعات واختلافات متوقعة حول النسب السكانية وتدقيق للإحصاءات العرقية والدينية ضمن الوثائق والملفات التي خلفها النظام السابق.**

سلطة الاحتلال لهذا التغيير وتأييده أو شجبه حسب ما يحقق لها من مكاسب ويتطابق مع مصالحها التي جاءت من أجلها أمر في غاية التعقيد وصعوبة الإدراك والتحديد، فالعراق بعد غياب السلطة لابد أن يواجه تغييرات ديموغرافية لا بد أن تكون متصارعة أو متضادة أو متعاكسة تفرضها عليه صفة التنوع العرقي والديني والمذهبي، وجهل هذه التيارات والفئات بخطورة هذه اللعبة السياسية المبنيّة على المنظور الميكافيلي المصلحي، وليس على أساس الحق والعدل والشرعية والقانون، كما أن إمكانية سلطة الاحتلال الهائلة وذكائها الشديد وخبرتها العتيدة في اللعب على هذه الورقة وتجييرها لمصالحها، كل ذلك سيكون له ثقله في تلك المعادلة الخطرة، وإذا أردنا أن نستشرف الأطياف الداخلة في هذه اللعبة والتي ستكون سلطة الاحتلال هي الحكم فيها كبديل عن السلطة المفقودة، وهي الأطياف التي كانت متضررة والتي كانت مستفيدة في ظل النظام السابق على السواء، فسلطة النظام السابق كانت قد مارست نوعاً من التغيير الديموغرافي المحدود لصالح العرب على حساب الأكراد والتركمان والفرس، فسياسة التهجيرات والتعريب والمناقلة السكنية كانت موجودة في العراق منذ الحرب الإيرانية وحتى الحرب الأخيرة بل ربما قبل هذا التاريخ أيضاً. ومهما كانت مبررات النظام للحفاظ على التوازن الأمني والسكاني وإيجاد حالة من الاستقرار ومواجهة مخاطر الحدود

الإقليمية، إلا إنها لم تكن كافية لتفسير ما جرى لآلاف الناس من العراقيين المهجرين، ورغم أننا كعراقيين كنا ولازلنا نشجب مثل هذه الممارسات العنصرية كما يبرأ الدين منها، إلا إنها لا يمكن مقارنتها مع ما يجري اليوم من ممارسات في الخفاء لتغيير الوضع الديموغرافي (السكاني) في العراق وبشكل حاد وعنيف، ويستخدم أقذر الوسائل وأكثرها فداحة وظلماً بدءً من التهجير المنظم والاستحواذ الاقتصادي والقتل والتصفية وسفك الدماء سواء النوعي أو الكمي كل ذلك من أجل الوصول إلى النسب المقدرة سلفاً للأعراق والتيارات والطوائف والتي يجب أن تحكم الساحة العراقية، وأمامنا المثل الإيراني والتركي والكردي ومثل كركوك والبصرة وبغداد من الأمثلة التي فاحت رائحتها بشكل مقزز ومخزي لكافة الأطراف التي دخلت اللعبة والتي تحاول أن تمارس هذا التغيير القسري لدوافع سياسية وعرقية ودينية، وإذا أردنا أن لا نعمم ذلك الخلل في التفكير والسلوك العنصري، فنستثني بعضاً من أصحاب القرار في تلك التيارات سواء في داخل العراق أو خارجه، فلابد أن نحكم بتورط البعض الآخر، كاتجاهات أساسية موجودة في العراق ولها إمتداداتها خارج حدوده باتجاه المناطق الشمالية والشرقية، ولابد من القول أن ممارسة التغيير العرقي لدى العرب المتاخمين لحدود العراق الغربية والجنوبية تأتي بالدرجة الثانية كرد فعل لما يجري من فوران سكاني وتنافس عرقي

في كركوك والبصرة مثلاً، فالعرب لهم امتداداتهم أيضاً في الغرب والجنوب خارج حدود العراق الذي فقد حدوده الرسمية منذ سنة تقريباً، فاتحاً أبوابه المحطمة لكل من هب ودب وربما بمباركة من سلطة الاحتلال أحياناً وحتى بدون التفكير في وضع ضوابط فعّالة لهذه الحركة الدائبة على حدوده، وحين يكون الكلام عن التغيير الديموغرافي، فإننا مضطرون لعدم الالتفات لم يدخل العراق من جهاته الأربع لغرض تفعيل المقاومة الإسلامية أو نصرة القاعدة أو لتصفية حسابات قديمة مع سلطة الاحتلال الأمريكي وهم ليسوا قلة بداهة، لكننا في الوقت نفسه لا يمكن أن نشك في الاستنتاج الذي يفرض نفسه علينا جاعلاً من أمريكا واحتلالها للعراق السبب الرئيسي لكل تلك التغييرات التي ستفرض عليه سواء بقصد وتخطيط من المحتل أو رغماً عنه، كما إننا لا يمكن أن نغفل عن محور آخر لا يقل أهمية عن محاور التغيير الديموغرافي التقليدية في العراق، إلا وهو المحور اليهودي والصهيوني. إن التغلغل اليهودي في العراق ربما سيكون أكثر دقة وانتظاماً وخطورة على مستقبل البلد، ذلك لأنه مرتبط بالفكر الإستراتيجي الصهيوني في الشرق الأوسط أولاً وبأمن إسرائيل البعيد ثانياً وله بعد ديني وسياسي مغاير لما يمكن أن يؤدي إليه الصراع الديموغرافي بين المسلمين أنفسهم بغض النظر عن أعراقهم ومذاهبهم. وربما يكون المحور المسيحي هو الأضعف بين المحاور

الأخرى حالياً على الأقل، لأن المسيحيين العراقيين قد مارسوا الهجرة المعاكسة خلال الثمانينات والتسعينات بمحض إرادتهم، وفضلوا العيش في أوربا وأمريكا وكندا منذ عقدين تقريباً، وهم من العراقيين المرحّب فيهم في البلد سواء سابقاً أم حالياً، نظراً لنسبتهم القليلة وتمركزهم في مناطق محددة في المدن الكبيرة المعروفة. ونظراً لخطورة هذا التغيير وتأثيره المباشر على نتائج الانتخابات واختيار نوع السلطة المقبلة في العراق، فإن إهماله وعدم التعامل معه بحذر قد يفجّر وضعاً مأساوياً في العراق من شماله إلى جنوبه، يكون أقلّه قيام حرب أهليه طاحنة تمهيداً لتقييم العراق، وأعلاه قيام سلطة عنصرية مستبدة تستعبد بقية الفئات والتيارات والقوميات، ولا أمل في حل عادل لهذه الأزمة المتوقعة بعد سقوط السلطة المركزية وتآكل حدود العراق الإقليمية الرسمية إلا بقيام سلطة بديلة واعتماد الإحصاءات الدقيقة السابقة ومعالجة المشاكل المتبقية التي نجمت عن الوضع الشاذ السابق وفق منظور الشريعة والقانون، أي سيادة إحصاء البطاقة التموينية والقانون المتفق عليه، على تقوم الأمم المتحدة بالإشراف على التطبيق كما تقوم بالإشراف على نقل السلطة سواء المؤقتة أو الدائمة.. أما إذا ما ترك الحبل على الغارب وأهمل الموضوع فستكون الفتنة والفوضى وربما التصادم الدموي للإرادات والقوى الموجودة على الساحة العراقية –لا

سمح الله- وأهم تلك القوى التي سيكون لها حضورها السياسي من خلال نفوذها والكتل المنتمية لها هي:-

١- النفوذ الإيراني الذي سيعمل على زيارة نسبة الفرس وسط الشيعة وزيادة نسبة الشيعة وسط العراقيين ووسط بغداد، بالوسائل المتاحة السرية والعلنية.

٢- النفوذ الكردي الذي سيعمل على زيادة نسبة الكرد في المناطق المحاذية لكردستان العراق ومحاولة الضغط على باقي الأعراق سواء بطردهم أو تصفيتهم والعمل على زيادة نسبة الكرد في بغداد وباقي المدن ذات الأقلية الكردية، وبالوسائل المختلفة المتاحة أيضاً.

٣- النفوذ الإسرائيلي الذي سيعمل على إعادة اليهود العراقيين ومثليهم في ظل غياب السلطة والقانون واختفاء الوثائق بعد حرقها ونهبها بعد الحرب، وإعادة التمركز التجاري والثقافي والسياسي اليهودي في بغداد والمدن الكبرى الأخرى. لربط سياسة العراق بالمصالح الإسرائيلية وإقامة السوق الشرق أوسطية التي يفترض أن يكون مركزها إسرائيل وسوقها الأكبر العراق ومصر والخليج.

٤- النفوذ التركي الذي سيعمل على إضعاف النفوذ الكردي في كركوك والموصل وبغداد وإجهاض مشروعه الفيدرالي ودعم الوجود التركماني في العراق بكل أشكاله وزيادة نسبته بالطرق المتاحة والتي تسمح بها الظروف.

٥- النفوذ العربي الذي ستحاول بعض الدول العربية تقويته كرد فعل للضغط الديموغرافي الذي يتعرض له العنصر العربي في عراق ما بعد الحرب، فيحاول أن يدعمه في الوسط السني والشيعي ويدعم مشاريع الوحدة والتقريب المذهبي، كما يحاول التأثير على التيار الكردي بتوسيع وتجذير الروابط الأخوية بين العرب والكرد لاسيما بين السنة من الطرفين وكذلك مع التركمان كما سيعزز هذا النفوذ صلته بالعرب الشيعة في الجنوب في مقابلة النفوذ الإيراني الضاغط عليهم باتجاه الولاء المذهبي لإيران. ولكن من المتوقع أن يكون النفوذ العربي نفوذ مسالم فيما عدا التيار الإسلامي العروبي المتشدد الذي قد يمارس العنف كرد فعل لمواجهة العنف المتوقع من التيارات الأخرى.

إن هذا الصراع الدموي المتوقع والذي يخشى العراقيون من عواقبه، يمكن تجنبه ببساطة بالإسراع بإيجاد سلطة وطنية قوية وإجراء انتخابات شاملة بإشراف المنظمة الدولية واعتماد الوثائق والإحصاءات السابقة الخاضعة للنقد والتصحيح القانوني المحدود، وذلك يعتمد أولاً وأخيراً على سياسة سلطة المحتل التي أسقطت السلطة السابقة دون أن توفر البديل كما فعلت في أفغانستان حيث نصّبت حامد كرزاي الموالي لها على السلطة المحلية بعد الحرب مباشرةً.

منشورات دعاة السلام

(١)

# تحت رماد الحرب العاصفة..!!؟

## *( أسرار حرب العراق )*

**خمسون شاهد عيان ثقة على أحداث الحرب العدوانية**

**على العراق خلال ثلاثة وأربعين يوماً**

**من** ٢٠\٣-١\٥\٢٠٠٣م.

ذكريات ساخنة ورؤى لشاهد عيان على جريمة العصر

والأهوال التي شهدتها بغداد وما حولها

أبان الغزو الأمريكي على العراق.

**بقلم**

**علاء الدين المدرس**

**دار الرقيم للنشر والتوزيع**

**بغداد- شارع المتنبي**

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الطبعة الأولى

اليوم الاثنين ١٤ /٤ /٢٠٠٣[١] هو اليوم الذي آثرت أن أبدأ الكتابة فيه وأسجل بعض الذكريات المؤلمة عن أيام الغزو الأمريكي وحربه المدمّرة لبلدي العراق تحت غطاء مزيّف يخلو من أي شرعية قانونية أو أخلاقية أو حضارية ... غطاء الحرية والديمقراطية وغطاء نزع أسلحة الدمار الشامل من النظام العراقي الذي كان يحكمه صدام منذ أكثر من ثلاثين عاماً حكماً فرديّاً في ظل الحزب الواحد الذي أوصل البلاد إلى ما وصلت إليه، بسبب فقدان التعددية والمؤسسية والدستورية، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون مبرراً كافياً ولا غطاءً شرعياً للغزو والتدمير الذي عشناه خلال الأسابيع الثلاثة الماضية ... والآن ونحن على أعتاب نهاية هذه الحرب التي أتوقعها غداً بعد أن سقطت آخر قلاع النظام البعثي (تكريت) اليوم الاثنين ٤/١٤ بأيدي التحالف الأمريكي البريطاني، وبعد ستة أيام من سقوط نظام صدام يوم الأربعاء الماضي، ربما يكون الوقت الآن مناسباً

**[١] وهو اليوم الذي يمكن تسميته بأنه يوم حرق بغداد بعد احتلالها في ٢٠٠٣/٤/٩ لكثرة البنايات والدوائر والمؤسسات الحكومية والخدمية التي أحرقت على يد أعداء مجهولين سيكشف لنا التاريخ عن دورهم المشبوه ومؤامرتهم الأثيمة لتدمير البلد وحضارته وبنيته التحتية.**

لتسجيل بعض الذكريات والقناعات والتحليلات وآراء شهود العيان عما حدث ودار خلال الحرب لكي تكون شاهدة شهادة حية واعية وربما دقيقة عما رأينا نحن هنا في بغداد من أعمال عسكرية عدوانية وقصف جوي وصاروخي شمل المدنيين والعسكريين دون تمييز، وتدميراً للبنية التحتية والخدمات الأساسية للبلد مما يندى له جبين الإنسانية، كل ذلك لتحقيق الأهداف الأمريكية المعلنة في الاستحواذ على النفط والثروات العراقية ولكي تقر عين إسرائيل وتنام آمنة مطمئنة بعد تخريب أكبر قوة عربية وأعظم ثقافة مناوئة للمخطط الصهيوني المقبل للمنطقة، ولكي يفتح الأمريكان بوابة العولمة العسكرية والاقتصادية لإرهاب دول العالم كافة في الشرق والغرب.

ولعل في الإستراتيجية الإعلامية والحربية التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية في إدارة هذه الحرب غير النظيفة ما هو أخطر وأعظم لإخفاء حقيقة التصدي والصمود العراقي للعدوان بغض النظر عن الموقف من النظام الحاكم، وان ذلك يشمل كافة الفئات والطوائف العراقية، مما يجعل الكتابة عن هذا الموضوع في غاية الأهمية من النواحي الإعلامية والتوثيقية والتاريخية، لكي يعلم الرأي العام في العالم كذب ودجل هؤلاء

المعتدين ويكشف منهجهم في السيطرة على مقدرات العالم وإرهابه حتى يكون المال والإعلام والقوة حكراً لهم ولأذنابهم[١].

لذلك آمل أن يكون لهذه المحاولة الأهمية الإعلامية الواضحة والأثر الطيب على الرأي العام العربي والعالمي، رغم أني سوف أعتمد فيها على الذاكرة وشهود العيان والمعاينة ليس إلاّ، دون الرجوع إلى المصادر المكتوبة والأجهزة الإعلامية والصحافة التي تجوب البلد بعد الإطاحة برموز الحكم السابق وحزبه الأوحد. فهي تجربة ميدانية بالدرجة الأولى، وعليه ستكون دقة المعلومات والأحداث التي يتم متابعتها كبيرة من الناحية الميدانية والنقلية والتأكد من صحة وقوعها، مع احتمال ورود خطأ ما في توقيتات تلك الأحداث والمعارك بسبب اعتمادها على الذاكرة

---

**[١] هنالك فئة من المنهزمين روحياً ومعنوياً أمام الإعلام المعادي ومن المروّعين والمبهورين بالحضارة الغربية لاسيما أمريكا وإعلامها الذي واكب الحرب وحاول الانفراد في تصويرها ونقل أخبارها، فبات هؤلاء الضعفاء الواهنين يتابعون الإعلام الأمريكي باعتباره من أهم قنوات الإعلام العالمية المهمة التي تصور حقيقة ما حدث من حيث المعارك والأحداث والخسائر التي مني بها الطرفان، والحقيقة إن إفراد الإعلام الأمريكي بتصوير ومتابعة الأحداث ونقل أخبار المعارك ومنع باقي القنوات من الأدلة الواضحة على تحيّز هذا الإعلام وكذبه المتعمد ودجله في تصوير الجيش الأمريكي بأنه جيش شجاع يصنع المعجزات كما كان أجداده الكاوبوي يفعلون مع الهنود الحمر وغيرهم في حرب التحرير وتأسيس دولتهم الحديثة.**

القريبة وشهود العيان لمعظم المعارك التي دارت على الساحة العراقية، والله يشهد أنني أكتب هذه المذكرات الآن في ظروف سيّئة، وإنني أستخدم السراج النفطي (اللالة) لكتابتها بسبب انقطاع التيار الكهربائي من جراء العمليات الحربية، وأتجول في كافة أنحاء بغداد وما حولها من المناطق التي تعرضت للقصف وحدثت فيها معارك كبيرة، وتحدّثت مع عشرات شهود العيان الثقاة في هذه المناطق من المدنيين والعسكريين وغيرهم من أبناء الشعب العراقي المجاهد.

إن هذه المشاهد والأحداث التي تم تسجيلها وروايتها هي في الواقع رؤية الشارع العراقي لأحداث الحرب من خلال ما رواه شهود العيان الذين تم انتقاءهم من مختلف الفصائل والمناطق. وهي لذلك تعبّر عما كان يجيش في نفوس العراقيين من مشاعر وأحزان وتحاليل وما كان يتناقله الناس من أحداث وقصص واقعية في كافة المدن والثغور التي تعرّضت للعدوان، كما إنها تعبر عن انعكاس لا شعوري عفوي لشخص عاش أيام الحرب بكل دقائقها وحاول أن يقدّم صورة تمثل انطباعاته وقناعاته عن قوة أجنبيّة غاشمة كانت تحاول أن تحتل بلده تحت أية ذريعة، وهي تمثل رؤى وقناعات من حوله ممن عاش معه الحدث، وما ترك هذا الاحتلال في النفوس من آثار عميقة ومخلفات قاسية جاءت لتبدّل ظلام الظلم والاستبداد بظلمات التبعيّة والاستعمار. ورغم أنني على يقين من أن هذا الكتاب الذي يعد الأول من نوعه مما نشر عن حرب العراق، ستتبعه كتب

عديدة لمؤلفين آخرين تعالج هذا الموضوع من مختلف الزوايا وترفد المكتبة العربية بكل دقيقة من دقائق هذه الحرب الظالمة والعاصفة، فإنني في الوقت نفسه سأكون ممتنّاً من القارئ الكريم إذا ما زوّدنا بملاحظاته وتعقيباته ومعلوماته[1] عما دار في هذه الحرب من أحداث تخدم الغرض الذي من أجله كتب هذا الكتاب، وفي مقدمة ذلك تدعيم الثقة بقدرات هذا

---

**[1] لقد وصلتني خلال الأشهر العديدة التي تلت طباعة الكتاب في طبعته الأولى أكثر من مائة رسالة مكتوبة فضلاً عن عشرات الاتصالات والآراء الشفوية التي أغنت الموضوع تأييداً ونقداً وتصحيحاً، وقد أشرنا إلى بعضها في التوطئة وسنشير إلى بعضها الأخرى في ثنايا الكتاب شاكرين هذا التفاعل الجمعي مع هذا الجهد المتواضع كنا نقصد منه إعادة الثقة بقدرات الشعب الصابر بعد زلزال الاحتلال والهزيمة المرّة التي تعرّض لها البلد بعد العدوان، وكذلك لتعبئة الجماهير ومواصلة الطريق لطرد المحتل وإعادة بناء البلد، وأخيراً لملأ الفراغ الإعلامي الذي أحدثته الحرب بعد انهيار النظام وفقدان أي أثر لوجود الدولة وإعلامها الرسمي، ولعل انتشار الكتاب واقتنائه والإقبال على طبعته الأولى التي بلغت عدد نسخها ٩٠٠٠ نسخة تقريباً دليل واضح على نجاح الكتاب وتأثيره بين الجماهير وتحقيقه الهدف الذي كنا نتوخّاه من طباعته ونشره في داخل العراق وخارجه، ولقد واكب نشر الكتاب اهتمام العديد من الصحف والمحلات العراقية والعربية والأجنبية –كما أشرنا سابقاً– وقناة أبو ظبي والجزيرة وغيرها من القنوات والمؤسسات الإعلامية العالمية والعربية التي تحدّثت عن الكتاب كأول مطبوع عراقي يتكلم عن الحرب العراقية الأمريكية.**

الشعب العظيم والثبات أمام ظلم الاحتلال البغيض، وعودة الوعي ومراجعة الذات العراقية بما جرى من أخطاء وهفوات لتحري الصواب واستلهام العبرة والحكمة، وتخطي العقبات والأخطاء التي كان الجهل والاستبداد من أهم أسبابها، ولذا فإننا ننتظر المزيد من الصور والأحداث التي يمكن إضافتها لهذا الجهد المتواضع لكي تأتي الطبعات التالية أكمل حالاً مما قدره الله سبحانه لنا في الطبعة الأولى، ومن الله التوفيق.

علاء الدين شمس الدين المدرس

١٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ

١٣/ ٥/ ٢٠٠٣ [1]

---

**[1] لقد ظهرت أول مسودة نهائية للكتاب واستنسخت بكمية محدودة ووزّعت في بغداد بتاريخ ٨/٥/٢٠٠٣ ثم ظهرت طبعة الأوفسيت الكاملة بعد أسبوع ووزّعت كمية منها في احتفال المولد النبوي في جامع الإمام الأعظم في الأعظمية باعتباره من الجوامع المهمة التي شهدت أيام الحرب الأخيرة وقد تضرّر من جرّاء القصف الأمريكي، وهو أيضاً من الرموز والأماكن المقدسة لدى أهل السنّة. وبعد شهر تقريباً من طبعة الأوفسيت الأولى للكتاب بكمية ٣٠٠٠ نسخة تم تنقيحه وطبعه مرة أخرى بكمية ٥٠٠٠ نسخة، وقد نفدت معظم هذه الكمية بعد بضعة أشهر وانتشر الكتاب بشكل كبير في داخل العراق وخارجه وفي فترة مهمة وحرجة حيث كان الإعلام العراقي فيها**

# تمهيد

لقد كان الأسبوع الذي سبق الحرب أسبوعا مزدحماً وكثيفاً بالأحداث والأعمال والنشاطات التي عاشها أهل العراق، فربما جاوز عدد الذين قرروا الهرب من جحيم الحرب خلال تلك الفترة أكثر من مليون شخص آثروا الخروج إلى سوريا وبعض الدول المجاورة مع أراجيف الرئيس الأمريكي بوش وتهديده ووعيده ووصول الأساطيل إلى الخليج، ودقّ طبول الحرب التي تزايدت وتيرتها في ذلك الأسبوع الذي سبق الحرب، رغم أن التلويح بالحرب قد بدأ منذ منتصف الصيف الماضي ولم يطفأ عطش القادة الأمريكان لتلك الحرب الموتورة وغير المشروعة إلا الغزو والعدوان، ورغم نجاح أمريكا في استصدار القرار رقم ١٤٤١ في مجلس الأمن واستئناف التفتيش الدولي الذي كان يصب قطعاً في إستراتيجية الجاسوسية الأمريكية، غير أن طغيان أمريكا وغطرستها وتأليهها لنفسها ومنهجها لم يكن يثنيه خسارتها في الجولة الثانية من الحرب الدبلوماسية حين لم تستطع أن تحصل على الأغلبية في مجلس الأمن لضرب العراق بعد انتهاء المدّة المحدّدة للتفتيش في منتصف شباط الماضي، وعدم استطاعتها

---

**متوقف ومشلول بل كان البلد يعيش تقريباً في فراغ إعلامي حقيقي بسبب انهيار نظام الدولة ووزاراتها ومؤسساتها دون استثناء.**

إثبات ما ادّعته على لسان بوش وبلير من وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق[1]، وكان المنطق الأمريكي الجديد وغير القانوني الذي يدعو إلى أن يثبت المتهم براءته، وأن يقدم العراق الأدلة على عدم وجود تلك الأسلحة المزعومة. ثم اتخذت أمريكا قرار الحرب وإنذار

---

**[1] لقد أثبتت الأشهر التي تلت الحرب وحتى نهاية سنة العدوان والاحتلال، إن قضية أسلحة الدمار الشامل ما هي إلا أكذوبة مفتعلة لتبرير هذه الحرب، وإن الأمريكان والبريطانيون أنفسهم قد جرّبوا حظّهم بعد فشل فرق التفتيش التابعة للأمم المتحدة، ولم يعثروا على أي خيط أو دليل مهما كان ضئيلاً ليثبت مزاعم بوش وبلير التي أثبتت الأيام أنها كانت أوهن من خيط العنكبوت، مما ولّد في واشنطن ولندن أزمات سياسية حادة -كما تم عرضه في الصفحات السابقة- جعلت شعبيتهما في تناقص وتردي غير متوقع وأدّت إلى فضائح عديدة في البلدين منها فضيحة خبير الأسلحة ديفيد كيلي واتهام رئيس المخابرات جورج تينت بإخفاء وتزييف المعلومات حول الملف النووي العراقي وإيراد معلومات كاذبة عن قيام العراق بشراء اليورانيوم من النيجر، كما تعرض بلير إلى مسائلة قانونية حول تضخيم الخطر العراقي على العالم وحول دعوى قدرة العراق على شن هجوم بأسلحة الدمار الشامل خلال ٤٥ دقيقة فقط، وقد ظهر أن كل تلك القصص والأخبار التي تجسّم خطر العراق وامتلاكه أسلحة الدمار الشامل هي أخبار دعائية عارية عن الصحة وقد تورّطت الإدارة الأمريكية والبريطانية في الترويج لها لتبرير شن الحرب على العراق وانتهاك ميثاق الأمم المتحدة والشرعية الدولية التي يمثلها مجلس الأمن الدولي وهذه السياسة هي سابقة خطيرة في السياسة الدولية.**

صدام بأن يثبت براءته خلال ٤٨ ساعة، وهكذا بدأت الحرب بدون أي غطاء قانوني ولا اتفاق دولي أو حتى أوربي، فكانت فرنسا قد تزّعمت معارضة الحرب غير المشروعة على العراق تشاركها ألمانيا وروسيا ومعظم الدول الأوربية الأخرى. وواكب بداية الحرب ظهور قطبين في العالم، القطب الأمريكي البريطاني صاحب راية العولمة والنظام الدولي الجديد ومفهوم القطب الواحد وحكم العالم بالقوة الغاشمة وتهميش دور مجلس الأمن والمنظمة الدولية، وقطب أوربا القديمة (العريقة) المدافعة عن التعددية والشرعية واحترام القانون وسيادة الدول، وضرورة العودة إلى المنظمات الدولية الشرعية وفي مقدمتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي لحل النزاعات الدولية، والمدافعة عن المنهجية الحضارية التي تجعل من الشرعية والسلام وحقوق الإنسان في مقدمة اهتماماتها، ولقد كانت فرنسا وألمانيا تستذكر صورة هتلر وطغيانه وترى فيه صورة أمريكا الحالية بقيادة بوش وحالة الانفراد بالقرار الدولي، فضلاً عن خشيتها من السيطرة الأمريكية على الخزين النفطي العالمي وتحكمها الفعلي في الاقتصاد العالمي. ورغم الموقف الأوربي الصلب ضد الحرب، قررت أمريكا أن تدخلها، يغريها في ذلك قوتها الغاشمة وسيلان لعابها على ما في العراق من ثروة هائلة، وتحالف بريطانيا وأسبانيا واستراليا معها، وعدم مرونة الدبلوماسية العراقية وشللها بسبب الحكم الفردي الدكتاتوري، ورهان

قوات التحالف على الوضع الطائفي والعرقي في العراق واستثمار ذلك الوضع في خلخلة الصف وحسم الحرب بسرعة لصالحهم، فضلا عن أثر الحصار الذي نخر البلاد خلال السنين العجاف التي تلت حرب بوش الأب، ضاربة بعرض الحائط انتهاكها الصارخ للقانون الدولي واحتقارها لدور المنظمة الدولية ومجلس الأمن، واستهانتها بمشاعر العرب والمسلمين، واتهامهم –في الإعلام الأمريكي- بأنهم سبب الإرهاب الدولي في العالم.. وهكذا بدأ التحالف الأمريكي البريطاني الحرب العدوانية، وبدأ الغزو البربري على العراق بعدما مهّد الإعلام لتلك الكارثة الإنسانية بكل الوسائل المتاحة، واستخدام الحرب النفسية الإعلامية التي غطت العالم بأسره، وقد رفع الإعلام الأمريكي شعار (الصدمة والترويع) لهذه الحرب الكبرى لفتح باب السيطرة على العالم وفرض العولمة والنظام الدولي الجديد على العالم بالقوة بدءً بأفغانستان فالعراق ثم بقية دول آسيا وأفريقيا ثم أوربا كحصيلة نهائية لتداعيات هذه الإستراتيجية الاستحواذية بزعامة أمريكا.

ومن المفيد أن أذكر أنه قد وقع في يدي كاسيت يحتوي على خطبة الشيخ يوسف القرضاوي ليوم الجمعة التي سبقت الحرب في ١٤ /٣ /٢٠٠٣، وكانت الخطبة مكرّسة لموضوع الحرب على العراق وكشف المخطط العدواني الأمريكي الصهيوني وخلفيات ذلك المخطط والتداعيات الخطيرة المتوقعة فيما إذا نشبت الحرب وتم الاحتلال. وقد

قمت بنشر هذه الخطبة بين الناس خلال أيام الحرب الأولى لتحذيرهم من مخاطر الغزو الأمريكي الصهيوني، كما وقع في يدي مقال من الانترنيت موقع الجزيرة.نت بعنوان (بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية) بقلم الكاتب الموريتاني (محمد مختار الشنقيطي) مع مقال آخر لكاتب أمريكي يدعى ليندنر بعنوان (العمى الأخلاقي الأمريكي) والمقالان يتحدثان عن النفوذ الصهيوني في أمريكا وخطّة الصهاينة في تهويد وصهينة المسيحيين البروتستانت الأمريكان، واحتلال الشرق العربي لتدعيم الأمن الإسرائيلي، تمهيداً لظهور المسيح المنتظر بزعم هؤلاء الصهاينة والمتصهينين البروتستانت، ومن بين هؤلاء المؤمنين بهذه العقائد والأفكار الرئيس الأمريكي بوش وكثير من أقطاب الحكم والسياسة في إدارته أمثال نائبه ديك شيني ومستشاره ريتشارد بيرل ووزير دفاعه دونالد رامسفيلد وغيرهم، وجاءت أحداث ١١ أيلول وتداعياتها واتهام المسلمين بالإرهاب لتعزّز هذا المنهج الأمريكي سواء إيماناً به أو تسخيراً له لصالح الأطماع الأمريكية في العالم العربي والإسلامي. وقد حاولت نشر هذين المقالين أثناء الحرب لتدعيم الجبهة الداخلية وللتعبئة وتجسيماً للخطر الماحق بكل صوره وتثبيتاً للمؤمنين، رغم قناعتي وقناعة الكثير من الإسلاميين أن الراية المرفوعة أثناء الحرب لم تكن إسلامية، وأن صدام وحزبه لم يعطوا أي فرصة للإسلاميين

للدفاع عن البلد ولم يثقوا بهم ولم يسلّموا السلاح لهم حتى آخر لحظة لسقوط النظام. ولكن واجب الدين والوطن يدعو إلى التصدي والوقوف بوجه الغزو والعدوان بكافة السبل ومنها إيصال الكلمة الصادقة والوعي والتثبيت، وقد كان شعارنا في ذلك قوله تعالى: [إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان] (سورة الأنفال/١٢).. فإذا كان النظام الحاكم لم يسمح بالجهاد وحمل السلاح، فعلى الأقل يمكن أن نقوم بجهاد الكلمة وتثبيت المقاتلين للجهاد والصمود بوجه الغزو والاحتلال.[١]

---

**[١] لم يتحمس الكثير من الإسلاميين للقيام بدور إيجابي لمنع كارثة الاحتلال بحجة وجود صدام في السلطة وبحجة الاستبداد والطغيان الذي مارسه مع شعبه وبحجة عدم وجود راية يقاتلون تحتها، إلا أن الكثير منهم قد ندم بعدما رأى بعينيه أهوال الاحتلال والدمار الذي لحق بالبلد بعد الحرب فذهب يبحث عن دور ويعلن الندم والأسف حين لا ينفع الندم.**

# بدء الحرب على العراق

في فجر يوم الخميس ٢٠٠٣/٣/٢٠م وفي الساعة الخامسة بعد انتهاء فترة الإنذار القصيرة للعراق، بدأت الحرب الظالمة، وسمعنا صوت صفارة الإنذار بعد دوي القصف الجوي والصاروخي على بغداد. واستمر القصف طوال اليوم والأيام التي تلت، وبدأ البث التلفزيوني العراقي الخاص بتغطية الحرب في الساعة الثامنة صباحاً، وسمعنا خطاب الرئيس صدام الحماسي والقصير في الساعة الثامنة والنصف[١]، وبدأ

---

[١] **نص خطاب صدام الأول الذي ألقاه صباح الخميس في اليوم الأول للحرب:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير﴾ **صدق الله العظيم**

**أيها الشعب العظيم..أيها النشامى المجاهدون.. رجال قواتنا المسلحة الباسلة..يا أبناء أمتنا المجيدة.. مع صلاة الفجر لهذا اليوم٢٠٠٣/٣/٢٠ ميلادية الموافق ١٧ محرم الحرام ١٤٢٤ هجرية، ارتكب المجرم الأرعن بوش الصغير هو وأتباعه جريمته التي كان يتوعد بها العراق والإنسانية، يردف فعله الإجرامي من تعاون معه وبذلك أضاف هو وأتباعه إلى سلسلة جرائمهم المخزية بحق العراق والإنسانية بداية جرائم إضافية أخرى.**

**أيها العراقيون والغيارى من أمتنا: فداكم وفدى مبادئ أمتنا المجيدة وفدى رايات الجهاد ودينها ومعانيها النفس والأهل والولد.**

وفي هذا لا أريد أن أكرر ما ينبغي وما يجب على كل الأماجد والماجدات مما يقتضي فعله دفاعاً عن الوطن الغالي والمبادئ والمقدسات ولكنني أقول: على كل واحد منا في عائلة العراق المؤمنة الصـابرة المظلومـة مـن أعـدائها الأشرار أن يتذكر ولا ينسى كل ما قاله وانتخى به، وإن هذه الأيـام وعلـى وفق ما يقدّر الله سبحانه ستضيفوا إلى سفركم الخالد أيها الغيـارى وأيتهـا الماجدات ما هو استحقاقكم في المجد والظفر وكل ما يعلي مكانة المؤمن أمام الله، ويخزي الكافرين أعداء الله والإنسانية وإنكم ستنتصرون أيها العراقيون، ومعكم أمتكم، بل أنتم منتصرون وبعون الله، وأعدائكم في خـزي وعـار إن شاء الله.

| | |
|---|---|
| أطلق لها السيف لا خوف ولا وجلُ | أطلق لها السيف وليشهد لها زحلُ |
| أطلق لها السيف قد جاش العدو لها | فليس يثنيه إلا العاقـل البـطلُ |
| أسـرج لها الخيل ولتطلق أعنـّتها | كما تشـاء ففي أعرافـها الأمـلُ |
| دع الصواعق تدوي في الدجى حمماً | حتى يبان الهدى والظـلم ينـحدلُ |
| واشرق بوجه الدياجي كلّما عـتمت | مشاعلاً حيث يعشي الخائر الخطلُ |
| واقـدح زنادك وابق النـار لاهـبة | يخاف الخـاسئ المستعبد النـذلُ |
| أطلق لها السيف جرّده وبـاركـه | ما فاز بالحق إلا الحـازم الرجلُ |
| وأعدد لـها علمـاً في كـل سـرية | وادع إلى الله أنّ الـجرحَ يندمـلُ |

أيها الأصدقاء، ومناهضو الشر في العالم..السلام عليكم..

ها قد لاحظتم كيف استخف بوش الأرعن، بمواقفكم وآرائكم التي أطلقتموهـا ضد الحرب، ودعوتكم الصادقة للسلام فارتكب جريمته النكراء في هذا اليوم.. إننا نعاهدكم باسمنا، وباسم القيادة، وباسم شعب العراق المجاهـد، وجيشـه البطل، في عراق الحضارة والتاريخ والإيمان، بأننا سنقاوم الغزاة،

الإعلام العراقي يشدّ من أزر الشعب بالأغاني والأناشيد الوطنية الحماسية، ثم صدر البيان الأول[1] معلناً بدء الهجوم البري الأمريكي

---

**وسنوصلهم، بإذن الله إلى الحد الذي يفقدون صبرهم، مع فقدهم أي أمل في تحقيق ما خططوا له، ودفعتهم إليه الصهيونية المجرمة وأصحاب الغرض إلى حضيض.. وأنهم سيهزمون الهزيمة التي يتمناها لهم - بعد أن أمعنوا في الجريمة والشر - كل مؤمن غيور، ومحب للإنسانية ساعٍ بإخلاص ومحبة إلى السلام، وسينتصر العراق، ومع العراق ستنتصر أمتنا والإنسانية، وسيصاب الشر بما يجعله غير قادر على أداء فعل الإجرام والجريمة، بمستوى ما ارتكبه التحالف الإجرامي الأمريكي-الصهيوني ضد الأمم والشعوب وفي المقدّمة منها أمتنا المجيدة.. والله أكبر..الله أكبر..وعاش العراق.. وفلسطين..الله أكبر..الله أكبر.. وعاشت أمتنا المجيدة..وعاشت الأخوة الإنسانية.. مع محبي السلام والأمن وحق الشعوب في الحرية على أساس العدل والإنصاف..**

**والله أكبر..وليخسأ الخاسئون..وعاش العراق..عاش العراق.. عاش الجهاد.. وعاشت فلسطين..**

**[1] وفي البيان الصادر عن القيادة العامة للقوات المسلحة عن عدوان اليوم الأول قال "إن صواريخ الغدر والطغيان أصابت عدداً من الأبنية الحكومية والدور السكنية والمحال التجارية في بغداد وضواحيها وهكذا كشر الشر والشيطان بفعل غادر خائب فاسق ومندحر بعناية الرحمن الرحيم".**

**وقال البيان إن العدو أطلق ٧٢ صاروخ كروز تم إسقاط عدد كبير منها قبل وصولها إلى أهدافها.. وذكر البيان أن العدو حاول اختراق حدودنا في**

علـى أم قصـر، تلـك المدينـة الصـغيرة الباسـلة التـي تقـع علـى الحـدود العراقية الكويتيـة، ثـم بـدأت القـوات الأمريكيـة والبريطـانيـة تتـدفق علـى جنوب العـراق مستهدفة الفـاو والبصـرة مـن الخلـيج،) وبعـد يـومين مـن القتال الشرس فـي أم قصـر والفـاو والـذي أبـدى خلالـه الجـيش العراقـي مقاومة باسلة وتحـدياً بطوليـاً لـهذا الغـزو الـهمجـي المتـذرع بحجـج غيـر صحيحة ولا صادقة. لقد وجـد الأمريكـان والإنكليـز أن بوابـات العـراق الصـغيرة فـي أم قصـر والفـاو عصـية علـى جيوشـهم المدججـة بالسـلاح الحـديث والتكنولوجيـا المتطـورة، وقـد كـانوا يظنـون أن جنـوب العـراق سيفتح ذراعه وأبوابه لهم بالورود والزهور، فلم يجدوا غير الرصـاص والصدور المؤمنة الصـابرة التي واجهت قوات الاحتلال وصـواريخهم، لذلك قرروا أن يتركوا الفاو وأم قصر ويذهبوا بمرتـزقتهم إلـى البصـرة العريقة مدينـة التـاريخ والحضـارة والنفط، فلم يجـدوا فيهـا غيـر الصـورة التـي رأوها في القرى الصـغيرة. فتصـدى لهـم أبنـاء البصـرة وعشـائرها

**منطقتي النخيب وعكاشات (غرب العراق) وكان له أبناء العـراق النشـامى بالمرصاد تتقدم صفوفهم طلائع البعث وأبناء العشائر في محافظة الأنبار.**
**وقال البيان إن صواريخنا دكّت أوكار الشـر والغـدر والطغيـان مسـتهدفة تجمعاتهم في الخليج.**

وجندها وفدائيوها وكبّدوا العدو أفدح الخسائر [٢]. وفي مساء السبت تحدث البيان العسكري العراقي عن تقدم الجيش البريطاني نحو

---

[٢] **نص بيان القوات المسلحة العراقية الثاني ليوم الجمعة ٢١/ آذار كما يلي:-**

**١. تصدى أبناء عشائر العراق الأوفياء وتنظيمات الحزب لمحاولات يائسة عديدة بإنزال قوات العدوان في قاعدة الوليد الجوية والنخيب ومنطقة (نوي) جنوبي تلعفر فأجبروها على الهروب خارج أرض عراق المجد والشموخ.**

**٢. قام رجال البحر الشجعان من أحفاد طارق بن زياد وعبد الله ابن أبي سرح بتوجيه ضربات ساحقة ضد حشود العدو وتجمعاته في الخليج.**

**٣. باشرت قوتنا الصاروخية باسم الله القادر الجبّار بإطلاق صواريخ الصمود وطارق والفتح على تجمعات العدو الخائبة في منطقة برقة وقاعدة علي السالم الجوية وتحشّدات العدو الأخرى.**

**٤. قام العدو بإنزال قواته ومدرعاته في منطقة الفاو مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم فقاده حظه العاثر إلى منطقة قتل ليموت بمدفعيتنا الباسلة وما زالت قوات العدو تتلقى الضربات الماحقة من قبل قواتنا الباسلة.**

**٥. حاول العدو في مناطق مختلفة في قواطع العمليات جرّ قطعاتنا إلى معارك جانبية مستغلاً إمكاناته التكنولوجية ومستفيداً من طبيعة الأراضي الصحراوية لكن يقظة قطعاتنا التي تقع في حساباتها واستحضاراتنا لمجابهة مسالكه وتصميمنا على إلحاق الهزيمة به باختيارنا في الوقت والمكان الملائم أحبطت كل المحاولات وأجهضت كل نوايا الغزاة والطغاة.**

**٦. ما زال العدو يقوم بأعماله الإجرامية في القصف الجوي الصاروخي المتواصل في المناطق الآهلة بالسكان متصوراً أنه بذلك يؤثر على الروح**

البصـرة الفيحـاء، وفـي صـباح الأحـد ٢٣ /٣/ ٢٠٠٣ حـدثت معـارك طاحنـة بين قوات التحـالف والعراقيين، أبدى الشعب العراقـي وجيشـه بسـالة نـادرة وكبّدوا المعتـدين خسـائر جسيمة فـي الـدروع والطـائرات والجنود من القوات الخاصة (المرتزقة)[١] والقوات الإنكليزية، أما فـي بغـداد وبقيـة المـدن فـي عمـق أرض العـراق فـان القصـف الجـوي والصاروخي لم يتوقف ولم يفتر عنها، وكانت بغداد الحبيبـة تئنّ تحت وطـأة أكثـر من١٦٠٠ ضـربة صـاروخية وجويـة يوميـاً[١]، كـان جزءٌ غيـر يسـير منهـا علـى المـدنيين والمؤسسـات الخدميـة والـدوائر والمستشـفيات والمنـازل والشـوارع والمتـاجر، وفـي معظـم أحيـاء وضواحي العاصمة، مسببة استشهاد المئات من المواطنين من النساء

---

**المعنوية المتأججة في نفوس أبناء العراق الغيارى الـذين خبـروا الجهـاد ونذروا أنفسهم مشاريع استشهاد دفاعاً عن عراقنا العزيز.**

**[١] أن لفظ المرتزقة الوارد في الكتاب ليس للانتقاص أو تعبير إعلامي لجيش معتدي كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، وإنما هناك فعـلاً فـي الجـيش الأمريكي أكثر من ١٥٠ ألف جندي مرتزق من السجناء والمجرمين وممـن لم يحصلوا على الجنسية الأمريكية ومرتزقة من دول أخرى عديـدة دخلـوا الجيش الأمريكي للارتزاق والحصول على مكاسب مادية ومعنوية وسـيأتي تفصيل ذلك فيما سيأتي من فصول الكتاب.**

**[١] لقد اعترفت قوات التحالف بتلك المعلومات العسكرية أثناء الحرب ونقلتها وكالات الأنباء وبعض القنوات الإعلامية على شاشات التلفزة والإنترنت.**

والأطفال والشيوخ، فضلاً عن قصف مواقع الحرس الجمهوري وقيادات الجيش والفدائيين حول بغداد [٢].

---

[٢] **أهم البيانات التي صدرت من ٢٤/٣-٢٩/٣ والتي أذيعت ونشرت في وسائل الإعلام العراقية هي على سبيل المثال:-**
**بموجب بيان القيادة العامة للقوات المسلحة الصادر في ٢٠٠٣/٣/٢٤ تم تدمير ١٣ دبابة للمعتدين مع ناقلة أشخاص مدرعة وخمس ناقلات دبابات مدرعة وست عجلات مختلفة الأنواع..**
**وأكد ناطق عسكري صباح يوم ٢٠٠٣/٣/٢٣ إن دفاعاتنا الجوية البطلة أسقطت خمس طائرات مقاتلة وطارئتين سمتيتين في الشعلة والرضوانية وعكركوف والبصرة والتاجي والبعاج والسماوة...**
**أما فدائيو صدام الأبطال فقد تمكنوا من حرق وتدمير أربع دبابات...**
**وقد زفّت القيادة العامة للقوات المسلحة البشرى لشعب العراق المقاتل: إن قواتنا البطلة قامت في يوم ٢٠٠٣/٣/٢٤ بتدمير رتل من مدرعات العدو في أطراف النجف الأشرف وألحقت خسائر فادحة بالأرواح والمعدات لأعداء العراق، كما تم تحطيم ٢٩ دبابة وناقلة وآلية والاستيلاء على عدد منها صالحة للاستعمال فيما دكت ٣٢ صاروخاً من نوع الطارق أوكاد المعتدين وأسقطت دفاعاتنا الجوية ثلاث طائرات مسيرة وسمتية.**
**وأعلنت القيادة العامة للقوات المسلحة في بيانها يوم ٢٥/ آذار عن إسقاط ١٢٢ صاروخاً معادياً خلال ٢٤ ساعة وتم تدمير ٩ دبابات في صحراء الناصرية وتم توجيه وإطلاق ٢٥ صاروخاً من نوع أبابيل والطارق فيما حطمت رؤوس الأعداء القذرة، كما نفذت مجموعة استشهادية هجوماً على فلول المعتدين ودمّروا دبابة أمريكية وإبادة طاقمها فإلى جهنم وبئس**

المصير. وأعلن ناطق عسكري يوم ٢٦/ من آذار أن فدائيي صدام الأبطال تمكنوا بعون الله من تدمير أربع دبابات وناقلتي أشخاص مدرعة في قاطع الفرات الأوسط وتدمير دبابة واحدة وثلاث ناقلات في قاطع البصرة...

وفي بيان لناطق مخول يوم ٣/٢٦ أكد أن الأمريكان والبريطانيين يجمعون المدنيين في بعض المناطق ليعتبرونهم أسرى حرب وخاصة في مناطق أم قصر وضواحي البصرة الصامدة.

أما بيان القيادة العامة للقوات المسلحة ليوم ٢٦/ من آذار فقد أعلن عن تدمير طائرة سمتية و١١ دبابة و١٢ ناقلة أشخاص مدرعة وعجلتي قيادة وكبّدت قواتنا الباسلة فلول المعتدين أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى.. ودعا البيان المجاهدين العراقيين إلى ملاحقة فلول المعتدين أينما كانوا وقتلهم أو أسرهم حيثما وجدوا.

وفي ٣/٢٩ صرح ناطق عسكري بأن مجموعة باسلة من قواتنا الخاصة للحرس الجمهوري أغارت على تجمع للمعتدين في مفرق عفك في محافظة القادسية ودمّرت ثلاث مدرعات تدميراً كاملاً وأجهزت على طاقمها فإلى جهنم وبئس المصير.

وقال الناطق العسكري في اليوم نفسه أن قواتنا المسلحة البطلة شنت سلسلة من الهجمات الماحقة على فلول المعتدين التي تسللت إلى مناطق الكفل وطريق كربلاء والنجف وحافات المحافظة فزعزعت قلوب الأعداء ومزّقت الأبدان وأحالت الحديد نثاراً محترقاً وأسرع العدو هارباً يجرّ أذيال الهزيمة لتلفه مفازات الصحراء ومتاهاتها. وفي بيان جديد أصدرته القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ٢٨/ آذار يذكر إن خسائر العدو المنظورة عدى معركة محافظة النجف كانت خمسة دبابات وأربعة عجلات مدرّعة وعدد كبير من

# معركة أم قصر

لقد وقعت معركة أم قصر في اليوم الأول للحرب، حيث بدأت قوات التحالف هجومها البري على العراق ، ورغم صغر هذه القرية والميناء فإن العراقيين لم يتركوها لقمة سائغة للغزاة بل إن الجيش المتموضع فيها قاتل وصمد صمود الأبطال وكبد العدو خسائر كبيرة أضطر إلى التعتيم عليها وادعاء احتلالها مرات عديدة خلال أيام الحرب الأولى بعدما شعروا أنها قد تجاوزت ما توقعوه بسبب تلك البطولة النادرة التي لمسوها في إصرار وثبات العراقيين على المقاومة ورد العدوان. وإن أم قصر استطاعت الصمود أمام الغزو سبعة عشر يوماً كاملاً[١]

---

**أفراد العدو بين قتيل وجريح.(يلاحظ القارئ الكريم أن محتوى البيانات العراقية كان عاماً وسطحياً ويفتقر إلى الدقة والتحديد، مما يدل على افتقار الإعلام العراقي لأبسط الإمكانات الفنية والميدانية ويشير إلى التخلّف الذي أحاط بالمؤسسة الإعلامية العراقية في أواخر عهد صدام).**

[١] **لقد أكد السيد محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام العراقي بعد الحرب في قناة أبو ظبي من خلال البرنامج الذي سمي (حرب الصحاف) والذي بثّ بعد أربعة أشهر من انتهاء الحرب صمود أم قصر وكيف كانت عصية على التحالف لأكثر من أسبوعين وكذب الإعلام المعادي الذي ادعى احتلالها خلال الأسبوع الأول وكيف أن الإعلام العراقي كان أكثر دقة وصدق من الإعلام الأمريكي رغم إمكاناته البسيطة في تلك الأيام العصيبة.**

قبل أن تسقط بأيدي قوات الاحتلال، وإن الفرقة ١١ والفرقة ٥١ اللتين كانتا من الفرق الضعيفة في الجيش العراقي بسبب ضعف الخدمات والتجهيزات التي تملكها، استطاعت أن تقهر قوات التحالف وتوقف هجومهم، وقد كان الموقف أكثر صدمة لهم في البصرة والناصرية والنجف، وفي وقفة الشعب والجيش الشجاعة في الأيام التالية، لقد بقية أم قصر عصية على قوات التحالف خلال أسابيع الحرب الثلاثة ولم يجرؤا أن يضعوا أقدامهم إلا على الشريط الساحلي للمدينة الذي لم يتجاوز ٣٠٠م من أصل ٣ كم من عرض المدينة الصامدة الملاصقة للحدود الكويتية، ورغم كثافة النار التي جعلوها غطاءاً لجنودهم المشاة ودروعهم الحديثة، واستمر التحدي العراقي الباسل في أول مدينة عراقية تواجه الغدر والعدوان وأصرّ الجنود العراقيون البقاء في مواضعهم الترابية البسيطة لكنها كانت عامرة بإيمان الجندي العراقي بقضيته العادلة في مواجهة المحتل مهما أمتلك من قوة وتكنولوجيا متطورة.

## أيام العاصفة الرملية

لقد كانت من استراتيجيات الدفاع العراقي في بغداد ومراكز المحافظات إشعال النفط الأسود في أسوار بغداد وحول المدن الكبيرة للتأثير على أجهزة الرادار والمراقبة والطيران لقوات التحالف، وأنا لا أستطيع تقدير مدى فائدة هذه الخطة من الناحية العسكرية، لأني لا أمتلك الخبرة والقدرة على تقييم هذا الإجراء، ولكن يبدو لنا إنه أربك العدو في إصابته لأهدافه وفي مناوراته وحساباته على الأرض خلال الأسبوع الأول والثاني للحرب[1]، لاسيما وأنه اقتنع أن يبقي قواته في الصحراء الجنوبية شأن الجبناء، ولا يدخل المدن العراقية بعدما اصطدم بالروح البطولية للعراقيين في الدفاع عن مدنهم، لاسيما بعد أن شهدت الناصرية -هي الأخرى- مقاومة باسلة ومعارك ضارية لطرد الغزاة كبّدت الأعداء خسائر كبيرة، وكان الإعلام الأمريكي حريصاً على عدم

---

**[1] لقد كان لهذه الخطة- كما أكد المحللون العسكريون وما تناقلته وكالات الأنباء العالمية- أثر فعّال في إرباك خطط قوات التحالف بسبب إبطال هذه المداخن فاعلية الصواريخ الموجهة عن بعد لاسيما تلك التي كانت تقصف بغداد وباقي المدن العراقية من الخليج والبحر الأحمر وتركيا حيث أوقف الأمريكان إطلاق هذه الصواريخ في منتصف الأسبوع الثاني للحرب بسبب عدم قدرتها على إصابة أهدافها بدقة وسقوطها على أماكن عشوائية ومدنية مما أكسب الموقف العراقي الإعلامي قوة أمام القوات الغازية.**

إعلانها أو الاكتفاء بإعلان أقل من عُشرها خشية الرأي العام العالمي والأمريكي والبريطاني بشكل خاص بسبب اتساع صوت المعارضة للحرب والعدوان داخل أمريكا، فضلاً عن أوربا والعالم. ومما زاد الطين بلّة، إن التأييد والعناية الإلهية كانت واضحة في تثبيت المقاتلين ورفع معنويات الجيش والشعب العراقي، حيث كان جند الله بالمرصاد لتدمير معدات العدو وإنزال الوهن والرعب في صفوفهم بعد العاصفة الرملية والأعاصير الشديدة التي دامت ثلاثة أيام بلياليها في نهاية الأسبوع الأول للحرب، لتتيح للعراقيين مناقلة قواتهم وتعزيز القطعات الجنوبية دون رصد من قوات التحالف، وتعرّضهم لقوات الغزو المنتشرة غرب الفرات في الصحراء الممتدة على الحدود العراقية السعودية. لقد كان لهذا التأييد الإلهي الأثر الكبير على صمود العراقيين ميدانياً ومعنوياً، في حين كان ذلك فأل شؤم وروح انتقام طاردت قوات التحالف وآلياتهم وأجهزتهم والتي أدّت إلى تعطل وتلف الكثير منها رحمة من الله بأهل العراق من تفعيل هذه النيران الهمجية التي جاءت لتحرق الأخضر واليابس، مما جعل ميزان المعارك لصالح الصمود العراقي رغم عدم التكافؤ في القوى والإمكانيات بين الطرفين، لقد أدت هذه العاصفة الرملية إلى إرباك خطة (الصدمة والترويع) المغرورة التي وضعتها قوات التحالف للانقضاض على البلد، وتسريع العمليات العسكرية لحسم الحرب بسرعة مذهلة لتعطي انطباعاً درامياً هولودياً لقدرة المارد

الأمريكي على سحق أي قوة تعارضه ولا تستجيب لمطالبة مهما كانت ظالمة وغير منطقية، فترهب العالم كله بعد نجاح هذه الخطة واحتلال العراق خلال مدة ينبغي أن لا تزيد على ثلاثة أيام، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فوجدوا شعب العراق أبيّ عزيز النفس لا يرضى بالاستسلام وذلّ الاحتلال مهما كانت التضحيات وعظمت القوة التي تحاول إذلاله وما مصير الاحتلال الإنكليزي الأول عن العراقيين ببعيد.

## معارك البصرة والناصرية والنجف والرمادي

وهكذا كانت أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء من الأسبوع الأول وبالاً على المعتدين حين تعاضد بأس العراقيين مع التأييد الإلهي لهم لإرهاب أعداء الله ولو إلى حين، حتى أفزعت نتائج المعارك التي لم تكن تنسجم مع المخطط الهادف لاغتيال العراق واستسلامه بشكل خاطف، بوش وبلير وتشيني ورامسفيلد وغيرهم من المتآمرين على هذا البلد العريق، وقد كانت معارك الأنبار في إنزالات الرطبة والقائم ثم في معارك النجف وكربلاء وفشل المحتلين في تحقيق أهدافهم الشريرة في الدخول إلى المدن العراقية عاملاً مضافاً في الارتباك الحاد في صفوف التحالف المعادي لاسيما قادتهم، مما أضطر بوش وبلير أن يلتقوا ثلاث مرات خلال الأيام العشرة الأولى للحرب، ثم تلاحقت الهزائم والخسائر الكبيرة في قواتهم حتى يوم السبت ٢٩ /٣،

لاسيما في معارك الناصرية والنجف والسماوة البطولية، حيث أنه في معارك الناصرية وما حولها تم إسقاط عشرين طائرة سمتية نوع أباشي ونوع كوبرا، وتدمير مئات الدبابات والناقلات وتكبيد العدو خسائر كبيرة في الأرواح كما حدثني أحد شهود العيان في الناصرية، واستمر الموقف العسكري الميداني لصالح العراق، وكان الإعلام العراقي ذا الإمكانيات الفقيرة المحدودة أصدق وأدق من الإعلام الأمريكي[١] الذي كان يعتمد على الخيال والتوقّع والزيف والكذب وإخفاء الحقيقة عن العالم بشكل أساسي انتظاراً للحظة تنفيذ خطة (الصدمة والترويع) التي كان يحلم الأمريكان بالوصول إليها في لحظة الانهيار العراقي السريع المتوقع والحرب الخاطفة التي خططوا لها لتكون خلال مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام، وحين لم يحصل ما توقعهُ الأمريكان، بدأ التخبّط والتناقض في التصريحات، ومع نهاية الأسبوع الثاني بدأ الحديث عن تغيير الخطط المعدّة سلفاً، وظهر على السطح ما لا يتمنى هؤلاء الحلفاء، نتيجة الهزائم الحقيقية التي حصدها الغزاة في البصرة والناصرية والسماوة والنجف وكربلاء والأنبار وقضاء البعاج

---

**[١] لقد أكد الصحاف ذلك فيما بعد في برنامجه الذي بث في أيلول ٢٠٠٣ وكيف أن الأمريكان لم يصدقوا في نقلهم أخبار المعارك في البصرة والناصرية والنجف، وكيف أنهم مثلوا عملية إنقاذ الأسيرة الأمريكية في الناصرية بعد انسحاب القوات العراقية من المستشفى العسكري في الناصرية.**

في الموصل، وفشل الإنزالات العديدة في الرطبة والنجف وكربلاء والموصل وتقهقر قوات التحالف وتكبدها خسائر غير متوقعة بلغت آلاف القتلى والأسرى ومئات الدبابات والدروع والناقلات، مع تزايد ملحوظ في العمل الفدائي الاستشهادي في النجف والناصرية والأنبار، لاسيما بعد عملية الشهيد علي جعفر النعمان في النجف، ولم يستطع الإعلام العراقي المتواضع أن يوصل كل تلك الحقائق إلى العالم بسبب قدرته الضعيفة وسوء الإدارة الإعلامية ومحاصرة القوات الغازية للقنوات الإعلامية المستقلة والمحايدة، تمهيداً لغدر العراق واحتلاله وإجهاض تصديه البطولي، رغم استبداد النظام الذي لم يسمح لكثير من المخلصين بالمشاركة الفاعلة في القتال، ورغم تردد البعض من الناس بحجة أن الراية البعثية التي يرفعها النظام لا تمثّلهم، إلا أن الجيش والفدائيين العراقيين والعرب وأهل المدن والعشائر في جنوب العراق وغربه وشماله، كل تلك الفصائل قاتلت وجاهدت خلال الأسبوعين الأولين كصف واحد وقوة واحدة مؤثّرة وسخية[1]، وقد

---

**[1]نص رسالة صدام إلى شيوخ العشائر العراقية والفدائيين يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٣/٢٥ وهي باختصار كما نشرتها الصحف العراقية:-**

**وجه الرئيس صدام حسين يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٣/٢٥، كلمة إلى شيوخ القبائل والأفخاذ لتصعيد قتالهم ضد العدو وإلحاق أفدح الخسائر ودفعه إلى الفرار مذعوراً. وقال القائد في كلمته: اليوم جاء دوركم ولعمري فأن أبناء**

كل قبيلة من قبائلكم وهم عراقيون أصلاء وعرب أقحاح وأهل نخوة وإيمان لا ينتظرون موقفاً من شيوخ قبائلهم وعشائرهم حتى يهبوا ليقاتلوهم في كل بستان وعلى كل طريق. فقاتلوهم أيها الأخوة بعشائركم وقبائلكم وليجد العدو فيكم غلظة عليه، فإذا واجهتموه وألحقتم به خسائر جدية حتى لو لم تكن كبيرة جداً سترون كيف يفرّ مذعوراً أمام ضرباتكم، ذلك لأنه غريب وعلى باطل ومعتدي أثيم. وأضاف سيادته: إن العمر كله قد يحكم قيمته ومعناه موقف يوم أو عدة أيام.. وإذا ما صدح صوت الحق مجلجلاً بالنخوة.. فإن آلاف البنادق سترتفع من حولكم ولا تنتظروا في هذا حتى يأتيكم أمر من المراجع التي اعتدتم أن تتلقوا التوجيه منها.. فكل عراقي قائد في موقعه على أساس عنوانه.

وخاطب الرئيس صدام حسين يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٣/٢٥، فدائيي صدام في رسالة أكد فيها على ثقته العالية بدورهم البطولي المنتظر في مواجهة العدوانيين الأشرار.

وقال سيادته: تذكروا أبنائي واخواني، إنكم أهل فداء، وفدائيو صدام، وأبناء العراق الأعز.. وقد ثبت لدينا من خلال فعاليات إخوانكم في القوات المسلحة والشعب إن ضربة واحدة على اثنتين أو أربع من آلياته تجعله يتراجع، فتابعوا ضرباتكم على هذا العدو الغاشم الجبان، وانتخوا بعد التوكل على الله، باسم العراق وباسمنا. وأضاف القائد: قاتلوهم واضربوهم في كل مكان على وفق الحزم الذي عرفتم به، وعلى وفق ما يقاتله الآن كل شريف أغر، وماجدة مؤمنة في العراق العظيم.

وشدد في رسالته قائلاً: اظهروا عليهم، وليظهر الحق على الباطل، وتذكروا أن الإدارة الدقيقة وطريقتها، والتدبير ونوعه، حاسمان اليوم في هذه المعركة

حدثني الكثير من شهود العيان من الجيش والشعب أن مئات الأسرى الأمريكان في الناصرية والبصرة والأنبار قد تم عرضهم على الناس وحجزهم في أماكن مخصصة تمهيداً لاستلام الأوامر بشأنهم، وقد ذكر أحد الثقاة أنه في إنزال غرب الأنبار بين الرطبة والقائم في الأسبوع الأول تم قتل ٥٠ أمريكي وأسر ٧٥ جندي آخر تم حجزهم عند قبيلة البو نمر ولم يسلّموهم إلى الدولة بسبب إشكال قديم بينهم وبين السلطة، مما دعا بصدام إلى استرضائهم وإكرامهم على عملهم الباسل، وكذا الأمر في الناصرية حيث تمّ أسر عدد كبير من الجنود الأمريكان بعد معركة الناصرية الباسلة في مطلع الأسبوع الثاني، وقد حدثني شاهد عيان آخر عن مئات القتلى الأمريكان التي كانت رؤوسهم تلقى أمام صدام في بغداد، ممن كانوا حصيلة المعارك والعمليات الفدائية في

---

**المقدسة وفي كل معركة حاسمة عندما تتوفر المعنويات، وهي متوفرة والحمد لله، واحرصوا على أن تجعلوا تضحياتنا على أقل ما يمكن، وخسائر العدو بأكثر ما هو ممكن.**

**وختم الرئيس رسالته بالقول: لقد اختار العدو أن يتوغل عميقاً فاجعلوا العمق الذي اختاره ليتوغل فيه مستصغراً شأن شعبنا العظيم، وإن شأن كل مقاتل غيور وروح الفداء التي يحملها من حملها بصدق وإيمان.. عبئاً عليه، لا يتخلص منه إلا بعد أن يندم ويفر هارباً إلى بلاده. قاتلوهم واضربوهم في كل مكان، يا قرّة عين العراق.. إن أيامكم هذه هي أيام النصر العظيم الذي لا ينتظره العراقيون فحسب وإنما كل الناس المؤمنين والخيّرين في العالم أيضاً.**

مختلف مواقع القتال، وبعد حادثة عرض الفيلم العراقي للأسرى الأمريكان والضجة الكبيرة التي افتعلوها حول انتهاك العراق لاتفاقيات جنيف للأسرى، أصبح عرض الأسرى في التلفزيون والتصريح بعددهم من الأمور الحساسة في الإعلام العراقي، ويقال أن صدام أمر بقتل من يقع في الأسر من الأعداء للتخلص منهم ومن الإشكال الإعلامي والاتهامات الأمريكية[1].

أما العمليات الاستشهادية فقد كانت عديدة ولكن الإعلام العراقي كان أضعف من أن يغطيها كلها، عدا تلك التي أعترف بها العدو والتي كانت قرب المدن الكبيرة، وأشهرها العملية الاستشهادية الكبرى التي قام بها الشهيد البطل علي جعفر موسى النعمان في مدينة النجف،

---

**[1] بعد تأزّم الموقف العسكري في الأسبوع الثالث أمر صدام حسين بقتل جميع الأسرى لصعوبة نقلهم إلى بغداد ولإرهاب العدو، وتم فعلاً تنفيذ تلك الأوامر منذ بداية الأسبوع الثالث للحرب كما ذكر شهود عيان عسكريين ومدنيين. كما انه رغم الضجة الإعلامية الكبيرة التي قام بها الأمريكان بعد عرض فيلم الأسرى الأمريكان في الناصرية، واتهموا العراق بانتهاكه لحقوق الإنسان واتفاقية جنيف حول الأسرى، فأنهم عادوا فعرضوا جثة كل من عدي وقصي بعد قتلهما في الموصل في أواخر تموز وقيامهم بحلق شعر الرأس واللحى ولم يجرؤ أحد أن يتهمهم بتلك التهم، فيا للمفارقة في الاعتراض بين القوي والضعيف، وفي ذلك قال المعري الفيلسوف العربي قديماً حين وُصِفَ له أكل الدجاج كعلاج: استضعفوك فوصفوك ولو كنت شبلاً ما وصفوك.**

والتي قتل فيها ١١ جندياً أمريكياً ودمّر دبابتين وناقلتي جنود في أول عملية فدائية بطولية تم إعلانها يوم السبت ٢٩/ ٣ حيث قاد سيارة مفخّخة وفجّرها في وسط آليات العدو وجنوده، وقد أعترف الأمريكان بهذه العملية وذكرتها وسائل الإعلام العالمي[1]، وكذلك عملية إسقاط الفلاح العراقي علي لفتة المنقاش للطائرة السمتية في كربلاء باستخدام سلاحه الخفيف (بندقية برنو) يوم الاثنين ٣/٣١ والتي حاول الإعلام الأمريكي التشكيك بها بعد احتلال بغداد في محاولة لتسويق الرواية

---

**[1] نذكر هنا للتوثيق نص تصريح الناطق العراقي المخول حول أول عملية استشهادية في الحرب العراقية الأمريكية:**

**صرح ناطق مخوّل السبت ٢٩/ آذار/٢٠٠٣ بأن زفّ بشرى استشهاد نائب الضابط علي جعفر موسى حمادي النعماني أحد أبطال قواتنا المسلحة الباسلة، وضع هذا الفدائي العظيم بعد أن قبل المصحف الكريم وراية الله أكبر نفسه في سيارة ملغومة واتجه بها إلى تجمع للدبابات والآليات المدرعة للعدو على أطراف مدينة النجف ليجعل من جسمه الطاهر مع سيارته والمتفجّرات التي تحمل صاروخاً مدمراً ففجر نفسه وسيارته في تمام الساعة العاشرة والربع من صباح يوم التاسع والعشرين من آذار لعام ٢٠٠٣ وقتل أحد عشر من الأوغاد الأمريكان مع عدد كبير من الجرحى إضافة إلى تدمير ناقلتي أشخاص مدرعتين وإعطاب دبابتين.. وقد قرر الرئيس صدام حسين منح الشهيد البطل نائب الضابط علي جعفر موسى النعماني وسام الرافدين من الدرجة الأولى.. ومنحه وسام أم المعارك من الدرجة الأولى ومن النوع النوع العسكري.**

الأمريكيــة للحــرب مســتبعدين أي دور بطــولي للعــراق[١]، والعمليــة الفدائية البطولية النسوية التي قامت بها الشهيدتان نوشة الشمري ووداد الدليمي في مدينة الرمادي يوم الجمعة ٤/٤ في مطلع الأسبوع الثالث للحرب والتي أدت إلى مقتل وجرح عدد من أفراد قوات التحالف.

وقد روى لي أحد شهود العيان الثقاة من أهالي البصرة بعض الأحداث التي حدثت في البصرة أثناء الحرب وبعد سقوط النظام في بغداد[٢] فقال: أنه في اليوم الثاني من الهجوم دنس البريطانيون أرض الزبير بن العوام والحسن البصري (مدينة الزبير ) وواجهوا ما لم يتوقعوه من الناس الذين عشقوا الحق، فواجهوا هذا التدنيس بكل صلابة بما امتلكوا من أسلحة متواضعة وأحرقوا بعض آليات العدو واختطفوا بعض الجنود من المعتدين وذبحوا الآخرين مما أدخل الرعب في قلوب المستعمرين.

---

**[١] لقد أعترف جابر عبيد مقدّم برنامج (حرب الصحاف) قبل أن يؤكد الصحاف نفسه صحة الخبر، بأنه قابل الفلاح العراقي علي لفتة المنقاش نفسه في كربلاء بعد انتهاء الحرب وأكدّ له أنه أطلق النار على السمتية قبل هبوطها اضطرارياً، ثم أكدّ الصحاف نفسه ذلك الخبر الذي حاول الإعلام المعادي تكذيبه، وبذلك يصبح الخبر العراقي صادقاً رغم أنف الإعلام الأمريكي والمنهزمين نفسياً ممن صدقوا قول الخصم وشكّكوا بالخبر.**

**[٢] إنه الشيخ الدكتور عبد الكريم البصري رعاه الله.**

ومن الروايات التي تعد من صفحات الصمود البطولي ما فعله آل الراشد في الفاو إذ وقفوا يدافعون عن المدينة دفاع أصحاب الحق عن حقهم وقد شهد لهم الناس بذلك.

لقد دارت معركة رائدة بين قوات المشاة البحرية في ( أم قصر ) وبين القوات البريطانية ابتدأها البريطانيون بالقصف الشديد بالطائرات والمدفعية فلم تتحرك القوات العراقية أي حركة وظن البريطانيون أنه لم يبق من قوات المشاة والبحرية العراقية أحد فتقدموا عليهم، فخرجوا لهم من المواضع ودارت معركة ضارية بين الطرفين حقق فيها العراقيون نصراً على الأعداء وكبّدوهم خسائر فادحة وتراجع الباقون إلى الخلف.

أما في مدينة البصرة فقد ربض البريطانيون على مشارف المدينة، وبالتحديد عند جسر الزبير ولم يستطيعوا التقدم إلى المدينة لمدة أسبوعين ووقف بوجههم الفدائيون العراقيون والعرب، وقد تفاهم بعض أعضاء الحزب الحاكم الكبار من بعض العملاء مع البريطانيين حول تسليم البصرة دون قتال، ولم يتحقق ذلك ألا بعد جهد جهيد، بفضل وجود الأبطال الغيارى من الوطنيين والفدائيين، ومن صور البطولة لهؤلاء الفدائيين العرب أنه كان أحدهم قد شدّ رجله حتى لا يستطيع التراجع، وكان يضرب العدو وقد أحرق دبابة وناقلة ثم أستشهد، وقد كان ذلك في ( معركة حمدان ) هكذا سميت عند الناس

لأنها في منطقة حمدان، ويروي لنا الثقاة إن امرأة خائنة أخذت ترمي على الفدائيين بسبب ولائها للأجنبي وادعائها بغضها لصدام ثم قُتلت بنار الفدائيين. وقد أصاب الناس في هذه المنطقة الهلع بسبب القصف العشوائي عليهم.

وعند دخول القوات المحتلة للمدينة كان بعض الرعاع الذين لا يفهمون معنى الحق وأهله والباطل وأهله، أخذوا يصفقون ويضحكون مع جنود الاحتلال، ولكن أغلبية الناس ثبتوا ولم يخشوا الباطل فمنهم من لزم بيته وأخذ يبكي ومنهم من لم يصدق ما هو فيه، ويذكر إن جماعة من جامع الفاروق في الجنينة أخذوا يبكون في المسجد فاستحيا الناس من استقبالهم للمعتدين وتراجعوا ودخلوا بيوتهم.

بعد الاحتلال جاءت المأساة وحلت الفوضى ونزل الانفلات الأمني بساحة الناس وغياب القانون بغياب الأخلاق والدين، وبدأ السلب والنهب لدوائر الدولة، أقول لدوائر الدولة فلم تذكر حالة سرقة للأفراد إلا ما ندر، والسرقات كانت مقتصرة على الدوائر والمؤسسات والمخازن، ومن بين هذا التسيب والانفلات كانت هناك أخلاق وقيم بصيغة فريدة، فقد وقف أهل السيمر قرب المحكمة القديمة في البصرة على الشارع وأخذوا يقذفون السرّاق و(الحرامية) بالحجارة فكسروا سياراتهم وأمتعتهم فتركوا الأمتعة وهربوا.

ثم هبّ العلماء إلى حث الناس إلى تذكّر الله وردّ المظالم وإرجاع الممتلكات إلى أماكنها فأرجعوها إلى المساجد والحسينيات. ثم بدأ دور المخلصين الغيارى في إعادة بناء البلد والمؤسسات.

## فشل خطة الحرب الخاطفة والصدمة والترويع الأولى

مع مطلع شهر نيسان تم إجراء تغييرات في الخطة الأمريكية ميدانياً وإعلامياً، وذلك لأن الخطة الإعلامية التي كانت تعتمد أساساً على إخفاء الحقائق وتقليل عدد الخسائر إلى أدنى حد ممكن أصبحت غير قابلة للتنفيذ بسبب الخسائر الجسيمة في معارك المدن والعمليات الفدائية، وبسبب وجود الإعلاميين المحايدين ونقلهم جزءً غير قليل من الحقائق التي لا تروق للأمريكان ولا تنسجم مع خطتهم الخبيثة، فقررت قيادة التحالف تهميش دور وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد وإسناد قيادة الجيش لرئيس الأركان، وتشديد عملية تقييد الإعلام الأوربي والعربي المحايد والتي وصلت إلى درجة ضرب مركز التجمع الإعلامي في بغداد وقتل عدد من الصحفيين، منهم مراسل قناة الجزيرة الشهيد طارق أيوب، والتآمر على الإعلام العراقي وطعنه من الخلف وإظهاره بمظهر الإعلام الكاذب المخادع بأساليب تكتيكية رخيصة، آخرها قصة معركة المطار التي خُدع فيها وزير الإعلام

العراقي محمد سعيد الصحاف أيما خديعة سنأتي عليها لاحقاً، وضرب وسائل الإعلام العراقي في القلب بقصفها بشكل هستيري ومتكرر، والاتصال بالقادة الميدانيين والأمراء العراقيين في الجيش والحرس الجمهوري وتحذيرهم من خطورة مواجهة القوات الغازية وتهديدهم بمحاكمتهم كمجرمي حرب، وإدخال عناصر من قادة المعارضة إلى المدن العراقية الجنوبية التي استعصى عليهم دخولها لتفتيت الجبهة الداخلية والتشكيك في قدرة النظام والجيش على الصمود، وتجييش الجواسيس والعملاء ونشرهم في المرافق والأماكن المهمة في البلد وتجهيزهم بأجهزة ومعدات متخصصة لتحديد الأهداف الحيوية لغرض قصفها، وذلك للإسراع في الإجهاز على أركان النظام، ويتوقع البعض أن عدد الجواسيس الذين أدخلتهم قوات التحالف وصل إلى ٥٠٠٠ جاسوس وعميل[١]، واستنفار القوة الاستخباراتية للتحضير

---

**[١] لقد قام التلفزيون العراقي أثناء الحرب بتصوير وفضح عدد من هؤلاء الجواسيس وتصوير الأجهزة التي يستعينون بها، ومنها جهاز الهاتف الجوال (الثريا الذي كان محظوراً) وغيرها من الأجهزة التي تستطيع تحديد المواقع المهمة ليتسنى قصفها بالإحداثيات الدقيقة المحددة. وقد تسربت شائعات لتخويف الناس من الإصغاء إلى هذا التيار الذي بدأ يتعاظم ويزداد مع تقدم أيام الحرب لاسيما بعد مطلع شهر نيسان، ومن هذه الشائعات التي ربما كانت تبثها الدولة: إن بعض هؤلاء قد يأتي بصفة لجان طبية لتلقيح الأطفال ثم يقومون بخطفهم، وغيرها من الشائعات المضادة لهذا التواجد**

للضربة القاصمة.. ثم توجيه الضربة القاضية للنظام العراقي في المطار والمنصور والقصر الجمهوري في الأسبوع الثالث خلال أيام الأحد والاثنين والثلاثاء منه. هكذا كانت الخطة بعد أن يأس العدو من الوقوف أمام بسالة التصدي العراقي على الأرض، لاسيما وأن الخطة الأمريكية كانت ـ كعادة أي غازي جبان-تقتضي عدم الدخول في المدن والاصطدام مع الجيش والحرس والفدائيين، فكان هؤلاء الغزاة يجوبون الصحراء خوفاً من الموت على أيدي العراقيين، متترّعين بحصونهم ومدرعاتهم ومعتمدين على التفوق الجوي الساحق وقوتهم الصاروخية، وتلك الصفة يؤكدها القرآن الكريم حين يخبر المؤمنين عن قتال هؤلاء المعتدين وأمثالهم فيقول: [ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرىً محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ] (سورة الحشر/١٤) وقد زاد من ورطتهم في حصنهم الصحراوي تلك العاصفة الرملية التي أعمت أبصارهم وأجهزتهم فضلاً عن قلوبهم. كما إن من الحقائق الأخرى ـ والتي نشرت في تقارير وكالات الأخبار العالمية- التي تبين الزيف الإعلامي الأمريكي هي استخدام أكثر من ١٥٠ ألف جندي من القوات الخاصة (المرتزقة) وهذا العدد يزيد على نصف الجيش الأمريكي

---

**المتزايد لأفراد من المعارضة للنظام أو المندسين والداخلين مع قوات التحالف إلى المدن العراقية.**

الذي جيء به لغزو العراق، وهؤلاء حسب ما صرّح الأمريكان أنفسهم إنهم مرتزقة بحق، فهم ممن لم يحصل على الجنسية الأمريكية أو من أوباشهم وسرّاقهم ومجرميهم وسجنائهم، ممن يرغبون الالتحاق في هذه القوات الخاصة بأجور مجزية وعالية جداً مقابل شرطين هي أن لا يُعلن عن مقتلهم من قبل الحكومة الأمريكية، ولا يحق لأهلهم المطالبة بمعرفة مصيرهم بعد مقتلهم، كما ويمتاز الجيش الأمريكي المنتشر في الخليج بميزة أخرى، هي تخصيص فرق عديدة وكبيرة للإخلاء والإنقاذ، فلا تنتهي معركة أو هزيمة لجنودهم ودروعهم حتى يسارع هؤلاء بواسطة فرق الإنقاذ لسحب وشفط كل ما على الأرض من القتلى والجرحى والمعدات والدروع والطائرات دون الحاجة إلى الإعلان عن ذلك[1]. بتلك الخطة الخفية استطاعوا أن يصوروا للعالم أنهم لم يخسروا أكثر من مائة وخمسين قتيلاً مع عدد من الجرحى

---

**[1] لقد أظهرت الأشهر التي تلت الحرب وبعد تصاعد المقاومة العراقية، إن خطة سحب المعدات والآليات المعطوبة فضلاً عن القتلى والجرحى بسرعة خاطفة من البديهيات التي نراها يومياً، وتذكرها وكالات الأنباء كل حين، وهو ما يؤكّد ما ذهبنا إليه أثناء الحرب. انظر في ذلك تأكيد الأستاذ أحمد منصور في كتابه (قصة سقوط بغداد) الذي صدر بعد خمسة أشهر من نهاية الحرب. كما ويتناقل العراقيون الآن أخباراً مؤكدة تقول بأن الكثير من الجثث لقتلى الجنود الأمريكيين ترمى في البحيرات والأنهار القريبة من المعسكرات الأمريكية، مما يؤكد مفهوم الارتزاق لكثير من أفراد الجيش الأمريكي.**

والأسرى، مما يصور عقليّة الكاوبوي والخيال الذي يحكمهم ويمنّيهم بالسيطرة على العالم، بحجة إنهم لا يقهرون وإن ما يقتل منهم هو شيء لا يذكر مقارنة مع قتلى خصومهم والأهداف الكبيرة التي يبغون تحقيقها، مما يخدع الرأي العام الأمريكي بأسطورة القوة الأمريكية ومنهجهم الذي لا يعتمد إلا على الكذب والخدع الإعلامية الكبرى، مما سيؤدي حتماً إلى مأساة مروعة في أمريكا والعالم خلال الحقبة القادمة، إذا لم يتم ردع هذا الأسلوب المخادع، والذي لا يحتفظ بأي قيمة شريفة أو مبدأ حضاري إنساني سوى تقديس القوة التي تمثل الحق في العقل الأمريكي الباطن، وخداع البشرية من خلال الهيمنة على الإعلام العالمي ومقدرات العالم[١].

---

**(١) لقد استطاع العراقيون بعد الحرب وخلال بعضة أشهر بعد تصاعد المقاومة من النيل من الهيبة الأمريكية في العالم وإجبار الإدارة الأمريكية للاعتراف بتورطها في احتلال العراق، والاستغاثة بالآخرين لإخراجها من المستنقع العراقي، واستعطاف دول العالم والأمم المتحدة لمساعدتها للخروج من هذا المأزق بأقل الخسائر وبصورة تحفظ لها ماء الوجه، ومن تلك التنازلات بعد تدني شعبية الرئيس الأمريكي إلى مستوٍ حرج واهتزاز مصداقية إدارته، التغيير الجذري للإستراتيجية الأمريكية في العراق وتحديد موعد قريب لنقل السلطة إلى العراقيين، مذعنين لإرادة الشعب الرافض للوجود الأجنبي ومتجاوزين محطة إعداد الدستور المفتعلة للخروج من الأزمة الخانقة. ولكن نقول– للتاريخ– إن اعتقال صدام في منتصف كانون**

أول الماضي قد غيّر تلك المعادلة بشكل ملموس حيث عادت معدل عمليـــات المقاومة إلى الانخفاض والتي كانت قد وصلت إلى ٣٥ عملية يومياً في شهر تشرين الثاني كما صرحت قوات التحالف، فانخفضت إلى أقــل مـــن عشـــرة عمليات يومياً في شـــهر كـــانون الثـــاني وشباط ٢٠٠٤م، رغم إنها حافظت على التطور النوعي في تهديـــد الطيـــران الأمريكـــي واســـتهداف القواعـــد والمعسكرات والمواقع الأمريكية المحصّنة عن بعد، كما إن الوضـــع الأمنـــي استمر بالتدهور ولم يتحسن كثيراً عما كان قبل الاعتقـــال، وقـــد اســـتهدفت مراكز الشرطة العراقية بشكل ملفت للنظر دون معرفة الجهات المنفّذة لتلـــك التفجيرات العنيفة والدامية، كما حدث في كربلاء والموصل وسامراء ومركز الشرطة في الإسكندرية ومركز تأهيل الجيش العراقي الجديد في (العـــلاوي) في بغداد ومركز شرطة الفلوجة، وهذه التفجيرات التي حدثت في مطلع عـــام ٢٠٠٤م وخلال شهر شباط والتي راح ضحيتها المئات من العراقيين ومـــن قوات الاحتلال، تذكرنا بالتفجيرات الكبيرة التي حدثت قبل اعتقال صدام وفي الأشهر التي تلت نهاية الحرب، في بغـــداد والنجـــف والبصـــرة والموصـــل والرمادي والناصرية، لاسيما حوادث تفجير السفارة الأردنية والإيطالية ومقر الأمم المتحدة في بغداد ومقتل ممثل الأمين العام للأمم المتحـــدة (ســـيرجيو ديميللو)، وكذلك تفجير مقر الصليب الأحمر في بغداد وفنادق بغداد الكبيـــرة ومركز الشرطة في بغداد وبعقوبة والعديد من المدن العراقية ومركز القوات الإيطالية في الناصرية وغيرها خلال شهري آب وأيلول ٢٠٠٣م، ولعل أسوأ التفجيرات الدامية التي شهدها العراق وآخرها قبل إرسال هذا الكتـــاب إلـــى الطباعة هي تفجيرات عاشوراء في الكاظمية وكربلاء بتاريخ ٢/ ٣/ ٢٠٠٤م والتي راح ضحيتها قرابة ٢٧٠ شهيد وأكثر من ٥٠٠ جريح، وقـــد حمّلـــت

المراجع الإسلامية سلطة الاحتلال مسؤولية التفجيرات، وذلك لعدم توفيرها الأمن الكافي والاستعداد اللوجستي لمنع الهجمات الإرهابية على المدنيين، كما أشارت بعض التحليلات إلى وجود أصابع أجنبية خفية وراء هذه الجرائم الدامية بغية تفجير الوضع الطائفي والعرقي وإثارة الفتن والحرب الأهلية بين التشكيلة الموزائيكية التي امتاز بها العراق منذ القدم، والأمر نفسه ينطبق على تفجيرات عيد الأضحى الدموية أيضاً التي حدثت في مقري قيادة الحزبين الحاكمين الكرديين في أربيل والتي راح ضحيتها أكثر من ٣٠٠ شهيد وجريح من القيادات والكوادر الكردية في شمال العراق. في الحقيقة أن شعبية الرئيس الأمريكي بوش قد ازدادت بشكل طفيف بعد زيارته الخاطفة لبغداد واعتقال صدام، أو يمكن القول أنها استقرت تقريباً بعد التدهور المستمر الذي واجهه بوش بعد نهاية الحرب، بسبب تصاعد المقاومة والأزمات السياسية والاقتصادية التي كان جزءاً منها قد تبلور من جرّاء تورطه في الحروب المكلّفة في أفغانستان والعراق ، رغم أن المنافسة المتوقعة ستكون شديدة مع المرشح الديمقراطي، ومن المتوقع أن يكون العرب والمسلمون من الفئات المؤيدة للمرشح الديمقراطي بسبب الكره الفطري المتبادل بين بوش وبين العرب والمسلمين سواء داخل أمريكا أو خارجها، وقد صرّح الديمقراطي (هوارد دين) وهو أحد المرشحين الأربعة الذين سيخرج منهم مرشح الحزب الديمقراطي المنافس للرئيس بوش الذي يمثل مرشح الحزب الجمهوري المتحالف مع اليمين المتطرّف واللوبي الصهيوني، بأن احتلال العراق كان في أجندة الرئيس بوش وحزبه منذ اليوم الأول لتوليه الرئاسة ولا علاقة لذلك بأحداث أيلول، كما إنه شجب مغالطة محاربة المسلمين باسم الإرهاب، وقال إن هذه سياسة غبية ستؤدي إلى كره

# استعدادات صدام لإطالة أمد الحرب

لقد كانت هناك مؤشرات عديدة تشير إلى تماسك النظام العراقي وقوته خلال الأسبوعين الأولين للحرب، بل قد يتعدى ذلك حتى صباح يوم الاثنين ٢٠٠٣/٤/٧ حيث شاهدتُ بنفسي أوراق موقعة من البنك المركزي العراقي للمكافآت التي قرر صدام صرفها لمن يقتل أحد الغزاة أو يسقط طائرة أو صاروخ أو يدمر دبابة أو مدرعة أو ناقلة جنود، وكان تاريخ التوقيع للبعض منها يوم الاثنين ٤/٧، هذا فضلاً عن انسيابية الأعمال الخدمية لاسيما الكهرباء والماء، واستمرار عمل محطات تعبئة البنزين بشكل اعتيادي دون ازدحام أو إرباك، حيث قمت أنا لآخر مرة بملء سيارتي بالبنزين يوم الاثنين ٧ /٤ أيضاً عصراً من محطة المنصور قرب السوق المركزي[١]، وكذلك استمرار

---

**العالم كله، وليس الغرب وحده لأمريكا، ووعد بأنه قادر على إصلاح هذا الخطأ السياسي، وان حزبه لا يؤيد سياسة الحروب الوقائية التي يمارسها الرئيس بوش حالياً.**

**[١] والجدير بالذكر أنني لم أستطع أن أقوم بملأ سيارتي من محطات البنزين مباشرة بعد ذلك إلا بعد ستة أشهر، حين قمت لأول مرة بعد أن وضعت**

المداخن المصطنعة الناتجة من حرق النفط الأسود حول بغداد لما بعد الاثنين، واستمرار إعداد البيانات العسكرية واللقاءات الصحفية لوزير الإعلام ووزير التجارة حتى صباح الثلاثاء[٢]، وقد شهد الأسبوع الثاني للحرب إرسال رسائل وبيانات ومكافآت عديدة من قبل صدام وكانت تقرأ من قبل وزير الإعلام، منها رسالة مفتوحة من صدام إلى

---

**الحرب أوزارها بملأ السيارة من محطة الأعظمية يوم ٢٠٠٣/٩/٢٦م وذلك بسبب الأزمة والزحام والفوضى التي تفشّت بعد الاحتلال.**

**[٢] نص بيان القوات المسلحة العراقية ليوم ٢٠٠٣/٣/٢٩م :**

**أجمل ناطق عسكري في بيان صدر عن القيادة العامة للقوات المسلحة السبت ٢٩/آذار ٢٠٠٣ حصاد أبناء العراق في أيام الحواسم الأولى حيث بلغت خسائر العدو المنظورة لتلك الأيام من معركة الحواسم كالآتي:**

**أولاً/ إسقاط خمس طائرات مقاتلة.. ثانياً/ إسقاط ست طائرات مسيرة.. ثالثاً/ تدمير أربع طائرات سمتية والاستيلاء على واحدة من نوع أباتشي سالمة. رابعاً/ تدمير أربع وسبعين دبابة..خامساً/ إسقاط مائة وثلاثة وأربعين صاروخ من نوع كروز. سادساً/ تدمير خمسة وثلاثين ناقلة أشخاص مدرعة. سابعاً/ تدمير خمسة ناقلات للدبابات. ثامناً/ تدمير عشرين عجلة للقيادة.. تاسعاً/ تدمير أحد مدافع العدو. عاشراً/ الاستيلاء على أربع عجلات محمّلة بالعتاد والأرزاق. أحد عشر/ قتل المئات من شراذم العدو في مختلف سوح العمليات وجرح الألوف من هؤلاء..الذين قامت سلطات الشر والعدوان بنقلهم بطائرات نقل ضخمة الحمولة إلى المستشفيات في أوربا كما تم أسر عدد من أفراد العدو.**

الزعيم الكردي جلال الطلباني[1] يحذره فيها من مغبّة التمادي في متابعة قوات الاحتلال والمشاركة معهم في غزو الموصل وكركوك ما دام صدام في الحكم ويمثل السلطة المركزية للعراق[2]، ورسالة جوابية ذات طابع معنوي وتطميني لنساء العراق موجهة إلى بنت أخيه ثريا برزان، وكانت الرسالة تكنيها بأم أحلام للتأكيد على الدور الأبوي لصدام لنساء وبنات العراق، وكانت تؤكد على عدم السماح لقوات التحالف بدخول بغداد واختراق أسوارها إلا على أجسادنا[1]، كانت تلك الرسالتين قد أذيعت يومي الاثنين والثلاثاء ٣/٣١ و ٤/١. غير أن الموقف قد أنقلب رأساً على عقب بعد أسبوع واحد من إذاعة هذه الرسائل، ودخل المحتلون بغداد بشكل مفاجئ وغير متوقع. أما صدام فقد كان ظهوره في بغداد يوم الأحد ٤/٦ عصراً في مناطق عديدة

---

**[1] لقد كنت بمعية أحد الأصدقاء في مطعم مقابل جامع الإمام الأعظم بعد الساعة الثامنة ليلاً وسمعنا تلك الرسالتين من شاشة التلفزيون وكان الطيران الحربي الأمريكي فوقنا وسمعنا أصوات القصف الجوي في تلك الأثناء.**

**[2] حاولت الحصول على نص الرسالة من صدام إلى جلال الطلباني إلا أنني لم أفلح بسبب الظرف الذي كان يمر به العراق لاسيما فقدان واحتراق معظم الوثائق والأوراق الحكومية واضمحلال مؤسسات الإعلام العراقي.**

**[1] كذلك لم أحصل على نص الرسالة التي وجهها صدام إلى بنت أخيه ثريا برزان للسبب نفسه.**

كالمنصور والأعظمية وشارع حيفا، حيث نقل التلفزيون العراقي تلك الجولة -وكان قد ألقى الخطاب الثاني له يوم الاثنين ٣/٢٤ في الأسبوع الأول للحرب[٢]- ولم يظهر صدام حسين بعدها في بغداد إلا في الأيام

---

**[٢] لقد أوردت وسائل الإعلام العراقي الخطاب الثاني للرئيس صدام خلال الحرب فقالت:**

**دعا الرئيس صدام حسين المجاهدين الأبطال إلى أن يضربوا عدوهم بقوة ودقة.. بقوة وروح الجهاد التي يحملونها وأن يتبعوه إلى الحد الذي يغدوا فيه عاجزاً عن الاستمرار وارتكاب المزيد من الجرائم ضدهم وضد أمتهم والإنسانية. قال الرئيس صدام حسين في خطاب ألقاه في صباح يوم الاثنين ٢٤/آذار/٢٠٠٣ إنها أيامكم الحواسم أيها العراقيون فاضربوا الآن على وفق ما أمركم ربّكم، اضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان، وبشر الصابرين وأضاف أنه من سياسة بلدنا أن نتجنب الشر، ولكن عندما يأتينا الشر متمنطقاً بسلاح الغدر والتدمير، لابد من وقفة إيمان وجهاد تعز أصحابها وترضي الله سبحانه.. وها أنتم تقفونها اليوم أيها العراقيون الغيارى والماجدات وأيها النشامى في قواتنا المسلحة الباسلة المجاهدة، وقفة تسرّ الصديق وكل المؤمنين وتغيظ العدى وكل الكافرين، وقفة تنتصرون بها بإذن الله على أعدائكم وتلحقون بهم أفدح الخسائر، وقال الرئيس صدام حسين: لقد تورط العدو مع أرض العراق المقدسة التي يدافع عنها شعب عظيم وجيش خبرته سوح الوغى فاضربوه بأبي أنتم وأمي أيها المجاهدون الأبطال.**

**وخاطب الرئيس صدام حسين العرب وكل المؤمنين في العالم قائلاً:**

أيها العرب.. أيها المؤمنين في العالم، يا رفاق الحق وأعداء الشر والباطل.. إننا نبشّركم بما أعزنا به الله في صراعنا مع سفهاء الناس، أعداء الإنسانية فقد خذلهم الله ونصر جنوده وأذلهم وسيذلهم ويخزيهم أكثر فـأكثر إن شـاء الله.. ولقد أعز عباده الصالحين.

ووجه الرئيس صدام حسين في خطابه التاريخي، التحية والثناء إلى مقـاتلي الحزب وجماهير الشعب والعشائر وفدائيي صدام ورجال الأمن القومي إلـى جانب قواتنا المسلحة ومنها عدد من تشكيلات جيشنا البطل، والتـي تميّـزت بمواقفها في الأداء والفداء بمستوى يستحق أن يفتخر به كل عراقي، بل وكل شجاع غيور وعسكري كريم. فضلاً عن التحية التي وجهها القائد إلى عـدد من القادة والآمرين والضباط لمواقفهم الشجاعة ومواقف وحداتهم.

وطلب الرئيس صدام حسين من العراقيين في البصـرة وبغـداد والموصـل والمثنى وذي قار، بالصبر الجميل فإن نصر الله قريب إن شاء الله.

<u>معركة الحواسم:</u> لقد أطلق صدام على الحرب الأخيرة التي ختم بهـا حكمـه للعراق أسم (معركة الحواسم) في أول خطاب قصير له بعـد بـدء الحـرب بساعات قليلة في صباح الخميس ٣/٢٠ .. ولا ندري هل ينطبق هذا الاسـم على هذه الحرب سواء كان على نظامه أو على خصميه المتحـالفين بـوش وبلير، ولكن الأشهر القليلة التي تلت الحرب عكسـت فضـائح واحراجـات حقيقية هزّت حكم الرئيس الأمريكي والبريطاني كل على حدة، ابتـداءً مـن فضيحة تلفيق وتضخيم امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وتصاعد وتيـرة المقاومة وتعاظم الخسائر البشرية الأمريكية وتخبّط السياسة الأمريكيـة فـي إدارة الملف العراقي وشؤون الشعب بعد سقوط النظام، واضطرار أمريكا إلى إعلان احتلالها للعراق بقرار رسمي من مجلس الأمن لتبرير شرعية الغـزو

والتواجد على أرضه وانتهاءً بانخفاض شعبية بوش وبلير مما اضطرّ بوش إلى تغيير سياسته بشكل جذري واستراتيجي لإنقاذ سمعته وشعبيته المتدهورة، والتي قد تؤدي إلى فشله في الانتخابات القادمة إذا ما فشل في احتواء المقاومة وتقليل الخسائر الأمريكية والحفاظ على هيبة أمريكا المنهارة أمام العالم بفعل المقاومة والانفلات الأمني في العراق، والأمر نفسه يواجهه بلير في بريطانيا وشارون في إسرائيل، ويعد اللوبي الصهيوني وإسرائيل من المؤيدين والداعمين لسياسة بوش المتهورة ومحاربة العرب والمسلمين باسم الإرهاب، وسياسة الحرب الوقائية والغزو التي أدت إلى احتلال أفغانستان والعراق، كما يواجه مجلس الحكم الانتقالي نفسه الإحراج والإحساس بالفشل والتبعية لسياسة المحتل وأن ترتيبات نقل السلطة الجارية الآن ما هي إلا وسيلة لحفاظ ماء الوجه بالنسبة لجميع الأطراف، في حين أن صدام حسين رغم خسارته في معركة الحواسم وهزيمة جيشه وحزبه ومقتل ولديه واعتقاله، إلا أنه اكتسب سمعة وتأييد غير متوقع في الأوساط العربية والعالمية، ولعله كان خلال الأشهر السابقة من أبرز الداعمين مادياً ومعنوياً لجناح المقاومة العروبي الوطني، ولقد أبدى هذا الرجل صلابة نادرة سواء أثناء الحرب أو بعد مقتل ولديه أو في سجنه، وكأنه يقول للعالم إن (معركة الحواسم) ستحسم لصالحه ولو بعد موته، وانه سيكون البطل القومي والتاريخي رغم أنف من دمّروا ملكه وأطاحوا بحكمه.. وما التعقيدات التي ظهرت في العراق بعد اعتقاله واعتباره أسير حرب بدلاً من مجرم حرب وأزمة الانتخابات في ملف نقل السلطة وتململ العرب الشيعة لرفض سياسات السلطة المحتلة، وتململ الأكراد في موضوع كركوك والفيدرالية وتلويحهم بالانفصال عن العراق إذا لم تستجب سلطة الاحتلال لمطالبهم في الفيدرالية

الأخيرة من حكمه يومي الأربعاء والخميس ولكن ليس كرئيس دولة وإنما كأحد الأشقياء وزعيم عصابة ومعه مجموعة من السيارات وعدد من الفدائيين، ربما لا يزيد عددهم على ١٠٠ شخصاً، حيث ظهر في جامع الإمام أبي حنيفة ظهراًَ بحدود الساعة الواحدة يوم الأربعاء ٩ /٤، وقد رآه عدد من أهالي الأعظمية منهم بعض أصدقائي، وأخص منهم الأخ أبو دعاء الذي قام بمصافحته ومعانقته، وهو يقول له أنتم أهل الأعظمية أبطال، كما التقيت بأكثر من عشرة أشخاص آخرين ثقة ممن رأوه وتكلموا معه في ذلك اليوم[1]، والجدير بالذكر أن صدام لم

---

**القومية، فضلاً عن التوتّر المستديم بين سلطة الاحتلال والعرب السنة الذين ما انفكوا يشعرون بالغبن في نسبة تمثيلهم وحقوقهم، وبإضافة الانفلات الأمني العام وارتفاع معدل الجريمة المنظمة في العراق والأزمات الخدمية الخانقة المستمرّة سواء أزمة المرور أو الوقود أو الكهرباء أو البطالة وغيرها كثير. كل ذلك يجسّم حقيقة المأزق العراقي، وتصوّر صدام وهو يرنو بابتسامته الصفراء وهو يضحك على بوش وبلير وما تورطا فيه من فخ قاتل ونفق مظلم لا ينفع معه حل حاسم إلا بالعودة إلى الشرعية الدولية ونقل السلطة بأسرع ما يمكن ومشاركة الأمم المتحدة في الإشراف على هذه المشكلة الشائكة المعقّدة التي كان صدام يخفيها باستبداده وحكمه الفردي المطلق!..**

**[1] لقد شكك البعض في تلك الزيارة رغم تثبيت الكتاب لتلك المعلومة اعتماداً على عدد كبير من شهود العيان الثقاة الذين رأوا صدام في ظهر يوم الأربعاء ٩/٤ وهو اليوم الذي أرّخ لسقوط بغداد، وشأن العديد من الأخبار**

يقدم أي شيء متميّز وحقيقي للأعظمية سوى بنائه القصر الرئاسي الحصين والذي جعله الأمريكان أحد مقراتهم بعد احتلال بغداد، ولم يزرها طوال حكمه، لكنه آثر أن تكون آخر أيامه في الأعظمية، وقد شوهد فجر الخميس في أحد مساجد الأعظمية الصغيرة، يقال إنه مسجد (بشر الحافي)[1] قرب جامع أبي حنيفة، ثم اختفى أثره. وكان وجوده في الأعظمية مع الفدائيين سبباً مهماً لقصف الأعظمية وتدمير مأذنة جامع الإمام أبي حنيفة ﷺ واستشهاد عشرات المدنيين والشباب والاستشهاديين وتخريب عدد كبير من المباني والمتاجر والسيارات.. وقد سمعنا دون أن نتمكن من ترجيح الأخبار التي تحدثت عن اشتراك صدام في القتال مع الفدائيين الذين رافقوه في عدة معارك في المنصور والعطيفية والأعظمية يومي الخميس والجمعة، فضلاً عن معارك سابقة في السيدية واليرموك وساحة النسور والقصر الجمهوري، ولقد سمعتُ بنفسي أصوات الرصاص لمعركة العطيفية دون أن أستطيع تأكيد وجود صدام مع المقاتلين عصر يوم ٤/٩.

---

**التي تم تثبيتها في هذا الكتاب في تلك الظروف الصعبة والحرجة والخطيرة، فقد أكّدت القنوات الفضائية ومنها الجزيرة هذا الخبر من خلال بثّ فيلم يصور تلك الزيارة الأخيرة الحزينة بعد نشر الكتاب بشهر تقريباً.**

**[1] لقد ذكر بعض الشهود والقراء فيما بعد أنه جامع خطاب وليس جامع بشر الحافي وكلاهما قريب من جامع أبي حنيفة.**

أستطيع أن أقرر- كما أكد بعض شهود عيان في المنصور- أن مفتاح بغداد واللحظة التي سقط فيها صدام وانهار النظام وبدأت الفوضى هي اللحظة أو الساعة التي تلت قصف المكان الذي خصص لاجتماع صدام مع القيادة في المنصور خلف مطعم الساعة في شارع ١٤ رمضان يوم الثلاثاء ٤/٨ ظهراً، وقد رأيت بنفسي يوم الأحد ١٣/ ٤ ذلك المكان بعد قصفه وتدميره، فبعد ذلك الحدث الحاسم والفاصل في تاريخ العراق خرج صدام من بين أنقاض البيت الذي تهدم كلياً نتيجة القصف الشديد والخاطف الذي تم بإشارة من أحد الجواسيس والمتخاذلين من قادة الجيش، خرج صدام ينفض التراب عن بزّته وهو لا يدري إنه بذلك كان ينفض يده من الحكم والسيطرة على مقاليد الأمور، حيث تحول فجأة إلى فرد عادي لا يختلف عن أي عراقي فاقد الحول والقوة، وتلك هي قدرة الله وقدره النافذ أن يحول السلطان إلى صعلوك والصعلوك إلى سلطان بفعل كن فيكون، ويتحول الملك إلى عبد ذليل في رمشة عين.. يؤتي الملك من يشاء وينـزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، فهل سيعتبر الناس والحكام والأمراء من تلك الأحداث والتغيرات الخطيرة التي قدرها الله على العراق وعلى حاكم العراق الذي لم يكن يتصور تلك النهاية الحزينة.

وقبل الحديث عن معركة بغداد نستطيع أن نقول، أن صدام قد رحل عن عالمنا كما بدأ حياته.. رجلاً شقياً شجاعاً[1] مستبداً عنيداً شديد العناد.. تاركاً ملكه العظيم تعبث به أيادي السرّاق والمجرمين والوصوليين، وبناءه العظيم أن ينهار تحت مرأى ومسمع من أعدائه والطامعين في عراقه الذي أبى أن يتقاسمه مع أحد، إلا أن يتركه تراباً

---

**[1] لقد اعترض العديد من المثقفين والمتأثرين من ظلم صدام واستبداده أثناء حكمه على كلمة (رجلاً شجاعاً) التي تم إطلاقها عليه بجانب وصفه التقليدي (شقياً مستبداً عنيداً) وطلب البعض حذفها، ولكني كنت مقتنعاً بعدم حذفها من الكتاب لأنها صفة حقيقية بجانب صفاته الأخرى، ولقد أثبتت الأيام شجاعته وتصدّيه لخصمه بوش حتى بعد اندحاره وسقوط نظامه، فقد أرسل العديد من الرسائل الصوتية بعد سقوطه يحثّ فيها العراقيين على المقاومة والثبات ولم يترك خصمه يهنأ بنصره الهزيل في العراق. كما أنه أثبت رباطة جأش وشجاعة غير معهودة وهو يرثي وينعى أولاده عدي وقصي وحفيده مصطفى، واستمر صدام في تحديه لأمريكا ومحاربته لها بعد الغزو والاحتلال حتى آخر لحظة من بقائه حراً على أرض العراق حين وقع في يد قوات التحالف بعد تخديره واعتقاله قرب تكريت في أواخر عام الاحتلال في ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٣م. ومن العدل أن نذكر الحقيقة كما هي لا كما يتمناها البعض، أما ما سيراه العراقيون في عهد الاحتلال وما بعد الحرب فلا يمكن تصويره بلسان المقال والكلمة ولكن بلسان الحال من الفوضى والفتن والصراعات التي لا أول لها ولا آخر، نسأل الله إن يعيد الاستقرار إلى بلدنا ويوفق الجميع إلى السير في طريق السلام والأمن والوحدة والإيمان.**

بأيدي خصومه، بعدما غدروا به عند دخوله جنة الكويت وغزوه لها بوحي وتشجيع منهم، يوم كانوا حفظة ملكه الأخفياء والذين جاؤوا به إلى السلطة وأغروه بحرب جارته الكبرى إيران.. ومن الطريف أن أذكر أنني اليوم الثلاثاء ٤/١٥ طفت معظم أحياء ومناطق بغداد في الكرخ والرصافة، فلم أجد صورة أو تمثالاً لصدام إلا وقد دمّر أو شوّه. في حين أن تمثال سلفه أحمد حسن البكر() في المنصور لا يزال محتفظاً بقوامه وزهوه ماداً يده إلى أهل بغداد في محنتهم العصيبة.

لقد كان صدام يعتقد أن نظامه سيصمد أمام العدوان الأمريكي لمدة لا تقل عن ستة أشهر، حيث إنه قام بتوزيع الحصة التموينية للشعب لمدة سبعة أشهر ولغاية الشهر العاشر من هذا العام ( ٢٠٠٣م )، كما أنه أمر بحفر آلاف الآبار في بغداد والمحافظات، وحث الناس على حفر الآبار في بيوتهم، ففي الأعظمية مثلاً حفرت مئات الآبار، وكانت على نوعين كبيرة وصغيرة، على عمق يزيد على ١٥ مترا بالنسبة للآبار الصغيرة وأكثر من ٢٥ مترا للآبار الكبيرة، حيث تم حفر آبار كبيرة في الحديقة المقابلة لجامع الإمام أبي حنيفة، وكذلك في حديقة (حجي

---

**() لقد تم تدمير تمثال البكر بعد تلك الزيارة للمنصور بشهر تقريباً فالتحق ببقية تماثيل صدام في بغداد، والغريب أن تمثال عدنان خير الله وزير الدفاع العراقي الأسبق (خلال حرب إيران) وابن خال صدام في ساحة الشهداء في الكرخ لا زال موجوداً في موقعه.**

بصرة) في حي السفينة، وبئر ثالث كبير مقابل جامع الرحمن الرحيم على كورنيش السفينة وقرب مستشفى النعمان، وشمل هذا الإجراء كافة الوزارات والدوائر المهمة والمستشفيات والجوامع والحسينيات والمقرات الحزبية والأمنية ومراكز الشرطة والأحياء الشعبية فضلا عن المنازل، وهكذا في باقي المحافظات والمدن العراقية الأخرى، مما يدل يقينا على أن صدام دخل المعركة ويحدوه الأمل بالثبات والمقاومة لأشهر طويلة بل لسنين على غرار ما حدث في حرب إيران، حيث صرّح على لسان أحد وزرائه إنه مستعد لحرب طويلة تصل إلى ١٣ سنة[١]، حتى يتغير الموقف السياسي في العالم العربي وأوربا والعالم

---

**[١] لقد أثبتت الأشهر التي تلت الحرب بأن صدام ونظامه لو استطاع الصمود بضعة أشهر قد لا تزيد عن ثلاثة أشهر لكانت كافية لهزيمة التحالف وانهيار الإدارة الأمريكية بقيادة بوش، وكان ذلك ممكن جداً لولا الترف والاستبداد وعدم قناعة الشعب بمنهج القيادة المتسلّط والذي غفل عن أبسط الحقوق لهذا الشعب البائس العريق، ويكفي أن نستذكر إن أقلية طفيلية من بطانة السوء والموالين لصدام كانت تعيش في ترف وأعطيات ورواتب ضخمة وامتيازات خيالية بينما يعيش معظم الشعب في شظف العيش وفي فقر مدقع، فقد كان معدل رواتب الموظفين (المدنيين والعسكريين) لا يزيد عن بضعة دولارات في الشهر، أما أزمة السكن والبناء المبرمج للمدن فقد تركت دون حل لعقود إلا مشاريع صغيرة لبناء الشقق والمساكن قرب المنشآت الحكومية**

وينحـاز لصـالحه، ولقد كانـت هذه الآمـال مجـرد أحـلام وخيـالات لأن أتباعه وحزبه معظمهم من النفعيين والوصوليين الذين أترفوا بـالأموال والمناصب والتسلّط على رقاب الناس، أما الفئات الوطنية التي كان من الممكن أن تصمد وتقاوم وتحارب فلم يكن يثق بها ولم يجهّزها بالسلاح المناسب، بل حتى السلاح الخفيف لم يسلّم إلى الناس حتى أواخر أيامـه لخوفه من انقلابهم عليه، عدا العشائر وسكان المدن - الذين استطاعوا التحايل على النظام والحصول على السلاح المحدود التأثير- والجيش والحرس والفدائيين الذين تفانوا في الدفاع عن الوطن بدافع الحس الـوطني وبحكـم عملهـم العسـكري والفـدائي، فجـاء القصـف الشـديد وسياسة الترويع والحرب النفسية الإعلامية والتخاذل وخيانـات بعض القادة في بغداد –بحجة التهلكة والاختلاف مع صدام- ليفل من عزمهم، لاسيما في الأسبوع الثالث بعد استخدام الأسلحة المحرمـة، وقد حدثني أحد الثقاة أنه علم من مصـادر موثوقة أن ثلث الاحتيـاطي الستراتيجي للصـواريخ الأمريكيـة قد نفد خـلال الأسبوع الأول من الحـرب، وهو الاحتياطي الذي تراكم خلال الحرب الباردة وما بعدها في حلف النـاتو والأساطيل الأمريكية لمواجهة حلف وارشو وروسيا ويوغسلافيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينات.

---

**والتي كانت لا تغني ولا تسمن ولا تغير من أزمة السكن والحياة الاجتماعية عامة.**

# معارك الدورة والسيدية والزعفرانية

حدثني أحد الثقاة من ضباط الجيش أنه كان في مقر لأحد قيادات الجيش في جنوب بغداد يوم الجمعة ٤/ ٤، وإنه شاهد إنزالا أمريكيا على منطقة الرستمية، فذهب مع رفاقه إلى أحد المسؤولين في القيادة ليبلغه بالإنزال وإنهم رأوا رتلا مكونا من أكثر من ثلاثين مدرعة في الرستمية متجهة إلى الزعفرانية جنوب معسكر الرشيد، ثم تم إبلاغ الجهة المسؤولة عن متابعة الإنزالات وكان مقرها في الگريعات في شمال بغداد، فأجابهم اللواء المسؤول عن الإنزالات بأن شاغلوهم بقوة موقعية، فقالوا له: ليس لدينا قوة للمشاغلة لأننا موقع قيادة ولا نمتلك غير الأسلحة الخفيفة وبضع قاذفات الدروع لحماية الموقع، فأجابهم: سيتم إرسال قوة من الحرس الجمهوري إلى المكان، وفي اليوم التالي فوجئ هذا الضابط ورفاقه بأن إنزالا ثانيا قد وقع في نفس المكان بعد ٢٤ ساعة دون أن تصل أية قوة إلى هذا المكان، حيث عمل الأمريكان عقدة محصنة في المكان وبدؤوا يغذون قواتهم في الزعفرانية ومعسكر الرشيد. إن هذه الحادثة تصور حالة الفوضى والارتباك التي كان الجيش يمرّ بها أثناء الإنزالات العسكرية على ضواحي بغداد في الأسبوع الثالث من الحرب، لاسيما من النواحي الإدارية والخدمية والتباطؤ في سرعة الاستجابة لتداعيات المعارك حول بغداد. ولقد سبق

ذلك بأيام قليلة بدء الإنزالات والهجمات حول بغداد ومحاصرتها في منتصف الأسبوع الثاني، والذي مهد له تصريح وزير الدفاع العراقي الغريب في حينه، حينما قال إن الأمريكان سيصلون إلى بغداد بعد خمسة إلى عشرة أيام[١]، فبعد معركة اليوسفية بيومين التي التقى بها الحرس الجمهوري مع قوات التحالف، وقد تكبد الجانبان خسائر كبيرة وتمكن الحرس من تطهير المكان من قوات الإنزال الأمريكية، وحدث إنزال كبير في منطقة السيدية قرب جسر البياع السريع، وقد حدثت معركة كبرى بين الطرفين يوم الثلاثاء ٤/١ في هذه المنطقة على طريق الحلة- بغداد، وقد شاهدت بنفسي الدمار الكبير والآليات والدبابات العراقية المحترقة، أما الأمريكية فقد انتشلتها فرق الإنقاذ بعد المعركة، وقد تكبد الأعداء خسائر كبيرة كما أوضح البيان العراقي ليوم الخميس ٤/٣ وكادت قوات التحالف أن تصل إلى جامعة بغداد في

---

**[١] لقد أكد الصحاف في برنامجه (حرب الصحاف) خبرة وزير الدفاع العراقي سلطان هاشم واتزانه ونزاهته وقوة شخصيته، لكننا هنا نستغرب ثانية بعد انتهاء الحرب واحتلال العراق، كيف عامل الأمريكان الوزير سلطان هاشم معاملة حسنة أثناء اعتقاله في شهر أيلول، وتم التفاوض معه، ونقل من الموصل إلى بغداد بطائرة خاصة وتم استقباله كأسير حرب؟.. ويبدو أن العرف الأمريكي يفرض هذا النوع من الحصانة والاحترام للقادة في الجيش الخصم المحارب لهم، وقد تكرر الإجراء نفسه مع صدام حسين بعد اعتقاله، حيث صدر قرار من البنتاجون باعتباره أسير حرب في كانون ثاني.**

الجادريـة فـي جانـب الرصـافة المقابـل للسيديّة لـو قـدر لـهم أن يعبـروا جسـر السـيدية، ولكـن العـراقيين استطاعوا أن يلحقـوا بقـوات التحـالف خسائر جسيمة وأن يطردوهم من السيدية علـى طريق الحلـة، ويـروي شاهد عيان أن قوة من الأمريكان استولت على الجسر من جهـة الكـرخ نـهار الأربعاء وكانت تطلق النار على أي عراقي ترصده حتـى إذا كـان طفلا للمسافة الممتدة من مفرق الدورة والمصفى جنوبـا وحتـى جسـر البيـاع شـمالا وذلـك لإرهـاب النـاس، ولا تـزال آثـار تلـك المعركـة والـدروع والسـيارات المحترقـة والمبـاني المـدمرة إلـى اليـوم ١٥/ ٤ - حيـث رأيتهـا بنفسـي- ممتـدة مـن مصـافي الـدورة حتـى السـيدية وجسـر البياع وجامع أم الطبـول، ويقـال أن صـدام وقصـي قد ظهـرا لأول مـرة وهم يشـاركون الجيش والحـرس والفدائيين فـي هـذه المعركـة، والكـلام عـن مشـاركة صـدام فـي معـارك بغـداد قـد تكـرر فـي معركـة المطـار الأولى يوم الخميس ٤/٣ وقد عاتب بعض القادة العسكريين عن تـدهور الوضـع بشكل مفاجئ وسريع ثم ظهـر صـدام فـي معركـة اليرمـوك عند سـاحة النسـور يـوم الأحـد ٤/٦ ثـم المنصـور فالأعظميـة قبـل أن يختفـي نـهائيا يوم الجمعة ٤/١١.

وحـدثني أحـد شـهود العيـان فـي السـيدية أنـه شـهد معركـة السـيدية يـوم الثلاثـاء ٤/١ وقـد شـاهد بعينـه صـدام حسين مع ابنـه قصـي يقاتـل فـي هـذه المعركـة، وقـد شـاهده فـي سيارة جيب عسكرية فيها مـدفع رشـاش مقـاوم

للطائرات، وكان صدام يحمل على كتفه قاذفة دروع، وقد سمع من الآخرين أنه أصاب دبابة أمريكية وأحرقها في ميدان المعركة وكان معه عدد كبير من الفدائيين وقوات الحرس والجيش، ومن الجدير بالذكر أن العراقيين لاسيما الفدائيين وقوات الدروع قد لاحظوا أن الدبابة الأمريكية مصنوعة بطريقة تقاوم قاذفات الدروع RBG7، وذلك لكونها مجهزة بمجال مغناطيسي يقوم بحرف القذيفة عن الدبابة وانفجارها بعيداً عنها، ولا يمكن إصابتها إلا بنوع من صواريخ (نوع تاو) كان الجيش العراقي قد حصل عليها من إيران والكويت خلال الحربين الماضيتين حيث تم أخذها كغنائم حرب، ولكن الوقت اللازم والخطوات المطلوبة لتجهيزها للإطلاق طويلة، كما أنها تحتاج إلى خبرة فنية عالية، ونتيجة الممارسة وجد المقاتلون العراقيون أن تغليف القذيفة من نوع RBG7 بشريط بلاستيك يجعلها تصيب الهدف وتعطل التأثير المغناطيسي على القذائف، وفعلاً تم العمل وفق هذا الأسلوب وكان ذو أثر فعال في المعارك التالية وقد جرب ذلك بشكل كبير في معركة السيدية ومعركة المطار ومعركة الأعظمية وأدى إلى تدمير مئات الدبابات والدروع والناقلات الأمريكية[1]. وقد حدثت معركة

---

**[1] لقد دوّنت هذه المعلومات بناءً على رواية شهود عيان عسكريين من ضباط الحرس الجمهوري، وربما كانت صياغة هذه التفاصيل ليست بالدقة والتفصيل الذي يتوخاه المختصون العسكريون، ولقد عاتبني بعض الأخوة**

السيدية بعد معركة تطهير طريق المحمودية- اليوسفية يوم الاثنين ٣/٣١، ويضيف شاهد العيان أنه بعد معركة اليوسفية قامت قوات التحالف بتنفيذ سبعة إنزالات في طريق الحلة ( المحمودية- اليوسفية) من القوات المحمولة قوام كل إنزال بحدود ثلاثة آلاف جندي، وإن هذه الإنزالات مهدت لمعارك الدورة- السيدية والتي سبقت إنزال المطار ومعارك أبي غريب والعامرية وحي العدل في مطلع الأسبوع الثالث بعد الخميس ٤/٣ ، والتي توّجت بمعركة المطار الثانية الحاسمة يوم الأحد ٦/ ٤ ومعركة القصر الجمهوري والمنصور يوم الثلاثاء ٨/ ٤ وأخيراً سقوط صدام يوم الأربعاء ٤/٩ (٢).

---

**لعدم عرض مسودة الكتاب على خبير عسكري، ورغم أنـي أعترف بهذا القصور غير المتعمّد إلا أنني أؤكد على إن هذا الكتاب، وأن كان يحتوي على بعض المعلومات العسكرية التي قد تحتاج إلى مراجعة خبير عسكري إلا أنه كان بالدرجة الأولى، كان كتاب توثيقي تعبوي وإعلامي لتسليط الضوء على الأحداث الجسام التي حدثت في العراق أبان الحرب وهو يعبّر عن رأي شاهد عيان ينقل عن شهود عيان ثقاة حسب ظن المؤلف وتقديره الشخصي، كما أن رواج الكتاب يدلّل على أنه كان من الوثائق التي ظهرت مع الحرب وكانت جزءاً من معطياتها وأحداثها.**

**(٢) يرى بعض المحللين والعسكريين إن الجيش لم يقاتل رغم الضجة التي عملها الصحاف وزير الإعلام العراقي، وإن وزير الدفاع هاشم سلطان قد صرّح بذلك في الأسبوع الثاني حين قال: إن الجيش لم يصطدم مع قوات**

من المؤسف حقا أن نقول أن أمريكا راهنت على الداخل وتأييد العراقيين لها وراهن صدام على الخارج والرأي العام العالمي، وكلاهما قد فشل، وقال شعب العراق كلمته في النهاية وصاغها بالدم خلال أسابيع الصمود الثلاثة، فكبد الغزاة خسائر غير متوقعة اضطرته إلى استخدام وسائل غير نظيفة ولا شريفة لكي يحسم الحرب لصالحه[١].

---

**الاحتلال ولم تحدث معارك قوية وإن هدف قوات التحالف هو بغداد، وستصل خلال خمسة إلى عشرة أيام إلى بغداد، وحينها ستحدث المعارك الحقيقية، وأياً كان الرأي الدقيق الذي يعبّر عما جرى على الساحة العراقية، فإن الشعب والفدائيين قد قاتلوا ببسالة وإن العديد من قطعات الجيش قد دافعت عن المدن العراقية على طول نهر الفرات، وإن قطعات عديدة أيضاً من الحرس الجمهوري قد تعرّضت للإبادة وهي تفذ أوامر صدام ونجله قصي بالتنقل المكشوف أمام الطيران المعادي وبدون أي خطّة معقولة لاسيما قطعات الشمال والجنوب مما أدى إلى تكبيد الجيش العراقي خسائر كبيرة غير مبررة.**

**[١] لقد كان دور الشعب العراقي موضع نظر ونقاش عند البعض الذي يميل إلى التصديق والإنصات إلى الإعلام الأمريكي الذي صاغ قصة حرب الأسابيع الثلاثة حسب هواه وأمانيه وأحلامه، وكبت الصوت المحايد، إلاّ أن الأمر الذي لا يجادل فيه اثنان هو دور المقاومة العراقية خلال الأشهر الماضية والتي فاقت خسائر قوات التحالف فيها خسائرها في الحرب الفيتنامية خلال السنتين الأولى، وذلك وفق الإحصائيات الأمريكية الرسمية نفسها. فالشعب**

كما حدثني أحد شهود العيان أنه شهد معركة التويثة جنوب معسكر الرشيد والطاقة الذرية، حيث كان الهرج والمرج في بغداد قد جاوز الحد في يوم الثلاثاء ٨/ ٤ وكان الوضع مضطرباً والجيش محتاراً بين أوامر الاستسلام وروح المقاومة والتصدي للدفاع عن بغداد، وبينما كانت قطعات من الحرس الجمهوري في طريقها للانسحاب، انبرى عقيد ركن من الحرس في منطقة التويثة في طريق المدائن- معسكر الرشيد، وقال للضباط والجنود من وحدته، إنني قررت أن أبقى هنا لأدافع عن بغداد ولن أنسحب حتى أموت هنا أو يكتب الله لنا أمراً، ونزع رتبته من كتفيه، وقال اليوم ليس يوم رتب ولكنه يوم جهاد وتصدي للمعتدين، فمن يريد أن يبقى معي فمرحباً به، وإلا فالبيت ليس ببعيد ونحن على أطراف بغداد، فبقي معه أكثر من ١٥٠ فدائياً من وحدته التي كانت منسحبة من معارك العزيزية والمدائن. وبقوا ينتظرون ويترقبون رتلاً أمريكياً مكوناً من ستين دبابة وآلية مدرعة كان قادما من طريق المدائن خلف السدة المحاذية للطاقة الذرية، فهجموا عليهم دفعة واحدة كأنها هبة رجل واحد، واستطاعوا أن يدمروا ٤٥ دبابة من الرتل ويقتلوا مئات الجنود الأمريكان ولم يستشهد منهم

---

**نفسه الذي صمد ثلاثة أسابيع أمام قوات التحالف المدجّجة بأحدث التقنية العسكرية هو نفسه الذي يرفض الاحتلال ويقاومه وينتظر بألم عودة السيادة والاستقلال وقيام حكومته الوطنية.**

سوى ٢٥ شهيدا، وهكذا انتهت معركة التويثة بنصر مؤزر لجيش العراق ورجاله المخلصين.

## معركة المطار

حدثني أحد شهود العيان من ضباط الحرس الجمهوري في منطقة الفرات الأوسط (المسيب- الحلة- الكوت) إنه لحد منتصف الأسبوع الثالث للحرب كانت معنويات الجيش والحرس والشعب عالية جداً ولم يستطع الأمريكان أن يحرزوا أي نصر يمكن أن يفتخروا به، وإن خسائرهم كانت كبيرة وغير اعتيادية من وجهة نظرهم، وقد طردوا خارج المدن العراقية في الصحراء وبين الرمال، وإن أم قصر استطاعت الصمود أمام قوات التحالف أكثر من أسبوعين، وإن الفرقتين ١١ و ٥١ من الجيش استطاعت أن تقهر قوات التحالف وتصد هجماتهم العديدة، وكذا الأمر في البصرة والناصرية والسماوة والنجف وباقي المدن العراقية، غير أن الأمر قد تغير في منتصف الأسبوع الثالث، حين تم نقل وحدتهم وانسحابها من المسيب إلى بغداد/الدورة بعد معارك كربلاء والحلة، حيث انسحبوا إلى بغداد لإعادة تنظيم وحدتهم، وقد اضطروا إلى العودة إلى بغداد بملابس مدنية واستخدام سيارات مدنية لنقل عدتهم وأسلحتهم، واشتركوا في معركة الدورة- السيدية يوم الثلاثاء، وحدثت معركة كبيرة في تلك

المنطقة بين قوات الحرس والجيش وبين القوات الأمريكية، استشهد منهم ٣٠٠ ثلاث مائة جندي وأكثر من ٧٠٠٠ سبعة آلاف مدني، وتم تكبيد العدو خسائر فادحة وصلت إلى أكثر من ألفي قتيل[١] وثلاثة آلاف جريح مع عدد من الدبابات والآليات والناقلات وصلت إلى أكثر من مائة، كما قدرها هذا الضابط ومن معه. ثم حدثت معركة المطار في اليوم التالي بعد إنزال المطار يوم الخميس ثم عودتهم بعد طردهم يوم السبت، وارتباك الوضع العسكري العراقي في بغداد يوم الأحد، ويذكر هذا الرجل البطل أن الأمريكان كانوا مرعوبين من الحرس والفدائيين والجيش العراقي، ولكن التخاذل والخيانات الكثيرة لبعض آمري الوحدات لاسيما الحرس وقيادة الأركان والاختراقات التجسّسية أدت إلى إبادة عدة فرق وألوية في حزام بغداد منها اللواء المدرع

---

**[١] قد يستغرب البعض عند ذكر مثل هذه الأرقام عن الخسائر الأمريكية خلال حرب العراق والتي تم تقديرها حسب رواية شهود العيان الثقاة، غير أن الواقع يؤيد تلك الروايات والتقديرات رغم التعتيم الأمريكي المتعمّد على خسائرها ومحاولة إخفاء الخسائر والهزائم لأسباب سياسية ولإنجاح البرنامج الأمريكي، ولقد أكّدت المعلومات والأخبار التي تحدثت عن الخسائر الأمريكية أثناء الحرب وبعدها على جسامة هذه الخسائر، ومنها ما أكدته وكالة الأخبار الألمانية والتي اطّلعت على تقريرها عبر الإنترنت بأن جرحى الأمريكان في المستشفيات الألمانية قد جاوز سبعة آلاف جريح في مستشفى عسكري ألماني واحد، وكان جروح معظمهم بالغة كما ذكرنا آنفاً.**

العاشر الذي كان أقوى لواء مكلف بالدفاع عن بغداد، حيث دمّر أثناء تنقله في القصف الجوي. لقد تآمر عدد من الآمرين على بغداد وبيعها للمحتلين، وقد أدى هذا الارتباك والاضطراب، ومن ثم الاختراق والتخاذل وعمل صفقات مع القوات المحتلة، إن قام صدام بإعدام أكثر من ٣٠ ضابطاً كبيرا من قادة الحرس الجمهوري وأركان الجيش والآمرين وبعض قيادات الجيش، وقد ذكرت لي أسماء عديدة ولكن الأمانة العلمية تقتضي عدم ذكر أياً منها خشية اتهام الأبرياء بهذه التهمة الخطيرة المخلّة بالشرف والانتماء للبلد[١]. إن إنزال المطار بدأ الأربعاء وتعزز الخميس من عقدة أبي غريب وقد حسمت المعركة السبت لصالح العراق ثم زاره الصحاف بصحبة الصحفيين الأحد صباحاً[١].

---

**[١] لقد نشرت وسائل الإعلام العربية والعالمية عدداً من الأسماء التي ذكرت أنهم كانوا من الخونة الذين باعوا بغداد إلى المحتلّين أمثال القائد الفريق سفيان رشيد التكريتي والجنرال ماهر حسين التكريتي وغيرهما، ولم تثبت تلك الأخبار، فقد حدثني أحد الثقاة أنه رأى الفريق سفيان التكريتي في بيجي بعد نهاية الحرب بأربعة أشهر، وتحدّث معه وأكدّ له أنه لا يستطيع حتى التفكير ببيع بغداد للأمريكان فضلاً عن قصة استلام رشوة مالية ضخمة والهروب إلى أمريكا، وهكذا يظهر مدى المجازفة في ذكر الأسماء.**

**[١] وقد صرح الصحاف في مؤتمره الصحفي بأن العراق قد استخدم في معركة المطار أساليب غير تقليدية، وقد فسّرها بعض المحللين قصف المطار**

وبدأ الإنزال الثاني الأحد بعد الضربة النووية التكتيكية حيث استقر وضع المطار لصالح قوات التحالف وظهر الصحاف كاذبا بحركة إعلامية سريعة وبأسلوب الكاوبوي الأمريكي بعد الضربة النووية المحدودة على منطقة تواجد قوات الحرس الجمهوري في المطار.

وحدثني أحد شهود العيان من ضباط الحرس الجمهوري الذين شاركوا في معركة المطار، وهو يصف الجثث المحترقة والمتفحمة التي شاهدها بعينه، فقال رأيت أحد الجنود المتفحمين كلياً في الطابق الثالث لإحدى بنايات المطار، والغريب أننا لم نجد أي كسر في الزجاج أو هدم في البناية، وهو يتساءل مستغرباً كيف تفحم هذا الجندي دون أن تتضرر البناية؟ كما وجد شهيداً آخر قد احترق كل جسمه ولم يبقَ منه سوى الهيكل العظمي، ولم يعرف أين ذهب لحمه المحترق وكيف فصل عن العظام. ويقول أنه شاهد شهيداً آخر متفحماً وحين مسك يده فُصلت عن جسمه مباشرة وسقطت بيده وعلى الأرض، وشهد مشاهد أخرى كثيرة لكنه اكتفى بتلك الأمثلة ليقول، أن هناك سلاحاً مجهولاً قد استخدم لإبادة كل من كان في المطار في تلك الساعة، ولابد أن يكون

---

**بالصواريخ والمدفعية من خارج المطار، مما أوقع خسائر كبيرة في صفوف قوات التحالف جاوزت الألف قتيل واضطر تلك القوات إلى الانسحاب من المطار بشكل مؤقت، وهو ما عرف فيما بعد بمعركة المطار الأولى التي كانت لصالح العراق.**

ذلك السلاح جديداً ومحرماً دولياً لأن الأمريكان قد منعوا الصحفيين والإعلاميين من دخول المطار إلا أماكن صغيرة محددة لتصوير احتلال المطار يوم الاثنين ٧/ ٤ ثم أصبح الحظر على المطار كلياً بعد قصف فندق مريديان ومركز قناة الجزيرة صباح الثلاثاء ٤/٨ ولغاية ١٨/ ٤[1].

---

[1] أن حادثة استخدام الأمريكان لسلاح مجهول ومحرّم دولياً (ربما كان ذلك السلاح قنبلة مايكروويف حارقة أو قنبلة نووية صغيرة تكتيكية ومحدودة التأثير) ذكرت في العديد من وسائل الإعلام المرئية والمقروءة، وقد أنتشر خبر استخدام هذا النوع من القنابل في المطار ونقلته القنوات والوكالات الأخبارية العالمية كالروسية والألمانية والإنجليزية والعربية، وقد قرأت العديد من هذه التقارير عبر مواقع الانترنيت، ويرى بعض الخبراء والمحللين إن نجاح استخدام هذا النوع من السلاح النووي في العراق هو الذي أدى إلى طلب الرئيس بوش من الكونجرس الموافقة على تصنيعه بعد نجاح تجربته في مطار بغداد، حيث وافق الكونجرس على تصنيع قنابل نووية صغيرة في شهر أيلول الماضي مما بدّد الشكوك التي كان يحاول البعض إثارتها حول موضوع استخدام أسلحة ستراتيجية جديدة في حرب العراق.

# معركة بغداد والقتال البطولي لشعب العراق

مع مطلع الأسبوع الثالث للحرب التي ادعى المخططون لها إنها ستكون حرباً خاطفة ونظيفة خالية من أي أثر من آثار الأسلحة المحرمة، رغم أنهم بدؤوها بطريقة غير شرعية ولا قانونية، وسنرى مدى النظافة فيها ونحن نتحدث عن الأحداث التالية الأليمة، في يوم الأربعاء ٤/٢ أو قبله بيوم ابتدأت أولى مراحل معركة بغداد الحاسمة بعد أن استطاع الغزاة عبور الفرات باتجاه العمارة والكوت عن طريق الناصرية والبصرة، وباتجاه الحلة عن طريق النجف وكربلاء، ونشبت معارك طاحنة على مشارف الحلة والمسيب والكوت والهندية، والتي كبدت قوات التحالف خسائر جسيمة أخرى، فضلاً عن الخسائر الكبرى التي كبدتها عمليات الفدائيين والعشائر العربية والجيش في الصحراء الغربية وعلى أطراف المدن، والتي لم يستطع أحد أن يصورها أو ينقل مشاهدها إلا عدد من شهود العيان والأخبار المتناثرة هنا وهناك بسبب بطش الإعلام الأمريكي وهيمنته على الساحة، إن الارتباك والتضعضع الذي آلت إليه قطعات الجيش العراقي والحرس الجمهوري في جنوب ووسط العراق وتحديداً حول أسوار بغداد الاعتبارية في أبي غريب واليوسفية والمحمودية والصويرة والعزيزية

والمدائن والنهروان والتاجي والراشدية، بسبب القصف الجوي الشديد والمستمر والذي دام أكثر من أسبوعين حتى اللحظة التي بدأت قوات التحالف بإدخال رموز المعارضة العراقية وأتباعهم في البصرة والناصرية والنجف كأحمد ألجلبي ونزار الخزرجي وعبد المجيد الخوئي، ثم في سامراء وفيق السامرائي ومشعان الجبوري في الموصل جعل موازين الحرب قد اختلفت وبدأ الإعياء والارتباك يدب في الجانب العراقي بسبب ما ذكر أعلاه وبسبب عدم تكافؤ ميزان القوى بين القوة العظمى الغازية ومجاميع الجهاد والتصدي العراقي، غير أن الحقيقة التي لا يمكن لأحد إنكارها هي إن وحدة الصف والروح العالية والصمود البطولي الذي أبداه العراقيون سنة وشيعة، جيشاً وشعباً، لاسيما في جنوب وغرب العراق، قل نظيره ولم تكن بحسبان قوات التحالف، ففي البصرة والناصرية قاتل السنة والشيعة جنباً إلى جنب- وكذا في الفرات الأوسط- هؤلاء الطامعين بروح لم نسمع عنها إلا في ثورة العشرين في مطلع القرن الماضي ضد الغزو والاحتلال الإنكليزي بعد الحرب العالمية الأولى.

كما قاتلت عشائر الدليم والجبور والعشائر التي ائتلفت معها في الأنبار والموصل ببسالة رائعة كبدت العدو خسائر كبيرة اضطر إلى إخفائها بكل السبل والوسائل التي يمتلكها عن طريق فرق الإنقاذ المتطورة وطائرات الشينوك والسمتيات المجهزة بكل معدات الإنقاذ والإخلاء،

وعن طريق الخداع الإعلامي والكذب المتكرر والتصريحات المتناقضة بين قادتهم، كما قاتل الجيش والحرس[1] والفدائيون بتراص

---

[1] **ربما فهم البعض عندما نشر هذا الكتاب وبسبب هول صدمة الاحتلال والهزيمة التي مني بها العراق، ومن خلال بعض الأحداث التي تمّ سردها في الكتاب ونقد أخطاء النظام الذي قاد العراقيين جيشاً وشعباً إلى تلك الهزيمة المذلّة، والأخبار التي تناقلها الناس عن إصدار أوامر عسكرية بنزع السلاح والعودة إلى البيوت، وتآمر وخيانة بعض القادة وغيرها من الصور المريرة التي عاشها البلد في شهر الاحتلال نيسان الأسود، كل ذلك جعل البعض يتخيّل أن الكتاب ربما يتّهم الجيش العراقي بأنّه كان وراء تلك المقدّمات التي أدّت إلى الهزيمة وأنتجت تداعياتها المروعة، وان وهن الجيش وتقصيره في واجبه هو المسؤول عن تسليم بغداد وسقوطها. وهذا الرأي لا يقول به عراقي مخلص لبلده وشعبه فضلاً عن المؤلف الذي حفّزته الأحداث الجسام والتآمر الغادر لقوات الغزو والأنظمة الموالية لها إلى الشروع في تدوين الأحداث التي عاشها وسمعها، وهو رأي خاطئ وفيه نظر لأسباب منها، أن الجيش هو أحد المؤسسات التي كانت ضحية السياسة المستبدّة والمتحجرة للنظام، وقد قاتل ببسالة وبطولة رغم ظروفه الصعبة طيلة أسابيع الحرب الثلاثة، وتعرّض لأشد أنواع القصف والتدمير دون أن يكون له أجهزة مضادة للوقاية من الأسلحة المتطورة التي تمتلكها قوات التحالف، والتي تعد أعتى وأضخم قوة غاشمة في العالم المعاصر، وقد تم ذكر هذه الحقائق ومدح موقف الجيش وقتاله البطولي في أكثر من عشرة مواضع في الكتاب، كما إن أكثر من نصف شهود العيان الذين أخذت عنهم معلومات الكتاب هم من الجيش والحرس الجمهوري، ولكن يبدو أن مرارة**

وشجاعة قل نظيرها، كما سمعنا عن الفرقة ٥١ الشجاعة في الفاو التي أشاع الغزاة -كذبا- أنها استسلمت لهم[1]، واللواء المدرع ٤٥ والفرقة

---

الهزيمة وذلّ الاحتلال جعلت البعض يبحث عن شماعة لتعليق أسباب تلك المأساة عليها، وجعل البعض الآخر يعيش هوس خلط الأوراق للخروج من حالة الإحباط والكآبة التي ولّدها الاحتلال لاسيما بعض الوطنيين الذين لا حول لهم ولا قوة أمام الغطرسة والتجبّر الأمريكي والصهيوني الذي جسّمه الاحتلال، إن ذلك الوضع النفسي المهين يشعر به كلّ شعب أصيل عندما يصاب بالنكسة والهزيمة كما حدث في مصر بعد هزيمة عام ١٩٦٧، فقد كنا نسمع بقصص مهينة ونكات تروّج حول الضبّاط والمقاتلين وهم أبرياء منها، ثم انعكس الأمر بعد النصر على إسرائيل عام ١٩٧٣م، فعاد الاعتبار للجيش المصري في نظر المصريين والعرب، وللتاريخ نقول أنه رغم وهن البعض القليل من أفراد الجيش الذي هو جزء حيوي من الشعب العراقي، فإن معظمهم قد قاتل ببسالة نادرة في ظروف استثنائية قل نظيرها، وسيذكر التاريخ تلك المواقف المشرفة من خلال الأبطال الذين عاشوا أحداثها وشهود العيان الذين سيروون لنا تلك الأحداث والملاحم ولو بعد حين.

[1] لقد أكد الصحاف في برنامج (حرب الصحاف) أنه تكلّم هاتفياً مع قائد الفرقة (٥١) ومع العديد من القادة في البصرة وأم قصر وأكّد تكذيبه لما أعلنه الإعلام الأمريكي باستسلام الفرقة وقائدها وعدد من القادة الآخرين، مما يصور التخبط الإعلامي الذي عاشه الأمريكان أثناء الحرب، وكانت الإستراتيجية الأمريكية خاضعة لمفهوم عسكري يؤكد أنه لا بد من كسب الحرب بأي طريقة كانت لتحقيق الأهداف الخفية المرسومة والخروج من دائرة الكذب الإعلامي المفضوح لاسيما في الأسبوعين الأولّين من الحرب.

المدرعة السادسة وألوية الحرس الجمهوري في البصرة والناصرية والنجف، غير أن العدو كان مصمماً على احتلال البلد تحت مختلف الحجج وبكل الوسائل والقدرات التي تمتلكها هذه الدول الكبرى المتحالفة ضد بلدنا الأعزل المقهور، ولقد صرح أحد المسؤولين الأمريكان أنهم مصرون على احتلال العراق حتى لو فقدوا ٦٥% من قوتهم المتواجدة على أرض العراق أي ثلثي القوة التي جاؤوا بها من وراء البحار، وفعلاً فقد تكبد هؤلاء المحتلون من القوات الخاصة وقوات البحرية والقوة البريطانية ما يزيد على ٢٠ ألف قتيل وأكثر من ٣٠ ألف جريح[1]، وعدد كبير من الأسرى الذين ربما قتل معظمهم بعد

---

**[1] ذكرنا سابقاً أن التعتيم الإعلامي ووجود المرتزقة وفرق الإنقاذ وسياسة إخفاء آثار الخسائر الأمريكية كان من أهم الأسباب التي جعلت هذه الأرقام تبدو كبيرة لدى البعض، غير أن المعلومات المتسرّبة والمتزايدة الآن عن الخسائر الأمريكية تقرّب الصورة وتوضّح اللبس. وقد أكّد الصحفي المعروف أحمد منصور مقدم برنامج (بلا حدود) وبرنامج (شاهد على العصر) في قناة الجزيرة في كتابه (قصة سقوط بغداد) التوجه الإعلامي الأمريكي بإخفاء واختزال الخسائر إلى أدنى حد ممكن، فقال في صفحة ١٣٠ وتحت عنوان (جحيم القوات الأمريكية في العراق): حينما يقع انفجار أو هجوم ضد قافلة أمريكية يغلق الطريق من كل جوانبه ويرفع القتلى والجرحى والحافلة أو الدبابة المحطّمة بأقصى سرعة، وهذا ما يجعل معظم مصوري وسائل الإعلام لا يستطيعون تصوير إلا العدد القليل من العمليات، وتبقى حقيقة الأرقام**

أن أصبح سقوط صدام وشيكا ومحتّما، وهذه الحصيلة هي الصورة الحقيقية للصمود العراقي أمام المحتلين مهما حاول العدو وإعلامه طمس تلك الحقائق وأخفوها عن شعوبهم المخدوعة.

لقد تمكن هؤلاء البغاة من العراق بحربهم النفسية الإعلامية وقدرتهم على إسكات الإعلام العراقي وقنواته البسيطة، فقد استطاعت قوات التحالف في مطلع الأسبوع الثالث أن تدفع بثلاثة أرتال باتجاه جنوب غرب بغداد، الأول عن طريق كربلاء والحلة باتجاه المحمودية- اليوسفية، والثاني عن طريق الفلوجة- بغداد باتجاه أبي غريب، والثالث عن طريق الكوت- الصويرة- بغداد باتجاه المدائن- السيبة. ثم قامت بإنزالات عديدة جنوب غرب مدينة بغداد في اليوسفية وأبي غريب

---

**والمصابين من الجنود لدى الأمريكان أنفسهم، فمنذ سقوط بغداد في أبريل لم تزد أعداد القتلى من جنود الاحتلال حسب تصريحات المسؤولين الأمريكيين في أي يوم عن ثلاثة، ودائماً هناك قتيل واحد أو اثنين أو ثلاثة على أكثر تقدير، في الوقت الذي يتحدث فيه العراقيون عن أعداد كبيرة للغاية مقارنة بما يتحدث عنه الأمريكيون.. ففي معركة الفلوجة في الأول من آب ٢٠٠٣ التي استمرت ساعة ونصف، تحدّث شاهد عيان عراقي على شاشات التلفزة عن أحد عشر قتيلاً أمريكياً عدا الجرحى، وتحدّث أهل مدينة الفلوجة عن عشرين قتيلاً أمريكياً في عملية مركز الشرطة في ٢٠٠٣/٧/١٠ والتي كان من نتائجها المباشرة إعلان الأمريكيين خروج جنودهم من المدينة وتمركزهم خارجها، فإن الأمريكيين لم يتحدثوا سوى عن قتيلين(في تلك المعركة).**

والـدورة/ السـيدية والزعفرانية/معسكر الرشـيد فـي أيـام الأربعـاء والخميس والجمعة ٢-٤/٤ من الأسبوع الثالث للحرب، ثم قامت بعدة إنزالات أخرى سبقت إنزال ومعركة المطـار، فـي النهروان والرستمية والعبيدي على طريق بعقوبة- بغداد القديم، مع إنزالات متفرقة أخرى صغيرة في مواقع عديدة من بغداد، فضلا عن الأثر العنيف للقصف الجوي المستمر على قوات الحرس الجمهوري حول بغداد.لقد كانت خطة قوات التحالف لتدمير قوات الحرس المؤهلة لصد أي هجوم على بغداد أن تضطرها للخروج من مواقعها الحصينة ليسهل اصطيادها بالطـائرات والصـواريخ فكـان ذلـك هـو الهـدف الرئيسـي مـن كثـرة الإنزالات حول بغداد، وكانت قوات التحالف تريد من هذه القوات التي كانت بحدود ثلاثة فيالق التحرك من مواقعها للاشتباك مع العدو في مواقع الإنزال العديدة لتعريضهم للقصف العنيف والإبادة بعد القضاء علـى الإنـزال، كمـا سـيؤدي ذلـك إلـى إربـاك القطعـات بسـبب كثـرة الإنـزالات، وقد استطاعت قوات التحـالف أن تبيد العديد مـن الألويـة والفرق العراقية أثناء تنقلها الاضطراري كما حدث في طريق التـاجي- الموصل وطريق جلولاء- بعقوبة وطريق موصل- كركوك وغيرها، وفي يوم السبت ٥/ ٤ كان إنزال المطار قد توسع وتحصن، حيث تمكن الأمريكان من عمل عقدة محصنة في أبي غريب واختراق المطـار من خلالهـا، وهنـا حـدثت معركـة ضـارية بـين ألويـة الحـرس الجمهـوري

والفدائيين من جهة وبين قوات الإنزال، وتم حسم المعركة فعلاً خلال يومين لصالح العراق وطرد الأمريكان من المطار بعد تكبيدهم أكثر من سبعمائة قتيل وأكثر من مائة أسير مع مئات الجرحى الذين تم إخلاؤهم من قبل فرق الإنقاذ الأمريكية فضلا عن مئات الآليات والدبابات والناقلات. ومع بدء إنزال المطار يوم الخميس ٤/٣ انقطع التيار الكهربائي في بغداد دون أن نعلم سبب ذلك، وسبق ذلك الحدث بيومين هجوم عنيف وشرس على منظومة الاتصالات في السنك والمأمون والأعظمية وباب المعظم، وقبل الحديث عما جرى من قضايا وانتهاكات مروعة في يوم الأحد، نؤكد قول شهود عيان عن معاودة قصف الأحياء السكنية والمواطنين العزّل في معظم أحياء بغداد كالدورة والمنصور والحرية والشعلة والزعفرانية والأعظمية وغيرها من الأحياء، كان بعضها بقنابل الانفلاق العنقودية التي يحرّم استخدامها ضد المدنيين والأحياء السكنية، كل ذلك للتمهيد لدخول المعركة الحاسمة في بغداد.

لقد كانت إستراتيجية قوات التحالف في قصف محطات توليد الطاقة الكهربائية تعتمد مبدأ إيقاف وشل هذه المحطات دون تدميرها، فقد كانت طائرات قوات التحالف ترمي على هذه المحطات بكرات خاصة تحتوي على خيوط كاربونية، وحين تسقط هذه الخيوط الكاربونية على الشبكة تؤدي إلى توقف اضطراري للشبكة shut down فتتوقف

المحطة عن العمل، ولا يمكن إعادة تشغيلها، لأنه في حالة إعادة التشغيل تقوم الطائرات بقصفها وتدميرها كما حدثني مدير كهرباء بغداد- الرصافة، وهذا ما حدث لمحطات التوليد والتوزيع الكبيرة في البصرة والناصرية في الأسبوع الأول للحرب، ومحطات التوليد الكبيرة حول بغداد يوم الخميس ٤/٣ مساءً بعد الإنزال الأول على المطار، حيث قطع التيار الكهربائي عن مدينة بغداد، ثم عاد بشكل متقطع يومي الجمعة والسبت ليتوقف نهائياً منذ يوم الأحد ٤/٦ حتى يوم السبت ٤/٢٦ حيث تم إعادته جزئيا في بغداد بعد تراجع حالة الانفلات الأمني وأعمال السلب والنهب وعودة الموظفين إلى دوائرهم لاسيما الدوائر الخدمية ومنها الكهرباء والماء.

## كيف حسمت معركة بغداد

في لحظات التداعي والانهيار يصمد من يصمد ويضعف من يضعف، وفي تلك الساعات التي أعلن وزير الإعلام الصحاف طرد الأمريكان من المطار وذهب بالصحفيين والمراسلين إلى موقع المعركة صباح الأحد ٤/٦، صدق الجميع خبر اندحار القوات الأمريكية في معركة المطار، لكن الذي حدث قبل وبعد هذه الساعة أمر يجعل الحليم حيران ويشيب له رؤوس الشرفاء، فقد حدثني أحد أفراد الحرس الجمهوري

بأن الاضطراب الذي حصل منذ ليلة السبت حتى الثلاثاء وهي الأيام العصيبة التي سبقت سقوط النظام وفقدان سيطرة صدام على مقاليد الجيش والحرس الجمهوري وكافة مفاتيح البلد الأخرى، وتحول صدام بعدها إلى زعيم عصابة يتجول في بغداد بين المنصور والأعظمية والكاظمية والعطيفية ثم يختبأ كأحد صعاليك بغداد أيام الشطار والعيارين في أزقة الأعظمية الضيقة ثم يختفي بعدها نهائياً. لقد حدثني هذا الضابط أنه منذ السبت والأيام التي تلت تم الاتصال بمعظم قواد الحرس الجمهوري وآمري الوحدات على الهاتف الشخصي -علماً بأن الاتصالات كانت مقطوعة بسبب قصف معظم بدالات بغداد – وأبلغوهم بكلام عربي وربما بلهجة عراقية، إننا قوات التحالف وسندخل بغداد خلال الأيام القادمة، فإذا لم تستطع أن تكون معنا، فإياك أن تحارب أو تأمر جندك بالقتال لأنك في هذه الحالة ستعتبر مجرم حرب، وأضاف بأن آمِرَهم حين أبلغهم بذلك قال لهم بأن بقية الآمرين قد تلقوا مكالمات مشابهة، ويمكن إضافة عوامل أخرى إلى عوامل الحسم التي جيرها الأمريكان لخدمة أهدافهم، منها كما قلنا أن المعارضة التي دخلت المدن الجنوبية استطاعت أن تحدث ثغرة في وحدة الصف الوطني وأن تولد بعض البلبلة والاضطراب في مسألة موقف العراقي، هل سيكون لمناصرة النظام أم لمحاربة الغزاة، مع ما أحدثه القصف في مواضع الحرس وتجمعاته، حيث كانت الجراح التي

أحدثتها الصواريخ والطائرات عميقة والخسائر فادحة، ووصلت في بعض المواقع إلى أكثر من ٧٠%، علاوة على الأثر المدمر للتفوق الجوي أو بالأحرى انعدامه في الجهة المقابلة والضعف والإنهاك والتدمير الذي أصاب قطاعات الدفاع الجوي والصاروخي المستهدفة والمحددة سلفاً كأهداف خطرة لابد من تدميرها. إن هذا الجو الرهيب الواسع الاضطراب قد ولد اضطراباً وضعفاً في أوساط المدنيين في بغداد، وقد كان القصف الوحشي عليهم يزيدهم هلعا واضطرابا وهم يرون الشهداء من الأطفال والنساء في البيوت التي تهدمت، لاسيما ما حدث في راغبة خاتون والشعب والعامرية والدورة والجهاد والسيدية والبلديات والشعلة والأعظمية والمأمون ومناطق أخرى كثيرة، وقد رأيت بنفسي آثار القصف الوحشي على البيوت السكنية والمواقع المدنية والخدمية في معظم هذه الأحياء في بغداد كالبدالات والأسواق المركزية في المنصور وكرادة مريم والشعب وسوق المستنصرية وغيرها عدا المواقع التي لم أتمكن من زيارتها والإحاطة بها. كما تم قصف وزارة الإعلام وقنوات البث التلفزيوني والإذاعي في بداية الأسبوع الثاني، واستطاعت الدولة أن تجد بدائل للبث التلفزيوني والإذاعي ولكن بقدرات فنية ضعيفة، وكان البث التلفزيوني الفضائي العراقي قد تم قصفه مبكراً في الأسبوع الأول للحرب، واستطاع العراق إصلاحه، لكنه قصف هذه المرة في الأسبوع الثاني مع وزارة

الإعلام ومبنى الإذاعة والتلفزيون في الصالحية لكي يتم إسكاته نهائياً، وكنت قد شاهدت مبنى المحطة الفضائية في الأعظمية بعد قصفها مباشرة وقد تحولت إلى ركام من الأنقاض، ثم تكرر قصف بدالة الأعظمية أربع مرات (إلى أن تحولت إلى ركام أيضا مع البنايات المحيطة بها) حتى يوم الاثنين ٤/٧ وهو اليوم الحاسم في معركة بغداد. كما رأيت المواقع المدنية التي قصفت في راغبة خاتون وسومر والشعب والتي راح ضحيتها مئات الشهداء والجرحى من النساء والأطفال والشيوخ، وقد تم تغطيتها من قبل القنوات الفضائية الأوربية والعربية والصحفيين الأجانب، ولقد رأيت إحدى الصحفيات الفرنسيات وهي تبكي حين جاءت لتصور الشقق والمنازل التي تدمرت واحترقت بسبب قصفها بصاروخ أمريكي في حي الشعب وهي ترى أمام عينها أشلاء الأطفال والنساء وترى الجرحى وكانوا بالعشرات وترى النيران تأكل المباني والسيارات التي كانت تسير في الشارع المؤدي إلى طريق بعقوبة بغداد، ولم تتحمل هذه الصحفية وحشية أصحاب الحضارة ودعاة الحرية وهم يدمرون كل شيء حضاري وإنساني في العراق ويقتلون المدنيين الغافلين باسم تحريرهم وتوفير السلام لهم، لقد كان بكاؤها مفرطا حتى سمعت صراخها ونحيبها، إن كل ذلك أدى إلى اندفاع عدد كبير من المواطنين إلى الهرب خارج بغداد، بشكل جماعي مرعب، لاسيما إذا ما علمنا أن معظم طرق بغداد –المحافظات قد

أغلقت كطريق الرمادي وطريق الحلة وطريق الكوت وطريق بعقوبة القديم، ولم يبق إلا طريقان هما طريق الموصل وطريق بعقوبة الجديد، في شمال وشرق بغداد. فهرع الناس الذين لم يخرجوا في الأيام السابقة للهروب الجماعي مع عوائلهم من بغداد صوب ديالى وسامراء. ولقد حدثني ذلك الرجل من قوات الحرس الجمهوري – وهو الأخ عثمان - أننا كنا نسمع بتلك التطورات السريعة، والجنود والضباط يتهامسون فيما بينهم بضرورة الهرب والنجاة قبل أن تغلق كافة الطرق، لاسيما وأن معظم هؤلاء العسكريين كانوا من أبناء الموصل والرمادي وديالى. فإذا ما تم محاصرة بغداد وأغلقت الطرق فإننا سنموت حتماً بعيداً عن أهلينا. هذه كلها كانت أراجيف وإرهاصات الحرب النفسية الإعلامية التي تم ضخها وتسليطها على هذا الشعب الصامد وجيشه المغوار، ولكن هذه الأمور لن تحسم المعركة التي يريدها الأعداء، فماذا يفعلون وهم يمتلكون كل أنواع الأسلحة من السلاح الخفيف والمدفع والدبابة والطيارة حتى أسلحة التدمير الشامل كالنووي والبايولوجي والكيماوي، وهم الذين خدعوا العالم وكذبوا عليه بأنهم جاءوا يبحثون عنه في بغداد، وإن كان وُجدْ، فهم الذين أعطوه لصدام ودمروه في سنين الحصار الأولى عن طريق لجان التفتيش[١]، ولكن يبدو أنهم يتصرفون معنا كما يقول الله تعالى:

---

[١] **أثبتت الأشهر العديدة التي تلت الحرب صدق تلك المقولة التي كان العراق**

[ إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة ] لا عهد ولا ذمة ولا قانون ولا محرمات..وهكذا كان الأمر، فقد تركوا الصحاف يخرج من المطار مع الصحفيين والإعلاميين، ثم وسوس لهم الشيطان أن يضربوا قوات الحرس الجمهوري التي دخلت المطار وطردت الغزاة بسلاح مجهول من أسلحة التدمير الشامل، وقد روى بعض شهود العيان ممن رأوا الجثث المحترقة المتفحمة أنه سلاح نووي تكتيكي إشعاعي محدود التأثير سريع الاختفاء، وهناك من يقول إنه قنبلة مايكروويف لمساحة ٢٠٠×٢٠٠ م تجعل كل من في داخل هذه المساحة يشتوي كما يشتوي اللحم في فرن المايكروويف في المطبخ وقد أوردت هذا الخبر عدة قنوات فضائية عربية وأجنبية يوم الاثنين ٤/١٤ أي بعد أسبوع من الحادث، مما أدى إلى إبادة ثلاثة ألوية من الحرس التي قامت فرق الإنقاذ الأمريكية بانتشالهم وإخفائهم ودخول قوات التحالف المطار بعد ساعات من ذلك للمرة الثانية لكي تثبت للإعلام العالمي كذب الصحاف وصدق إعلامهم، وتجعل صوت

---

**يرددها طيلة سنين الحصار، ألا وهي خلو العراق من أسلحة التدمير الشامل. وتسبب هذا الملف المفتعل والكذبة الإعلامية والسياسية الكبرى في فضائح عديدة في واشنطن ولندن كما هو معروف وإلى اتهام شخصيات كبيرة في الإدارة الأمريكية والبريطانية أثرت سلباً على سمعة وشعبية بوش وبلير وتعرضهما للمسائلة القانونية والإعلامية، كما أدت تداعيات تلك الأزمة إلى مقتل خبير الأسلحة الإنكليزي واستقالة مستشار بلير في ٢٠٠٣/٨/٣٠م.**

العراق يتخافت تدريجياً حتى يتلاشى، وقد بقي دخول المطار محظوراً على الإعلام المحايد لمدة عشرة أيام بعد ذلك الحدث الرهيب، وقد روى لي بعض الثقاة أن مثل هذا الأمر تكرر في حي الفرات /منطقة الجهاد، حيث كان فيه موقع للفدائيين مما أدى إلى استشهاد عدد كبير من الفدائيين والمدنيين وهدم عشرات المنازل في الحي، وهناك أخبار تقول إن حي العامل وما خلفه باتجاه أبي غريب وكذا حي المهدية في الدورة قد شهد استخدام سلاح محرم مماثل وستكشف الأيام القادمة شيئاً من هذه الأساليب اللاشرعية التي مارسها الأمريكان مع شعب العراق لاحتلال بغداد[1]، بعدما يئسوا من الأساليب التقليدية، إن هذا الفعل الإجرامي وما سبقه وما لحقه من قصف فندق فلسطين مريديان وقتل الصحفيين، شاهد على بربرية الأمريكان والصهاينة وأساليبهم القذرة في الحروب، كما إنه دليل على جبنهم وخورهم وعدم قدرتهم

---

**[1] لقد روى لي العديد من شهود العيان الثقاة بعد الحرب ومن العاملين والزائرين للمطار وسائقي سيارات الحمل، أنهم شاهدوا أعمال جرف التربة بعمق مترين ونقلها من المطار إلى مواقع مجهولة واستبدالها بتربة أخرى بعد شهرين من نهاية الحرب، حيث يقوم السائقين بجلب التراب من مواقع بعيدة عن المطار وتسليم السيارة المحمّلة به إلى قوات الاحتلال الذين يحرسون سور المطار ويمنعون التقرب منه، حيث يقوم الأمريكان بتفريغها وتعبئة تربة المطار لنقلها وتفريغها في أماكن أخرى مجهولة وبعيدة عن المطار أيضاً.**

علـى تحقيـق أهـدافهم إلا بالأسـاليب المحرمـة وبكـذبهم علـى العـالم وتحجيمهم صوت الحق من الإعلام المحايد في كافة دول العالم لاسيما الإعلام الأوربي والإعلام العربي الحر.

إن هذه النتيجة التراجيدية المأساوية والطريقة اللا شرعية التـي كسبوا فيهـا معركـة المطـار قـد أذهلـت النـاس وأدت إلـى الهـرج والمـرج والانهيـار فـي النهايـة، ثـم تـلا ذلـك فـي يـومي الاثنـين والثلاثـاء حركـة إنزالات عسكرية وقصف شديد على كافة المحاور للإطباق على بغداد واحتلالها، حيث تمت السيطرة الكاملة على جانب الكرخ بأكمله بعد أن بـدأت مؤسسـات النظـام تنهـار بشـكل مفـاجئ يـوم الثلاثـاء لاسـيما بعـد قصف القصر الجمهوري ونجاح الإنـزال فيـه واختراقـه ودخـول قـوات الغزو فيه، وقصف موقـع اجتمـاع القيـادة فـي المنصـور، وقصـف فنـدق مريديان ومقتل عدد من الصحفيين يوم الثلاثـاء، وتـدمير مبنـى الإذاعـة والتلفزيون بشكل نهائي وإسكات البـث التلفزيـوني وتحـول بـث الإذاعـة (الموقع البديل) من التردد الموجي AM إلى بث محدود جداً علـى الـFM الـذي دام يـومين حتـى يـوم الأربعـاء السـاعة ١٠:٢٠ لـيلاً حيـث انتهـى بخطاب أخير لصدام حسين والسلام الجمهوري بعده، ويعتقد أن البث كـان من داخـل الأعظميـة ولـم يسمعه أحـد خـارج الأعظميـة فـي أحيـاء بغداد الأخرى. وكان ذلك الخطاب الحزين هو الخطاب الثالث والأخير خلال الحرب، والذي قص لنا النهاية القدريـة لحكم صدام فـي العراق.

فقد كان في علم الله وقدرته أن لا يقهر نظام صدام وبطشه إلا عصبة أعظم منه وأشد بطشاً وقوة، وتلك هي الأيام يداولها الله بين الناس لا معقب لحكمه ولا راد لقدرته ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

لقد واكب هذا السيناريو الأمريكي لحسم الموقف واحتلال بغداد يوم الثلاثاء ٤/٨ تحديداً، تفشي خبر صاعق انتشر بين الناس كالنار في الهشيم مفاده أن صدام قد قتل مع ابنه عدي وأن قصي قد هرب وان أفراد حزب البعث قد قرروا الاستسلام وترك أسلحتهم في المقرات الحزبية والهروب والاختفاء السريع من الساحة. ولكن- في اليوم التالي- تبين أن صدام لازال حياً ولم يقتل في القصف أو في انقلاب كما ادعى الخبر، فقد ظهر صدام في الأعظمية ظُهر الأربعاء ٤/٩ ليكذب الخبر بشخصه[1]، أما الحزب وقيادته فقد تبخرت فعلاً كما قالها

**[1] أظن أنه من المعقول أن نربط بين إشاعة مقتل صدام وعدي التي نقلها لي أحد الأصدقاء نقلاً عن مسؤول بعثي كبير كان قد ألقى سلاحه وأنسحب وأبلغ رفاقه بضرورة الانسحاب من الساحة وإن الأمر قد انتهى، وبين قصف مقر القيادة السري في المنصور خلف مطعم الساعة يوم الثلاثاء ٤/٨، كما يمكن الربط بين تبخّر الحزب وإخراجه من الساحة وبين إخراج الجيش والحرس من ساحة المعركة يوم الاثنين حيث صدرت أوامر من هيئة الأركان بضرورة العودة إلى البيوت وترك السلاح (نزعه) ولبس الملابس المدنية مع مهاتفة القادة العسكريين. أي إن نشر خبر مقتل صدام وعدي منذ يوم الثلاثاء وربما في ليلة الثلاثاء مع انتشار أخبار الاستسلام ووصول أوامر**

صدام قبل عامين عند بدء الانتفاضة الفلسطينية، تعقيباً على ما جرى في حرب بوش الأب قبل عشر سنين، فقال بلهجة عراقية (قابل تبخرنا) وفعلاً تبخر الحزب وأجهزة النظام العملاقة كلها وفي ساعة واحدة، ولم نجد بيننا أحداً من أفراد الحزب المعروفين، فمعظمهم قد اختفى منذ الثلاثاء، أما البقية فقد اختفت تماماً صباح الخميس ١٠ /٤ مع باقي رموز النظام وأركانه من الجيش والشرطة والدوائر الخدمية، مما ولد فراغاً كبيراً سبب الأحداث اللاحقة الأليمة، وتلك صفحة أخرى من السلب والنهب سنتكلم عنها لاحقاً.

لقد تمركزت القوات الأمريكية شمال بغداد في القصر الرئاسي على كورنيش الأعظمية وفي كلية بغداد اللاهوتية التي بناها الأمريكان قبل

---

**عسكرية رسمية بذلك الموقف، واتصال قوات التحالف بقادة الجيش في هذين اليومين، كلّها تدلّل على تحديد ساعة صفر لشل الصمود العراقي وإجهاضه في صباح الثلاثاء مع قصف مقر صدام البديل خلف مطعم الساعة وإشاعة خبر مقتله، ثم قصف واحتلال القصر الجمهوري تمهيداً للوصول إلى ساحة الفردوس في اليوم التالي وإعلان سقوط النظام أثناء إسقاط التمثال، إن كل ذلك تم التخطيط له بعد الاستيلاء على المطار يوم الأحد وفق خطة علمية ميدانية مدروسة بدقة أخذت بحسابها الجانب النفسي والمعنوي المتهاوي للجانب العراقي بسبب التفوق التقني والجوي وعدم وجود خطة دفاع حقيقية لدى القيادة العراقية، بعد أن مهّد القصف الجوي والصاروخي الطريق لتنفيذ هذه الخطة البديلة التي كان مرسوماً لها أن تتم بعد ثلاثة أيام من بدء الحرب، ولكن صمود الشعب والجيش استطاع تأخيرها أسبوعين كاملين.**

أكثر من خمسين عاما على مساحة كبيرة شمال الأعظمية وقد بنيت كنيسة بجوارها، وكذلك تمركزت قوات التحالف في الجزيرة السياحية شمال بغداد على طريق الفحامة/ الراشدية وبكثافة عالية، وفي جنوب بغداد استقرت في معسكر الرشيد وملعب الشعب الدولي، ومن جهة والكاظمية تمركز الأمريكان على طول طريق الموصل من بوابة بغداد الشمالية حتى منطقة معسكر التاجي، وقد رأيت أكثر من ٧٠٠ دبابة وعجلة عراقية محترقة من جراء القصف المركز ومعركة التاجي/ بوابة بغداد التي حدثت يوم الأحد ٤/٦ والتي تكبد المحتلون فيها خسائر فادحة بالأفراد والمعدات، ولكن الإعلام العراقي كان قد أصيب بالإعياء والشلل نظرا لكثرة الإنزالات العسكرية حول بغداد في تلك الأيام الحاسمة، مما أربك الوضع العسكري والإعلامي في بغداد، فتم بهذه القوات المحمولة القضاء على آخر ما تبقى من قوة كبيرة في وسط بغداد بعد استخدام السلاح النووي المحدود في المطار واستخدام القنابل الثقيلة والعنقودية على المناطق المدنية في بغداد واشتداد القصف الجوي والصاروخي على كافة المحاور حول بغداد وفوقها. مما أدى إلى حسم معركة بغداد لصالح قوات التحالف يوم الثلاثاء ٤/٨ وانهيار النظام وحزبه، وذلك بعد أن أزيل صدام وأعوانه من القصر الجمهوري في نفس اليوم، ليختفي بشكل نهائي وغريب منذ الجمعة ٤/١١ وإلى الأبد من حياة الشعب العراقي الذي عاش في ظل حكمه

المتسلّط حياة الذل والكفاف، ولم ينعم بالسلام والاستقرار طوال العقود الثلاثة التي كان صدام يقود دفة الحكم فيها، فلم تكن تنتهي حرب حتى يدخل الشعب في حرب جديدة أوسع دمارا وأخطر أثرا وأبهض ثمناً، فمن القمع والحرب الداخلية والتوترات إلى حرب إيران الطويلة ثم حرب الكويت فالحصار المجحف بحق الشعب، إلى الحرب الحالية التي كان من الممكن تلافيها لو إن صدام أذعن لصوت العقل ونصيحة الناصحين بترك السلطة لمن يختاره الشعب أو أية صيغة سياسية تخرج البلد من هذا الدمار والصدام غير المتكافئ بين العراق الذي أتعبته الحروب والحصار والحكم الدكتاتوري المتخلف وبين أكبر قوتين في العالم تمتلك تفوقاً جوياً وإعلامياً ليس له نظير في العالم.

لقد ظهرت بوادر الخلاف داخل القيادة العسكرية العراقية في نهاية الأسبوع الثاني، ومن أسباب هذا الخلاف الميدانية التي يمكن الإشارة إليها سببان أولهما، خطة قصي بفتح السدود والبحيرات المائية (كسد حمرين وسد القادسية في عانة وسدة الهندية وبحيرة الثرثار والحبانية والرزازة) بهدف إغراق أكبر مساحة من الأرض جنوب الحلة والنجف وكربلاء والكوت، لكي يتم عزل بغداد والفرات الأوسط عن جنوب العراق وإعاقة تقدم قوات التحالف نحو بغداد، والسبب الثاني هو خطة نشر قطعات الحرس الجمهوري وآلياته داخل أحياء بغداد في جهة الكرخ لاسيما في الدورة والسيدية وحي العامل والجهاد والعامرية

وحي العدل والجامعة واليرموك، بحيث اضطرت القيادة العراقية إلى إخلاء بعض هذه الأحياء من المدنيين لاسيما في الدورة والسيدية، وقد كان أول تنفيذ ميداني لهذه الخطة يوم الثلاثاء ٤/١ أثناء معركة الدورة والسيدية، وكان القادة المعترضون على صدام وقصي يرون إن المساحات المائية ستعزل قطعات الجيش في الجنوب عن الإمدادات والإسناد من بغداد والوسط مما سيؤدي إلى محاصرتها وتدميرها لاسيما في البصرة والناصرية والعمارة، وإن نشر قوات الحرس الجمهوري داخل الأحياء المدنية سيؤدي إلى وقوع خسائر فادحة بين المدنيين وإلى تدمير مدينة بغداد نفسها، وان فرض المواجهة والالتحام مع العدو خارج بغداد وعلى أسوارها هي الخطة الأكثر نجاحاً وفعالية في طردهم من بغداد وإطالة الحرب معهم وكسبها في النهاية، لأن قوات التحالف لا تستطيع الصمود طويلاً لأنها تخشى زيادة الخسائر البشرية لاسيما إذا ما استطاع العراق إيصالها إلى الإعلام العالمي. ولكن المشكلة التي واجهت هذه الخطة وأفشلتها في النهاية هي القدرة العالية لقوات التحالف في إنزال قوات كبيرة وفي عدة مواقع قد تصل إلى عشرة مواقع في آن واحد، وكان نزول هذه القوات المحمولة بدروعها وآلياتها مع فرق الإنقاذ في أبي غريب والدورة واليوسفية والزعفرانية(مثلاً) في وقت واحد قد أربك الوضع العسكري في بغداد

وأضطر صدام إلى التفكير في تغيير خطة أسوار بغداد الحصينة[1]، وقد أدى هذا الخلاف إلى ظهور أخطار جسيمة وحقيقية في بغداد، كما أدى إلى عزل وإعدام عدد من القادة العسكريين وإلى بداية الخلل في قيادة صدام وقصي للحرس والحزب، فكان صدام يرى أن سلامة النظام هي مقدمة لسلامة العراق وبغداد، في حين رأى البعض أن التهلكة ينبغي تجنبها للحفاظ على بغداد حتى إذا كانت على حساب النظام وبقائه. وقد حسمت معركة المطار الثانية واحتلاله يوم الأحد

---

**[1] لقد شاعت بعد انتهاء الحرب أخبار عن رائحة خيانة لبعض الضباط الكبار من قادة الجيش والحرس الجمهوري الذين اتفقوا على إفشاء خطة تدمير القوات الغازية على أسوار بغداد ضمن حزام أبي غريب –اليوسفية– المدائن –النهروان– خان بني سعد– الراشدية– الطارمية، غير أن تلك الأخبار لم تؤكّد بشكل جازم. واستطاع الإعلام الأمريكي تسويق هذه الأخبار المتناقضة والمتضاربة لأسباب إعلامية وسياسية وتجارية لتصوير قصة سقوط بغداد وفق مفاهيم السبق الصحفي وسرعة انتشار الخبر والمطبوع، كما لم تخل من الأهداف السياسية التي حاولت تصوير العراقيين –ربما بقصد أو بدون قصد – إنهم شعب متخلّف مكوّن من مجموعة من الخونة واللصوص والمنافقين والقتلة من خلال إعلام مضخّم وموجّه بدقة وتخطيط لامتصاص التعاطف الدولي والعربي مع محنة احتلال العراق، وقد ظهر فيما بعد العديد من هؤلاء الضباط الذين اتهموا ببيع بغداد وخيانة العراق بأنهم كانوا إمّا معتقلون أو منسحبون من الساحة ومتواجدون في بيوتهم.. وهكذا تبقى الحقيقة شيء والإعلام المنحاز والمسيّس شيء آخر.**

٤/٦ الأمر ضد خطة صدام البديلة، وكانت بداية التردي والانهيار واستسلام قيادة الجيش والحرس والحزب تفادياً لما هو أخطر وأعظم من وجهه نظرهم التي لم تكن تخلو من تخاذل وترويع[١] وهزيمة نفسية أمام ماكنة الإعلام الأمريكي والماكنة الحربية العظمى التي جاء بها الغزاة للزحف على عروس المدن وعاصمة الشرق بغداد المحروسة.

---

[١] **في الواقع أن تقسيم العراق إداريا إلى أربعة مناطق قبيل الحرب(وهي الموصل في الشمال بقيادة عزت إبراهيم وبغداد في الوسط بقيادة صدام نفسه والبصرة في الجنوب بقيادة علي حسن المجيد والفرات الأوسط بقيادة قصي) وجعل كوادر حزب البعث القيادية هي التي تقود الجيش، وربط مصير البلد بيد صدام وولديه وعبد حمود سكرتير صدام ، كلّ ذلك أضعف من دور الجيش في التصدي والمقاومة وإدارة الحرب، لأن القيادة قد أسندت لرجال ليسوا ذوي اختصاص بالحروب وطرقها وأصولها، كما إن ذلك كان ضربة قاصمة لقيادات الجيش والحرس وإهانة معنوية لهم، مما مهد فيما بعد لاستسلام القيادة وهزيمتها المفاجئة والسريعة أثناء معركة بغداد وتحديداً في الأسبوع الثالث للحرب بعد تصدّع قيادة الحزب وهربها من الساحة والميدان (أنظر كتاب قصة سقوط بغداد/ لأحمد منصور).**

## أهم الأسلحة المحرمة والشاملة التي استخدمت ضد العراق:

إن أهم الأسلحة المحرمة التي استخدمتها قوات التحالف وأسلحة التدمير الشامل التي التجأت إليها قوات التحالف لكسر شوكة الصمود العراقي واحتلال بغداد هي:

١- القنابل العنقودية المنفلقة التي سقطت على أحياء بغداد والمحافظات بكميات هائلة كالدورة والسيدية / حي المهدية والجهاد/ حي الفرات والمطار ومعسكر الرشيد والعامرية والقصر الجمهوري وراغبة خاتون وسومر والشعب. وهذه القنابل يحرم القانون الدولي استخدامها في المدن وضد المدنيين لأنها شديدة التدمير، وهي تنفلق إلى ثلاثة آلاف قطعة ( قنبلة صغيرة ) تنفجر كل قطعة بشكل مستقل عن القطع الأخرى، وتغطي مساحة كبيرة قد تصل إلى ٢٠٠٠ متر مربع وتؤدي إلى تدمير وتهديم عشرات المنازل، كما حصل في المحمودية والدورة والسيدية والشعب وغيرها من الأحياء السكنية. وقد اعترف الإعلام الأمريكي باستخدام هذا النوع من السلاح وسقوطه على المناطق المدنية وادعى إنه استخدم ١٥٠٠ قنبلة من هذا النوع أثناء الحرب، والحقيقة التي يقوم الإعلام الأمريكي إخفاءها أو تحجيمها دائماً تجعلنا نتوقع إنه استخدم أكثر من عشرة آلاف قنبلة

عنقوديـة منفلقـة فـي البصـرة والناصـرية والنجـف وبغـداد والأنبـار والموصـل وبعقوبـة وغيرهـا مـن المـدن العراقيـة، وقـد أصـبح الخـداع مألوفاً لـدى إعـلام قـوات التحـالف ضـمن خطـة إعلاميـة وحـرب نفسـية للتـوهين والتقليـل مـن خسـائرهم الجسـيمة وقـتلاهم وسـقوط طـائراتهم، بحيث اعتاد الناس سماع أخبار عن اصطدام طائرتين أو وجود أعطال فنية في الدروع والطائرات، وان الخسائر العديدة في قطعاتهم غالبا مـا تكـون بسـبب تعرضـهم لنيـران صـديقة[1] وغيرهـا مـن الأكاذيـب التـي كـادت أن تفضـح وتكشـف نقـاط ضـعفهم الإعلاميـة والعسـكرية أمـام صـمود الشـعب العراقـي وجيشـه، ممـا اضـطرهم إلـى إسـكات وشـل الإعـلام العراقـي المتواضـع والإعـلام العربـي والعـالمي المحايـد فـي منتصـف الأسـبوع الثالـث للحـرب، وقصـفهم الوحشـي لهـذه القنـوات

---

**[1] لقد تكرر استخدام مصطلح النيران الصديقة وتسببها في إحداث خسـائر حقيقية مرات عديدة في الإعلام الأمريكي ورددتها وسائل الإعـلام العالميـة والعربية، منها مقتل بضعة جنود بريطانيين أثر إسـقاط طـائرة بريطانيـة بنيران صديقة بعد أسبوع من بدء الحرب، وكـذلك قصـف رتـل أمريكـي ومجموعة من الدروع والآليات بنيران صديقة أبـان الحـرب، إلا أن هـذه الخدعة الإعلامية اختفت ولم تستخدم منذ الأسبوع الثالث للحرب ولما بعـد الحرب بعدما انكشف زيفها وتأثيرها المعـاكس علـى مصـداقية الإعـلام الأمريكي.**

الحرة التي ترفض تزييف الواقع وتكشف جبن وخوف الجندي الأمريكي رغم سلاحه المتطور وإمكانياته العالية.

٢- قنابل ثقيلة تزن ١٠ طن تقذفها الطائرات نوع B52 وغيرها على الدوائر الخدمية والبدالات وأجهزة الاتصالات والوزارات والأحياء السكنية، وقد استخدمت أثناء التصدي والمقاومة العراقية في البصرة والناصرية والسماوة والنجف وسدة الهندية والحلة واليوسفية وأبي غريب والمطار والرضوانية والزعفرانية، وكانت هذه القنابل الهائلة الفتاكة تحدث اهتزازات أرضية تصل إلى ٤-٥ درجات بمقياس رختر للزلازل. كما استخدمت الحاويات المتفجرة التي ترميها الطائرات والتي تحتوي على كمية كبيرة من القذائف والقنابل الشديدة الانفجار والتي تزن مئات الأرطال من المواد المتفجرة التي تقذف بجحيمها وحممها على المدن العراقية وعلى المدنيين والعسكريين سواء بسواء.

٣- القنابل الصوتية التي تولد الرعب والترويع في نفوس المدنيين من الأطفال والنساء، وقد ازداد استخدام هذه القنابل خلال الأسبوع الثالث من الحرب في بغداد. وكنا نسمع أصوات القصف المرعبة لهذه القنابل الصوتية لساعات طويلة متواصلة خلال الليل. وكانت تحدث ارتجاجاً قويا في أركان البيت وعصفا مخيفا يكاد يقلع الأبواب والشبابيك ويحطم الزجاج، غير أن قوتها التدميرية أضعف من القنابل

الإستراتيجية الأخرى لأن الغرض من استخدامها أثارة الرعب والهلع لدى الناس القريبين من موقع سقوطها.

٤- القنابل النووية التكتيكية التي استخدمت في حسم معركة المطار الثانية والرضوانية وأبي غريب وحي الفرات، والتي أدت في المطار إلى تدمير ثلاثة ألوية من الحرس الجمهوري والقضاء عليها قضاءً مبرما. كما أكد لي شهود عيان من المدنيين والحرس الجمهوري في هذه المناطق، وإن هذا السلاح غير التقليدي قد أدى إلى حرق وتفحم جثث الشهداء في المطار وطريق العامرية أبي غريب، وكذلك حول النجف في المعركة الأخيرة قبل معركة بغداد يوم الثلاثاء ٤/١[١].

٥- القنابل المايكروويفية المحدودة التأثير والتي استخدمت في العامرية/أبي غريب والمنصور والقصر الجمهوري ومناطق أخرى

---

**[١] إن مؤشرات ودلائل استخدام قنابل نووية صغيرة محدودة التأثير باتت واضحة لدى المراقبين والمحللين الإعلاميين، لاسيما بعد نشر العديد من الوكالات الإخبارية منها وكالات الأخبار الروسية والألمانية والإنكليزية لتقارير عديدة تؤكد تجربة هذا السلاح الإستراتيجي الجديد وكيفية التعامل مع الأرض التي تلوثت بالإشعاع النووي وإخفائه، ومما يؤكد ذلك موافقة الكونجرس الأمريكي على تصنيع هذا النوع من السلاح بكميات إنتاجية بعد نجاح التجربة في مطار بغداد والتلويح بإمكانية استخدامها في بقاع أخرى من العالم في الحروب القادمة، وكذلك إنتاج قنبلة نووية جديدة سمّيت أم القنابل.**

والتـي أدت إلـى مقتـل الآلاف وحـرقهم وتفحمهـم وكـأنهم داخـل أفـران المايكروويف بحيث شاهد عدد كبير من شهود العيـان الجثـث المتفحمـة داخل السيارات على طريق أبي غريب دون حدوث ضـرر واضـح فـي السيارات التـي كـانوا يستقلونها. وكذلك بين المـدنيين والعسـكريين فـي الشـوارع، ويـروي شـهود عيـان عـن الجثـث المحترقـة والمتفحمـة أنـهـا كانت تبدو مشوية من العظم حتى الجلد الخارجي[1].

٦- القنابل الجرثومية والبيولوجية، حيث انتشر في بغداد يوم الأربعاء ١٥/ ٤ نبأ سـرقة حاضـنات لتوليد أنـواع مـن الفيروسـات الخطيـرة مـن المختبرات المركزية في وزارة الصحة في ساحة الأنـدلس والمستشـفى الأولمبـي فـي بغـداد، وقـد سـمعنا بـذلك فـي منازلنـا ليلـة الأربعـاء بعـد أسبوع من سقوط بغداد عبر مكبـرات الصـوت وعبـر الإذاعـات أيضـا، ويمكـن أن تكـون هـذه القصــة حقيقيــة ومـن إفـرازات أعمـال السـلب والنـهب التي تلـت الحـرب مباشـرة، وقـد تكـون خدعـة لترويـع وترهيـب

[1] **إن ظاهرة وجود جثث متفحمة في المطار ومناطق أخرى ضمن معــارك بغداد وأسوارها كانت ظاهرة ملفتة للنظر، وقد أكدها الكثير من شهود العيان أمامي جاوزوا عشرة أشخاص، أما سبب هذه الظــاهرة، هــل يرجــع إلــى استخدام سلاح مايكروويف أم نووي تكتيكي أم غيره من الأسلحة المجهولة فذلك أمر متروك للمستقبل للكشف عنه، كما أنه بحاجة إلى خبراء ومحللين عسكريين إستراتيجيين لتخمين نوع السلاح الذي أحرق وفحّم آلاف الجنــود العراقيين.**

سكان بغداد، وقد تكون أيضا مقدمة للتلويح باستخدام قنابل جرثومية وبيولوجية واتهام نظام صدام أو عصابات السلب والنهب بها. وكل شيء وارد ومتوقع في هذه الظروف وفي جو يسوده فقدان الثقة بين قوات الاحتلال والشعب[١]. كما ذكر أنه قد تفشى وباء اللشمانيا Leishmania في جنوب العراق، حيث أعلنت قوات الاحتلال يوم الخميس ٤/١٧ عن انتشار هذا الوباء. ومن المبكر البت في أسباب ظهور هذا الوباء وهل هو جزء من حرب جرثومية بيولوجية خفية استخدمتها قوات التحالف لإضعاف الصمود العراقي ودحره ؟ أم انه من جراء الآثار السلبية للحرب، وكثرة قتلى الحرب من الطرفين. وقد انتشرت أخبار هذا الوباء في جنوب العراق ويعد مرض اللشمانيا من الأمراض الخطيرة التي تنقلها حشرات صغيرة أصغر من البعوض،

---

**[١] بعد أن وضعت الحرب أوزارها وانتهت عمليات السلب والنهب والحرق الكبرى التي أعقبت نهاية الحرب –وكأنها مرحلة متمّمة لها– وتدمير البنية التحتية للعراق، أصبح واضحاً أن خبر حاضنات الفيروسات الخطرة كان أولاً للترهيب والترويع ولخلق الرعب في نفوس العراقيين لشلّهم في مواجهة مؤامرة تدمير بلدهم بالحرب والسلب والنهب والحرق، ولعل في عملية ترك الناس أحرار بعد سقوط بغداد دون فرض حظر التجول جعل السرّاق والجواسيس في سعة من أمرهم وفي إطلاق يدهم في أعمال التدمير المتعمّد وحرق البنايات والمؤسسات في عملية منظمة ومعدّة سلفاً وواضحة التنسيق بين قوات الاحتلال والموساد والمافيات السرية وو...**

وهو يصيب الكبد والطحال ويؤدي إلى الوفاة لمعظم الإصابات وهو مرض صعب المعالجة، وقد ذكرت إذاعة الـ BBC أن هناك أكثر من ٧٠٠ إصابة في الناصرية ومثلها في الزبير والبصرة، وهي المناطق التي حدثت المعارك العنيفة بين قوات التحالف والعراق خلال الأسبوع الأول للحرب، ولا نستطيع التكهن الآن عن أسباب انتشار المرض، فقد يكون بسبب تفسخ الجثث الكثيرة أو بسبب الأسلحة المستخدمة وقد يكون المرض نقل إلى العراق بشكل متعمد[١]؟ وسيكشف المستقبل الكثير عن هذه الأسرار، وربما يجيب عن هذه الأسئلة وغيرها، وفي مقدمتها عملية تدمير العراق المنظمة التي تمت خلال حرب الحرية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية..!.

٧- قنابل منوعة أخرى كانت ترمى مع المنشورات على المدن العراقية من الطائرات على شكل دمى وأقلام ولعب أطفال لتصيب المدنيين وترهب وتقتل الأطفال[٢].

---

**[١] حدثني أحد الأصدقاء من الأطباء المختصين في هذا الميدان أن وباء اللشمانيا بحاجة إلى فترة حضانة لا تقل عن ستة أشهر قبل انتشاره.**

**[٢] أستطيع أن أضيف إلى رواية شهود العيان عن عشرات من الأطفال الذين قتلوا وجرحوا بهذه الطريقة في مناطق عديدة من بغداد فضلاً عن باقي المدن العراقية، إنني ذهبت بنفسي لتعزية صديق فقد طفله الذي كان عمره لا يتجاوز أربع سنوات حيث قتل قرب بيته في الأعظمية /السفينة وهو يلعب بلعبة ملغومة أهدته له قوات التحالف بعد معركة الأعظمية التي حدثت في**

# ترويع الحزب والجيش وانهياره

لقد كان آخر بيان رسمي عسكري صدر عن الإعلام العراقي مساء يوم الاثنين ٤/٧، وكان هذا البيان مقتضباً وإجمالياً، كما إنه لم يتحدث عن خسائر كبيرة في قوات العدو كما هي العادة في البيانات السابقة وأظنه كان يحمل البيان رقم ٢٠[١]. وكان ذلك قد أثار الريبة والاستغراب في أوساط المتابعين في بغداد، ثم علمت في اليوم التالي من أحد الضباط العراقيين أن أمراً عسكرياً موقعاً من رئاسة الأركان جاء إلى آمري الوحدات معنونا باسم آمر الوحدة يأمرهم بالتوقف عن القتال ونزع السلاح وإنزال العلم في الوحدات ومواقع القتال في بغداد والعودة إلى البيوت وارتداء الملابس المدنية، وأمراً آخر إلى الدفاعات الجوية بالتوقف عن ضرب الأهداف الجوية سواء بالمدفعية أو الصواريخ أو الأسلحة الأخرى، وبدت أصوات المدفعية والصواريخ المعادية قريبة منا في الأعظمية، حيث كانت في المطار وأبي غريب ثم اقتربت إلى حي العدل والجامعة والحرية وساحة عدن في الكاظمية

---

**٤/١٠ وكان ذلك الحادث المؤلم قد حدث بعد توقف الحرب بأيام حيث كان الطفل يلعب قرب مكان للنفايات في الشارع القريب من داره.**

**[١] لم أستطع الحصول على نص البيان الأخير بسبب اضطراب الأمور وانهيار النظام ومؤسساته ومنها الإعلامية في أعقاب الحرب.**

وكانت مدفعية العدو تمشط هذه المناطق تباعا واستمر هذا التمشيط من أبـي غريـب حتـى سـاحة عـدن والعطيفيـة ٣٦ سـاعة فقط، مشـيرا إلـى سرعة تقدم وزحـف قـوات التحـالف لاحـتلال بغـداد، ومـدللا علـى عدم وجـود مقاومـة للقـوات العراقيـة الضـخمة المحيطـة ببغـداد، وان هنـاك أمرا ما قد حدث وشل حركة الجيش والحرس والحزب بعد يوم الأحد ٤/٦، وكان ذلك مثار ريبة واستغراب الناس في بغداد بعد هذا التدهور السريع الذي حصل في الموقف العسكري فـي بغداد كما هو فـي بـاقي المحافظات، وبدأ الناس يتحدثون عن الخيانة والصفقة التي تحدث عنها الإعـلام فـي الإذاعـات الأجنبيـة والعربيـة[1]، وقـد حـدثني أحـد شـهود العيان الذي جرح في معارك بغداد/ الكرخ أنه علم من الجنود المقـاتلين أن أوامر صدرت لهم من رئاسـة الأركـان بـنقلهم إلـى جلـولاء وخـانقين خـارج بغداد وقد كانت المعارك على أشدها فـي أبـي غريـب والعامريـة

**[1] لقد رأيت بنفسي أشخاص شباب يرتدون ملابس مدنية جاءوا إلى بعـض الضباط من جيراني يبلغونهم بعدم الالتحاق إلى المعسكرات وأنهم في إجازة مفتوحة وأمروهم بإخفاء أسلحتهم وعدم الخروج بالملابس العسكرية. كمـا رأيت بنفسي تحليق الطائرات الحربية الأمريكية فوق الأعظمية وعلى ضفاف نهر دجلة صباح الثلاثاء ٤/٨ بحدود الساعة العاشرة دون أن يطلق عليهـا أحد النار من الدفاعات العراقية كما كان في الأيام السابقة، وكان ذلك بالنسبة لنا أمراً مستغرباً مما أصابنا بحالة من الإحباط والإحساس بمرارة الهزيمـة المتوقعة والوشيكة وشعرنا بأن القوة العراقية قد تلاشت منذ تلك الساعة.**

والمنصور وحي العدل والقصر الجمهوري، وكان ذلك يوم الاثنين ٧/ ٤، كما صدرت أوامر أخرى بفتح الإجازات للجنود، وكانت مثل هذه الأوامر العسكرية الصادرة من جهات عسكرية عليا وفي وقت حرج وعصيب وموجهة إلى آمري الوحدات ومدراء التشكيلات بالاسم، مما يدل على تورط العديد من المتخاذلين والخونة وعملاء الأجنبي بخطة تسليم بغداد إلى قوات التحالف بدون قتال. وقد حدث خلاف حاد وصراع بين رموز النظام وقادة الجيش أدى إلى إعدام بعض القادة في الحرس والجيش ويذكر أحد الثقاة أن هناك العديد من الضباط الكبار وبعض قادة الجيش والحرس قد أعدموا من قبل صدام ونجله قصي. وتقول الروايات أن صفقة حدثت بين قيادة الجيش والحرس وبين قوات التحالف بتسليم بغداد دون قتال، ورواية أخرى تتحدث عن صفقة بين صدام والأمريكان بواسطة السفير الروسي، وقد أثبتت الأحداث وبقاء صدام بعد انهيار حزبه ونظامه زيف وسقوط الرواية الثانية وذلك لا يمنع أن هناك مفاوضات قد حدثت في الأيام العشرة الأولى للحرب بين صدام وروسيا عبر سفيرها في بغداد، وقد رصد الأمريكان ذلك وقاموا بقصف موكب السفير الروسي عند خروجه من بغداد في طريق الرمادي في الأسبوع الثاني للحرب، حيث كانوا يظنون أن صدام كان مع الموكب الروسي وكانت تلك الحادثة عمل إجرامي لا أخلاقي كان يفتقر إلى أي نوع من الدبلوماسية واحترام الرعايا الأجانب

والشخصيات الدبلوماسية والسفراء، حيث قتل عدد من الدبلوماسيين الروس وجرح السفير، وفي حينها كنت مشغولاً منذ أسبوع في محاولة تثبيت الناس وتقوية المعنويات وفي إسناد الجبهة الداخلية المتصدعة، حيث قمنا بأعمال الحث على التبرع بالدم، ونذكر الناس بأهمية هذا العمل مع تزايد أعداد الجرحى، حيث ذهبت في البداية مع عائلتي للتبرع في مصرف الدم في باب المعظم وسط بغداد، ثم تلتها جمع المتبرعين ونقلهم إلى المصرف، وقد بلغ عددهم أكثر من ١٥٠ متبرعاً في الأعظمية فقط خلال الأسبوع الثالث للحرب، فضلاً عن مئات المتبرعين الذين تبرعوا في جامع أبي حنيفة وبعض جوامع بغداد الأخرى خلال الأسبوعين السابقين، والتي كانت بالتنسيق بين وزارة الصحة وهذه الجوامع، ولقد تعاون معنا بعض الشباب وأصحاب السيارات لنقل المتبرعين وتوفير شيء من الأكل والشرب لهم، بعد أن توقف عمل لجان التبرع بالدم الرسمية بسبب الظروف المتداعية وفقدان النظام وصعوبة المواصلات في الأيام الأخيرة التي سبقت سقوط الدولة، ولقد لمسنا همة عالية وروحاً متعاونة لهؤلاء الشباب المتبرعين بغض النظر عن مشاربهم وتوجهاتهم وانتماءاتهم بل كان منهم العابث والسكير والصغير والكبير فضلا عن أصحاب الهمم والمشهود لهم بحب البلد والتضحية في سبيل الله وخدمة الناس، وقد ذكرني ذلك الموقف لبعض الناس الذين كنا نظنهم لا يستجيبون لأعمال

الخير هذه بحديث النبي ﷺ والذي يقول: الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وقد فرحنا لهذا العمل الجماعي البسيط والذي لاقى هذا القبول والارتياح والاستعداد الكبير للتبرع من قبل الشباب، فالحس الوطني كان عميقاً لدى الجميع، كما قمنا بإسناد مستشفى النعمان ببعض المتطوعين في تمريض الجرحى، ثم في يوم الثلاثاء، دعونا الناس في الجامع[١] للقيام بالخفارات لحراسة المنطقة من أي غريب بسبب الاضطراب الأمني الذي كان يتعاظم مع توالي الساعات. وفي يومي الثلاثاء والأربعاء بدأنا نسمع أخبار الدولة من إذاعة الـ FM محدودة البث، لكنها لم تكن تبث غير أناشيد وطنية قديمة وليست حديثة كما تعودنا أن نسمع في الأسبوعين الأولين للحرب، وكان هناك مذيع واحد وكان صوته غير معروف لدى المستمعين، وقد كان يذيع كل ساعتين بعض الأخبار المحلية التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تدل على اتصاله بخلفية إعلامية واسعة لدولة مثل العراق، وإنما تشير إلى أنه كان جالساً في منزل أو مكان صغير ويبث

---

**[١] كان ذلك في جامع الرحمن الرحيم على كورنيش السفينة حيث أجتمع المصلون بعد صلاة الظهر ليوم الثلاثاء ٤/٨ وتم الاتفاق على توزيع الخفارات والأعمال الأخرى لحماية المنطقة والترقّب. وكان بعض قادة الحزب لا يزالون موجودين بيننا لكنهم تواروا خلفنا بسبب حراجة الظرف.**

كـأي إذاعـة شخصـية[2]، وفـي ظهـر الأربعـاء جاءنـا أحـد الأشـخاص[1] بعد أداء الصلاة وهو يقول أن الـرئيس صـدام فـي جـامع الإمـام الأعظـم أبي حنيفة ومن يريد أن يراه يركب في سيارتـي (وكانت سيارة جمسـي كبيـرة) وركـب معـه عـدد مـن أهـالي المنطقـة فـي السـفينة (محلـة فـي الأعظمية) ولكني لم أرغب أن أذهـب إلـى هنـاك لأنـي كنـت قد تجولـت مع الخفراء الآخرين حتى ساعة متأخرة من ليلـة الثلاثـاء وكنـت متعبـاً، وبعد العصـر سـألت بعض الـذين ذهبـوا إلـى الجـامع لرؤيـة صـدام هل وجدته، فقال لم نلحق به فقد ترك المكـان قبـل وصـولنا بربـع سـاعة، ثـم رأيت أحد أصحابي وكان قد رآه وصـافحه وقال لـي لقد عانقته وقال أنتم أهل الأعظمية أبطال. ولم يكن هذا الرجل من محبي صدام أو المهتمين بالسياسة، ولكن صدام في أيام الحـرب هذه كان قد فـرض بعـض الهيبـة والعاطفة الفطرية تجاهه كرمز للعراق ولبقاء النظام والقانون في البلد، رغم استبداده وظلمه لكثير من الناس، ولكـن بعض النـاس حينمـا كـانوا

---

**[2] لقد ذكر الصحاف في برنامجه هذه الإذاعات المحلية البديلة والتي هيأهـا النظام قبل الحرب ولكنها كانت دون المستوى، وكانت تعد إجراءات فاشـلة وواهنة لم ينجح صدام في تهيئتها وصرف الأموال عليهـا كمـا اعتـاد أن يصرف ويخصص الأموال للمؤسسـات والقصـور والأبـراج والصـروح والرموز التي كانت تمثل النظام في طول البلاد وعرضها.**

**[1] يبدو أن هذا الرجل كان من أنصار صدام حيث لم أره بعد ذلـك ولـم أر سيارته الجمسي (GMC) بعد ذلك مطلقاً.**

يشعرون إن البديل هو الاحتلال والغزو الأجنبي أو الفوضى والفتن كانوا يميلون إليه فطرياً، وهذا السبب نفسه هو الذي دفع العشائر وأهل المدن في الجنوب والوسط والغرب والشمال إلى التصدي للغزو الغاشم، فالعراقي عزيز النفس أبي لا يرضى المهانة والاحتلال بأي صورة تكون، فظلم صدام قد يموت معه حين يموت أما ظلم الاحتلال وذله فيبقى دهراً طويلا، وقد حدثني شاهد عيان آخر أنه رأى صدام في ذلك اليوم مع وزير دفاعه ولده قصي على جسر الأئمة أمام الجامع، وقد عثرت رجله وهو يحاول الصعود إلى السيارة وكان قصي يسنده وهو في غاية الجهد والتعب، وقد بثت قناة الجزيرة لقطات من زيارة صدام للأعظمية ظهر الأربعاء ٩/ ٤ وذلك بعد أسبوعين من تلك الزيارة اليتيمة، وقد سألته امرأة عن سبب تلك النهاية وهذا الذي حصل فأجابها قائلاً: لقد خانني أقرب الناس ألي !.. وقد كرر ذلك في خطابه الأخير، ولكنه لم يفطن أن الناس لا تضحي وتقاتل نيابةً عن أحد أو شيء سوى الدين والوطن. ثم سمعنا إنه شارك بنفسه في معارك عديدة مع الفدائيين، وكان يحمل القاذفة والسلاح الخفيف بنفسه، كما إنه دافع قبل أيام عن المطار وساحة النسور واليرموك بنفسه أيضاً، وهذا الأمر رواه الكثير في معظم مناطق بغداد. ونقول للتاريخ، إن صدام كان بحق رجلاً شجاعاً مستبداً خذله أتباعه وحزبه، كما أن عناده جعله لا يثق بأحد ولا يعطي السلاح إلا لمن يواليه

ويتبعه، وتلك هي الثغرة التي أفقدته جوهر القضية العادلة، ومنعت المخلصين والمؤمنين أن يقاتلوا معه للدفاع عن البلد، فاضطروا أن يقوموا بدور هامشي خدمي، وهم يدعون الله أن يثبت المجاهدين وللبلد بالنصر والصبر والمرابطة، وتلك حالة مع أهميتها غير كافية لإحراز النصر، فان المنتفعين هم أول من يفر من الزحف لأن الحياة عندهم غالية بعدما خبروها وذاقوا حلاوتها وعاشوا نعيمها وترفها، وهكذا تبخر الحزب ولم يقاتل في ساعة العسرة والحاجة إلى القتال والجهاد. وقد أعترف صدام بهزيمة حزبه وأعوانه في آخر خطاب بثه عبر إذاعته الشخصية الباهتة على الـ FM ليلة الأربعاء في آخر لحظات حكمه المنهار، فقد خطب في الساعة العاشرة في ليل ذلك اليوم الكئيب ٤/٩ وقال: لقد وعدتموني وحلفتم الأيمان الغليظة أن تقاتلوا العدو حتى النهاية، ولكنكم والله لم تقاتلوا كما وعدتم، لم يقاتل بحق غير الفدائيين والقيادة (ويقصد نفسه) ثم دعا إلى الصبر وتدارك الضعف الذي حصل والعودة إلى القتال، وإن الأيام القادمة ستشهد عملاً متواصلاً لطرد الغزاة من بغداد، ثم توقف يبكي أثناء الخطاب ثلاث مرات، ثم وعد بالاستمرار وإنه ثابت ومستمر بالجهاد حتى آخر قطرة من دمه، وختم كلامه بالتكبير وهو يردد، الله أكبر وليخسأ المجرمون[١]. ثم ختمت الإذاعة البائسة بثها بآخر سلام جمهوري في

---

[١] **لقد كنت في تلك الساعة في بيتي وكانت الظلمة الحالكة تحيط بنا**

عهد صدام ليتوقف البث إلى الأبد. لقد ذكرني بكاء صدام هذا في آخر كلمة له وهو يودع فيها بغداد قبيل سقوطها، ببكاء عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة وهو يرحل عنها أثناء سقوطها بأيدي الأسبان وكانت أمه الأميرة عائشة واقفة بقربه فقالت له: ابك يا بني مثل النساء، ملكاً

---

**ومشاعر الإحباط والصدمة تغمرنا ونحن نترقب سقوط بغداد الرهيب الذي لم يحدث في التاريخ إلا ثلاث مرات (في عهد المستعصم العباسي على يد هولاكو، وفي نهاية العهد العثماني على يد الجنرال الإنكليزي (مود)، واليوم في تلك الليلة المشؤومة ليلة سقوط بغداد في ٤/٩، ودون شعور مني وضعت يدي على زر المذياع (الراديو) وكنت قد وضعت الموجة على إذاعة بغداد البديلة FM لترقّب ما سيحدث بعد تسارع الأحداث حول بغداد وزحف قوات الاحتلال من أبي غريب ثم المطار والرضوانية ثم ساحة عدن والحرية ثم الكاظمية من جهة الغرب، ومن الشمال من الطارمية والتاجي صوب بوابة بغداد، وتحاذيها قوات أخرى من خان بني سعد والراشدية صوب الشعب والصليخ، وكذا من الجنوب صوب معسكر الرشيد وبغداد الجديدة والبلديات.. في تلك اللحظات الحاسمة وبحدود الساعة العاشرة ليلاً فتحت المذياع وإذا بي وبزوجتي التي كانت بقربي نسمع صوت صدام وهو يضع النهاية لعهده الطويل بآخر خطاب نسمعه منه وهو يحاول مغادرة عرش العراق بصعوبة بالغة وبألم شديد كان بادياً عليه وعلى نبرات صوته الحزين المحبط، ونحن كنا في دهشة بين التصديق والإنكار لما يحدث في البلد من أهوال وفتن بعد أن فتح صدام الباب على مصراعيه بسبب سياسته الغبية المستبدّة لعهد الاحتلال البغيض الذي لا يتمناه أي عراقي شريف بغض النظر عن خلفيته وثقافته وعقيدته.**

لم تحافظوا عليه مثل الرجال[1]. ورغم أن صدام قد اثبت انه رجل شجاع في تحديه لأمريكا والصهيونية إلا أن حزبه وأتباعه لم يقاتلوا كالرجال الشجعان، إنما الذي قاتل هو الشعب الذي حرمه صدام أبسط حقوقه، ومع ذلك استطاع أن يقهر الغطرسة والطغيان الأمريكي ويصمد أمام تلك القوة ثلاثة أسابيع بأيامها ولياليها ويلقن قوات التحالف دروساً ستظهر آثارها وثمارها على العالم مهما حاولوا إخفائها وتزييفها بالماكنة الإعلامية المتطورة التي يمتلكونها.

## معركة الأعظمية

في يوم الخميس ١٠/ ٤ شهدت الأعظمية معارك شرسة وقصفاً شديداً منذ الفجر ولمدة ست ساعات متواصلة، حيث نزلت الدبابات والمدرعات الأمريكية إلى شوارع الأعظمية وعبرت من الكرخ من جسر ١٤ رمضان القريب من المقبرة الملكية وكان عددها أكثر من ثلاثين دبابة ومدرعة، وقد واجهها وتصدى لها الفدائيون العرب والعراقيون وكبدوها خسائر فادحة بلغت سبع دبابات وأكثر من أربعين جنديا أمريكيا بين قتيل وجريح، وقد فتكت قوات التحالف بالمباني والمنازل والمتاجر والجوامع ودمرت أكثر من ٥٠ سيارة مدنية، كما

---

[1] **وقد روي الخبر شعراً كما يلي:**

**ابك مثل النساء ملكاً عظيماً      لم تحافظ عليه مثل الرجال**

وقع أكثر من ١٠٠ شهيد وجريح من الفدائيين والمدنيين من بينهم طفل وطفلة استشهدا ولم يتجاوز عمر كل منهما ١٢ سنة، تم دفن معظمهم في الحديقة الخلفية لجامع الإمام أبي حنيفة[١]. ويذكر العديد من أهالي الأعظمية أن صدام شوهد فجر الخميس في أحد مساجد الأعظمية الصغيرة، وهي آخر ليلة لصدام كان قد بات فيها في منطقة الأعظمية[٢]، وتذكُر الروايات أنه كان متخذاً أحد البيوت الصغيرة التي

---

**[١] وقد سميت هذه المقبرة التي ضمت أكثر من ثلاثين شهيداً (مقبرة شهداء واقعة الأعظمية في ١٠/٤/٢٠٠٣).**

**[٢] لقد أثبتت الأشهر التسعة الماضية التي تلت سقوط بغداد إن الأعظمية فعلاً كانت من أهم وأخطر المناطق التي قضّت مضاجع المحتلين، وإنها –وبغداد من حولها– هي القلب النابض للمثلث السني (كما يقال) والمربع والمستطيل العراقي(كما نعتقد)، وإن رجالها لا يميّزهم عن باقي العراقيين إلا في التنافس الفطري على البسالة والتضحية، كما إن وجود جامع الإمام أبو حنيفة فيها كان رمزاً للتحدي، وهو يتعانق مع جامع الإمام الكاظم على الضفة الأخرى لنهر دجلة، وهما يرمزان إلى روح الوحدة والأخوة العراقية والى الجهود الخيّرة للوحدة والتقريب والوقوف صفاً واحداً في وجه من يريد بالعراق شراً ويحاول النيل من وحدته وسيادته، فحق لنا التركيز على الأعظمية وما جرا فيها من أحداث ومعارك، كانت خاتمة المعارك البطولية في حرب العراق ضد القوات الغازية وبداية الصمود والتحدي والمقاومة التي تمركزت فيما بعد حول مدينة الفلوجة، ثم غمرت أرض العراق شمالاً وجنوباً مما اضطر المحتلين للرضوخ إلى رغبة الشعب في الإسراع بنقل السلطة**

يملكها شخص مقرب من نجله عدي وكراً له، وتقول روايات أخرى أنه كان يبيت في مدرسة ثانوية الأعظمية في شارع المقبرة الملكية، وأياً كان الأمر، فإن صدام لم يظهر ثانية في الأعظمية بعد نهار الخميس الذي شهد القصف الشديد والمعارك الطاحنة بين قوات التحالف والفدائيين.

وقد أعلنت قوات التحالف إن نظام صدام قد سقط يوم الأربعاء ٤/٩ بعد أن تم لها السيطرة على القصر الجمهوري ومعظم مواقع القيادة المحصنة وسقوط جانب الكرخ بأكمله، ومحاصرة منطقة الرصافة، وكانت الأعظمية آخر مناطق بغداد سقوطاً حيث سقطت يوم الخميس ٤/١٠ بعد معركة الأعظمية التي كانت آخر المعارك في بغداد[١].

---

**ومغادرة أرض السواد في وقت قريب لم يكن مما يدور في خلدهم وخططهم الاستعمارية المريضة.**

**[١] عندما سقطت بغداد يوم ٤/٩ بقيت أكثر المدن والمحافظات الوسطى والشمالية دون أن تسقط، وكانت محتفظة بكامل قوتها من الجيش والشرطة والفدائيين والمعدات والأجهزة والمؤسسات التابعة للدولة المركزية، وبعد أن تأكدت قيادات هذه المدن والمحافظات من سقوط بغداد تم تسليمها تباعاً إلى قوات التحالف دون أي مقاومة وذلك لأسباب كثيرة أهمها:-**

**١- الشعور بعدم جدوى المقاومة بدون وجود الدولة.**

**٢- حقناً للدماء والمحافظة على الممتلكات المدنية.**

٣- لتلافي دخول القوات الغازية إلى المدن وتدميرها دون مبرر.

٤- لدرأ الفتن ومنع الاختلاف بين أبناء المحافظة.

٥- عدم فسح المجال لأعمال السلب والنهب ومنع العصابات واللصوص من سرقة المدن في المحافظات.

٦- عدم وجود قيادة بديلة عن قيادات النظام المنهار وتفتّت السلطة المركزية في العاصمة بغداد، حيث دأب صدام أن لا يسمح لبديل له بالظهور وهذا هو دأب كل حكم دكتاتوري في أي دولة من دول العالم.

وربما كان من أسباب المقاومة والتصدي الوطني لقوات التحالف أثناء أسابيع الحرب الثلاثة لاسيما في أم قصر والبصرة والناصرية، فضلاً عن الدافع الوطني الذاتي وإباء العراقي للرضوخ للمحتلين، وجود النظام القائم بصفاته الفردية المستبدّة المتشدّدة، فقد كان نظام صدام نظاماً لا يرحم من يسلّم نفسه أو أفراده للعدو، وقد جرب العراقيون ذلك أبان حرب إيران وحرب الكويت، فقد كانت فرق الإعدام بالمرصاد لمن يستسلم، حيث كانت تجتث أي نفس يفكر بهذا الاتجاه ويحاول مدّ الجسور مع الخصم، وهي خصيصة بارزة من خصائص صدام ونظامه وحزبه الأوحد، فالخوف الذي كان مزروعاً في قلوب الناس وفي كافة محافظات العراق شيء يفوق الخيال، ولهذا فبمجرد ما انتشر خبر ترنّح النظام وسقوطه تغير الميزان بشكل حاد ومفاجئ لصالح قوات التحالف -مع الأسف- لاسيما في بغداد التي سقطت خلال أيام قلائل بعد معركة المطار، وهو زمن قياسي مذهل لم تكن تتوقعه قوات التحالف بعد ذلك الصمود الكبير لأكثر من أسبوعين في جنوب العراق وغربه، ثم سقطت بعد بغداد مباشرةً باقي المحافظات خلال أيام قليلة أيضاً.

لقد انتهى حكم صدام الفردي الذي لم يكن يؤمن بالتعايش مع الأفكار الأخرى أو الآراء المخالفة الأخرى أو المؤسسات الأخرى إلا أن تكون سائرة في ركابه تنفذ رغباته وميوله وتخدم منهجيته القاصرة التي أصبحت مع الزمن والتطور الفكري والحضاري من المبادئ والأفكار المتخلفة التي يستحيل أن تعيش في ميادين الواقع المعاصر الذي يفرض على الدول والشعوب والأمم التداخل والترابط والتمازج لمواجهة العواصف الكبرى التي ولدتها والحداثة العولمة والثورة المعلوماتية وثورة المواصلات والاتصالات حتى عصفت بأركان الدول ومقومات وجودها كالسيادة والاستقلال والهوية الثقافية والاقتصاد وغيرها من المفاهيم الضرورية لإقامة الدولة الحديثة.

لقد كان عصر صدام حقا عصراً فاقد الحيوية لا بد أن يزول، شأنه شأن كل النظم الدكتاتورية التي تفتقر إلى المنظار الواقعي. ولكن مع كل ذلك فإن تلك النهاية السريعة المفاجئة التي حدثت تحت طرقات الغزو الأجنبي ومفهوم الاستعمار الجديد، وذلك الخذلان الذي لمسه صدام في نهاية ذلك التصدي البطولي لشعب العراق، يجعل في طعم هذه النهاية والهزيمة مرارة في فم كل عربي ومسلم، بل في فم كل داعية للسلام والتعددية التي يدعو لها أحرار العالم وتحاربها القوة الغاشمة في أمريكا بقيادة الرئيس الأمريكي بوش وحزبه الجمهوري الذي يطلق على نفسه اسم الصقور، والتي تريد فرض العولمة

والأمركة مكانها، وذلك هو الذي يجعل الكثير من العراقيين يفرقون بين سقوط صدام الحتمي بسبب فقدان نظامه لأهلية الاستمرار والحياة، وبين ضرورة الجهاد والعمل الدؤوب لطرد المحتل الذي جعل شعاره الزائف إسقاط صدام ومنح الحرية للشعب المغلوب على أمره لتغطية أطماعه الاستعمارية[١]. إن نظام صدام الذي كان غارقا في اللاشرعية والظلم البعيد كل البعد عن مفهوم العدل والعدالة كما سنوضحه لاحقا، لم يكن يحسب أنه سيزاح من السلطة بنفس الطريقة التي كان يحكم الناس بها، طريقة القوة واللاشرعية والعصا الغليظة التي بدأت تلوح بها أمريكا ضد خصومها، وربما أمريكا نفسها التي جاءت بصدام ودعمت نظامه خلال العقدين الماضيين، لم تفطن أنها أصبحت تلميذة لصدام ولمدرسته في ميدان الظلم واللاشرعية واللادستورية وهي تمارسها من خلال احتلال العراق باسم الديمقراطية والحرية، فيا لها من مفارقة وحكمة خفية يصفها بدقة الحديث القدسي الذي يقول: الظالم سيفي أقتص به وأقتص منه. إن مفهوم اللاشرعية الذي طبقه صدام على العراقيين خلال سنين حكمه، فسجن وقتل ومنع الحريات بدون

---

**[١] تمثل المقاومة بكافة أطيافها هذا التيار اليوم، وقد أبلت المقاومة بلاءً حسناً سواء على المستوى السياسي والفكري أو المستوى الميداني، حتى بدا بوش وأعوانه يستشعر مذاق الهزيمة التدريجية بدل النصر السهل الذي نزل عليه بعد احتلال بغداد.**

وجـه حـق، هـو الـذي جـاء بأمريكـا إلـى هنـا بـدون أي غطـاء شـرعي وقانونـي، وهو الذي سيطيح بأمريكا وبرنامجها الاستعماري وطغيانها وتجاهلها للشرعية الدولية والقوانين والأنظمة، كما إنه سيطيح في نفس الوقت بكل النظم التي سمحت لشريعة الغاب والغطرسة والطغيان أن يكون لها دور سياسي فاعل ومؤثر في الأحداث الدولية[٢].

---

**[٢] لقد شهدت الآونة الأخيرة اقتداء الأستاذ بالتلميذ المستبد لاسيما بعد أحداث أيلول الشهيرة في نيويورك وواشنطن، فنرى أمريكا نفسها راعية الحرية والديمقراطية في العالم أصبحت تسن القوانين واللوائح لضرب الحريات وحقوق الإنسان عرض الحائط، فرفعت شعارات ما أنزل الله بها من سلطان يشرّعها حكام البيت الأبيض وبمباركة اللوبي الصهيوني، أبرزها قوانين التجسس والتنصّت على المواطن الأمريكي والتمييز العرقي والعنصري بين المواطنين الأمريكان بحجة حماية الأمن القومي الأمريكي، وكذلك الشعار الذي رفعه الرئيس بوش بوجه معارضي سياسته العدوانية المتذرعة بنظرية مكافحة الإرهاب، شعار من لم يكن معنا فهو علينا، فضلاً عن إطلاق اليد الأمريكية والجيش الأمريكي في العالم أجمع يعيث فساداً وينشر الظلم والقهر وفق سياسة الردع الوقائية، وهو جيش مصون غير مسؤول، وما حملات المداهمة والتفتيش العشوائي والاعتقال الجماعي للأب أو الابن أو الزوجة للوصول إلى المتهم..إلا نماذج لاقتداء أمريكا بنظام صدام في القتل والاعتقال بدون تهمة محددة، وهذه وغيرها كلها ممارسات مارسها صدام في ظل حكمه الفردي وأصبحت أمريكا تقلده في ذلك وأصبح**

لقد استمرت المواجهات والمعارك في الأعظمية في مساء اليوم التالي الجمعة ٤/١١ حيث قام الجيش الأمريكي بقصف جامع وساحة الإمام أبي حنيفة والعمارات المحيطة بها، ولم تسلم من أعمال القصف الوحشية حتى مقبرة أبي حنيفة التي يرقد فيها أموات أهالي الأعظمية وغيرهم، حيث سقطت عدة صواريخ على المقبرة، ودمرت قبور الموتى وتناثرت القبور في وسط شارع المقبرة وعلى البيوت المقابلة للشارع، وقد حدثني شاهد عيان هو الأخ أبو محمد أنه حدثت معركة عنيفة بين الفدائيين وقوات التحالف قرب مقبرة أبي حنيفة في الساعة الواحدة ليلة الخميس أستشهد فيها خمسة فدائيين، وقد بقيت جثثهم في الحديقة المجاورة للمقبرة وقرب جامع حسن بيك إلى عصر اليوم التالي، ثم تم نقلها ودفنهم مع بقية الشهداء في الحديقة الخلفية لجامع الإمام أبي حنيفة، وكانت هذه المعركة تدور قرب منزله وقد أتيحت له متابعة وقائع هذه المعركة من منزله، وأصيبت إحدى الدبابات أمام منزله وانفصلت بعض أجزائها وكسرت الباب ودخلت إلى داخل البيت، وقد رأيتُ تلك القطعة من (سربس) أو حزام الحركة في الدبابة وكانت تزن أكثر من خمسة كيلو غرامات، واستمرت المعارك بين

---

**بوش دكتاتوراً شبيهاً بصدام ليس على شعبه فحسب بل على باقي شعوب الأرض أيضاً.**

الفدائيين وقوات التحالف حتى مساء الجمعة[1]، ومع ذلك لم يتوقف أهالي الأعظمية في مراسيم تشييع ودفن الشهداء يومي الجمعة والسبت. ولقد شاهدت بنفسي يوم الجمعة ١١/ ٤ آثار معركة الأعظمية وذلك القصف والتدمير البربري الذي أصاب معظم مرافق الحياة والأجهزة الخدمية والمدنية وشبكة الكهرباء والجوامع والبيوت والمحلات والسيارات ولم تسلم منه حتى الطيور والحيوانات والحشرات، فقد حدثني أحد شهود العيان الذي كان يسكن في شارع عشرين خلف بدالة الأعظمية أنه شاهد الحشرات والطيور تموت من جرّاء الدخان الكثيف الذي تصاعد من ركام بناية البدّالة عندما قصفت للمرة الرابعة، وإن البيت قد امتلأ بالحشرات الميتة وكأنها ماتت بسبب غازات كيماوية سامة كان تأثيرها المباشر على الحشرات قاتلاً، ولا نعلم ما هو تأثيرها البطيء على البشر وتلك ملاحظة بسيطة حول استخدام أسلحة مجهولة ومدمرة (كيماوية وجرثومية) وما خفي كان

---

**[1] روى لي الشيخ وليد الأعظمي أن جامع أبي حنيفة ومأذنته وساعته الأثرية قد قصفت عصر الخميس ٤/١٠ بعد توقف المعارك، حيث أن المعركة بين قوات التحالف والفدائيين قد انتهت ظهر الخميس، وأن اشتباكات متفرقة وقصف جوي قد تجدّد في ساعات متأخرة من ليلة الخميس وفي عصر يوم الجمعة ٤/١١، حيث دمّر أحد الصواريخ عدة منازل في شارع الچرداغ وقرب محل أقمشة الكبيسي وعلى جانبي الشارع الذي يربط بين سوق السفينة ورأس الحواش.**

أعظم، وقد شاهدت بنفسي بقية بنايات البدالات المدمّرة بالكامل أو معظمها حيث تم تدمير بدالة باب المعظم بالكامل ورأيت بدالتي المأمون والسنك المسؤولة عن نظام الاتصالات الدولية والمحلية وبين محافظات القطر، حيث قطعت وشلت الحركة الرئيسية لشبكة الاتصالات في بغداد والعراق بأكمله بعد القصف المركز والشديد يوم الأحد ٦/ ٤.

لقد بدأ هجوم قوات التحالف على الأعظمية فجر الخميس الساعة الخامسة بقصف جوي شديد ودخول رتل من الدبابات والمدرعات من جسر ١٤ رمضان مع تحليق طائرات التجسس بدون طيار في سماء الأعظمية وكنا نظنها زوارق نهرية للعبور إلينا من الكاظمية[١]، ثم عرفها الناس واعتادوا صوتها وأزيزها طوال يومي الخميس والجمعة، وكانت طائرات الأباشي تجوب سماء الأعظمية وتضرب كل جسم متحرك وترد على أي إطلاق نار، وكانت تسند أرتال الدبابات والمدرعات وقد قصفت ودمّرت مخزناً للذخيرة وموقعاً للقيادة في

---

**[١] لقد هرعنا أنا وعائلتي إلى حمام البيت وهو أصغر وأأمن مكان في البيت، حيث كانت مسحته ١،٥ × ١،٥ متر، فبعد أن بدأ الهجوم المعادي وما أن سمعنا أصوات الطائرات والدروع والقصف الجوي حتى تكدّسنا في ذلك المكان بعد أن تم فرش أرضيته بعد منتصف تلك الليلة، وقد كنت بين الحين والآخر ومع اشتداد صوت القصف أصعد إلى السطح العالي للتعرف على الموقف والأضرار التي أحدثتها الطائرات والدبابات في المناطق التي حولنا.**

منطقة الحارة قرب جامع الشابندر، وقد طال القصف بالمدفع الرشاش لطائرات الأباشي معظم المنازل من ضمنها سطح منـزلي[٢]. وحدثت مطاردات ومعارك عديدة بين الفدائيين وقوة الدروع، وقد علمت فيما بعد أن هناك ثلاثة أرتال دخلت الأعظمية رتل من الكاظمية/ العطيفية

---

**[٢] لقد حوصرت الأعظمية يوم الأربعاء ليلاً في ٤/٩ وقد منعت قوات التحالف الدخول إليها والخروج منها من جميع مداخلها ومخارجها ظناً منهم أن صدام وأعوانه قد يقضون الليلة فيها بعد أن شاع خبر وجوده فيها، فتم حصارها ليلة كاملة ولم نستطع أن نخرج منها، وأنا شخصياً لم أخرج من الأعظمية منذ عصر الثلاثاء حينما عدّت من مصرف الدم في باب المعظم ظهراً وبعد أن توتّر الجو وتكهرب وأشيعت أخبار عن انهيار الدولة والجيش وتشتت نسيج النظام واقتراب قوات التحالف من مركز بغداد وسماع أصوات المدفعية والقصف الصاروخي والجوي وهو يقترب منا ويتعاظم مع مضي الساعات في الأعظمية، وتحليق الطائرات المقاتلة فوق بغداد بارتفاعات منخفضة، ذهبت بعد صلاة العصر مسرعاً للتأكد من رجوع أحد أصحابي إلى بيته في راغبة خاتون، والذي تم تكليفه بمتابعة تبرّع الشباب للدم ونقلهم من راغبة خاتون إلى مصرف الدم-وهو الأخ ماهر- وقد كانت شوارع بغداد خالية من الناس والسيارات من هول الصدمة التي أصابت أهالي بغداد، فوجدته قرب بيته وهو يقول مستشعراً خطورة تلك اللحظات: كيف جئت إلى هنا في هذه الساعة العصيبة؟ ارجع قبل أن لا تستطيع الرجوع أو تقصف في الطريق.. فعدت مسرعاً إلى البيت وبقيت حتى انتهاء معركة الأعظمية، حيث عادت الحركة إلى بغداد تدريجياً مع انطلاقة أعمال السلب والنهب وفور تيقن الناس من سقوط النظام وهرب صدام وحزبه واختفاؤه من الساحة.**

عبر جسر ١٤ رمضان، ثم مرت على شارع الكورنيش بمحاذاة مستشفى النعمان ثم منطقة (المسناية) فسوق حي السفينة ثم توزعت في أزقة السفينة، وقد حدثت معركة كبيرة في أزقة الحي الضيقة. أما الرتل الثاني فجاء من طريق الصليخ/ سبع أبكار وكلية بغداد ودخل شارع عمر بن عبد العزيز ووصل إلى ساحة عنتر ورأس الحواش وسط الأعظمية ليلتقي بالرتل الأول بعد أن قام بتمشيط شارع عمر وساحة عنتر وسوق الأعظمية الكبير، وجاء الرتل الثالث من القاهرة باتجاه راغبة خاتون ثم شارع الضباط ومكتبة الصباح ثم رأس الحواش، لتلتقي الأرتال الثلاثة في ساحة الإمام الأعظم، وقد حدثت معركة كبرى مساء الخميس في رأس الحواش وساحة الإمام الأعظم دمرت فيها عشرات المباني والمحلات التجارية والمنازل وتم تدمير أكثر من خمس دبابات بين ساحة عنتر وجسر الأئمة، وقد رأيت إحداها يوم الجمعة صباحاً قرب الجسر، كما رأيت ناقلة جنود مدرعة معطوبة في داخل محلة الحارّة قرب جامع الشابندر في حي السفينة، وقد استطاع الغزاة إخلاء معظم دباباتهم ومدرعاتهم المحترقة وقتلاهم[1]، وقد سقط أكثر من ٦٠ شهيداً من الفدائيين والمدنيين وأكثر

---

**[1] إن قوات التحالف كانت تقوم بسحب الدبابات والناقلات المدمّرة بنفس السرعة التي تهاجم بها الأهداف المطلوبة لكي لا تضعف معنويات جنودها، وكذلك لكي لا تزرع الثقة والقوة في قلوب المقاتلين العراقيين. أما جثث**

من٤٠ جريحاً، كما استشهد ثلاثة من الشباب في السفينة قرب بيتي هم عثمان ومنذر وشاكر، وكان شاكر الصافي قد استشهد وهو ينقل أحد الجرحى إلى مستشفى النعمان بسيارته الخاصة (نوع كرونا) حيث رأيت السيارة التي تعرضت للرصاص من طائرة أباشي[٢]. ولقد هاجمت قوات التحالف جامع الإمام أبي حنيفة وداهمته واعتقلت ١٤ شخصاً مدنياً كانوا من المصلين في الجامع على رأسهم الشيخ واثق العبيدي نائب الإمام والخطيب في الجامع، وقد تم نقلهم كأسرى حرب إلى الناصرية وتم الإفراج عن الشيخ واثق وستة أشخاص ممن كانوا معه بعد أسبوع من اعتقالهم. وفي صباح يوم الجمعة قمنا بتشييع الشهداء ودفنهم مع أقرانهم في الحديقة الخلفية لجامع الإمام الأعظم. وبعد التشييع جاء عدد من الصحفيين الأجانب، منهم مجموعة من

---

**القتلى والجرحى من قوات التحالف فيتم التقاطها من الأرض حتى قبل أن يراها الأمريكان أنفسهم حسب رواية شهود العيان ممن رووا هذه الأخبار في المناطق التي حدثت فيها معارك.**

**[٢] لقد كان الشهيد شاكر الصافي قد نذر نفسه لنقل الجرحى من الفدائيين والمدنيين الذين أصيبوا في المعركة، وكان نصيبه أن يستشهد برصاص المحتلين وهو ينقل أحد هؤلاء الجرحى إلى مستشفى النعمان العام بسيارته الخاصة رحمه الله، ولقد تشرّفتُ بتشيعه والصلاة على جنازته قبل دفنه مع أقرانه في مقبرة الشهداء في جامع أبي حنيفة في الأعظمية، ولقد حضر الصلاة أكثر من ٤٠ شخصاً.**

الصحفيين الإيطاليين قرب جامع الإمام أبي حنيفة، وتوافق وجودي في المكان فقمت بشرح مفصل للمعركة والقصف الوحشي للأماكن المدنية، وتم تصوير مأذنة أبي حنيفة التي قصفت بعنف مما أدى إلى تدمير الساعة الأثرية فيها -والتي نصبت على المأذنة منذ سبعين سنة- كما أدى القصف إلى حدوث ثقب كبير في المأذنة، وقد ضربت أيضا إحدى قباب الجامع، وكذلك قبة منتدى الإمام أبي حنيفة في الساحة المقابلة للجامع، مما ولد رد فعل عنيف وحزين لدى أهالي الأعظمية الذين يقدسون الجامع ويعتبرونه رمزا لهم ولانتمائهم الديني والمذهبي، وقد بكى الكثير من الرجال والنساء على مظهر الجامع والساحة والسوق والحي كله بعد القصف الوحشي والتدمير الكبير الذي أصاب مدينة الأعظمية العريقة والجميلة والتي يطلق عليها بعض المحبين مدينة المولد النبوي الشريف ومدينة الإمام الأعظم، علماً بأن هذه المنطقة التي حدث فيها القتال في حي السفينة منطقة خالية من أية منشآت عسكرية أو صناعية، وهي من المناطق القديمة في بغداد ويسكنها الكثير من العوائل الفقيرة والمتوسطة في بغداد. وقد قمت بإيصال الصحفيين الأجانب إلى الحديقة الخلفية للجامع لرؤية وتصوير مقابر الشهداء الذين كانوا يصلون تباعاً، ولا أدري هل تم نشر هذه الحقائق أم إن الإعلام الأمريكي وإرهابه حال دون نقل هذه الحقائق إلى العالم. ولقد كانت الباحات حول جامع الإمام الأعظم يوم الجمعة

٤/١٠ تعج بالصحفيين وأجهزتهم وكامراتهم وسياراتهم، أذكر منهم صحفيون يابانيون وإيطاليون وماليزيون وعرب من قناة الجزيرة والعربية وأبو ظبي وغيرها من الأجهزة والشخصيات الإعلامية من مختلف دول العالم.

وقد تحدث لي أحد الشهود العيان عن زيارة صدام الأخيرة للأعظمية ظهر الأربعاء ٤/٩ وهو الأخ مروان صباح النعيمي فقال: رأيت صدام أمام جامع أبي حنيفة وقرب جسر الأئمة ضمن موكب لا يتجاوز العشر سيارات، وقد صادف مجيء صدام بعد صلاة الظهر وبعد الصلاة سمع الناس والمصلين بوجود الرئيس فخرجوا له مسرعين يهتفون كعادتهم عندما يرون رئيس الدولة، وكان من بين الخارجين وزير الأوقاف الدكتور عبد المنعم أحمد صالح الذي أدى صلاة الظهر في الجامع، فطلب منه النزول والاستراحة في الجامع قليلاً فلم يوافق صدام على النزول وفضّل كسب الوقت والاختفاء السريع، فتعانق معه، ويقال أنه بكى وتجمع الناس حوله يصفقون ويهتفون له ولا يعرفون ما يعرفه صدام ويشعر به. من أنه يواجه مصيره المحتوم بعدما رأى تمثاله يسقط في ساحة الفردوس وأن بغداد على وشك السقوط بعد سقوط الكرخ بما فيه القصر الجمهوري والقصور الرئاسية الأخرى.

ويستطرد الشاهد مروان قوله: أنه رأى صدام في تلك الساعة والناس قد تجمعوا وهو منهك القوى غير منتظم الشكل وقد بان عليه أثر التعب والتنقل في المناطق والطرق، وقال: إن قميص بدلته قد شق من صفحته وأن مسدسه لا يكاد يقف على نطاقه (حزامه) وقد سأل بعض الناس صدام عن ذلك الوضع المفاجئ الحزين، فقال لهم بعد صمت، بأن الجيش قد خانني وإن الحزب لم يقاوم في بغداد، وقد خانني أقرب الناس لي. وكان من بين السائلين عجوز كبيرة قد ألبسته سبحتها كقلادة وقالت له لكي تذكر الله وطلبت منه ابنها، بعدها ودّع الناس للذهاب إلى المصير المجهول وقال لهم بأن الكرخ خانتني والرصافة سرقتني والأعظمية حضنتني، واتجه صوب الإمام الكاظم عليه السلام لعله يصل إلى سامراء ثم إلى تكريت وقد أخبر عند صعوده الجسر بأن القوات المتحالفة قد وصلت بوابة بغداد فلا جدوى من العبور ثم عاد واتجه إلى منطقة السفينة ولا أحد يعرف أين ذهب بعدها. وقد أخطأ من قال بأن صدام قد بات ليلة في مسجد بشر الحافي أو أدى صلاة الفجر فيه لأنني سألت إمام البشر وهو صديق لي فكذّب ذلك ولم يوافق كلامه ما تداوله على السنة الناس في قضية المبيت. ويقال أنه قد بات تلك الليلة في أحد البيوت التي كان يملكها أحد أصدقاء قصي قرب مسجد خطاب. ويقال أنه قد قضى ليلته تلك مع حمايته في السيارات في أحد الأزقة الضيقة وكان بصحبته قصي وعبد حمود وأكثر من ١٥٠

شخصاً من الفدائيين والحماية الخاصة، أما الخبر الصحيح في قضية المبيت فهو إن صدام قد قضى تلك الليلة متخفياً بين الأزقة، وقد التقى به أحد الأشخاص يوم الخميس الساعة السادسة صباحاً أمام جامع الإمام الأعظم وهذا الشخص هو أحد أبطال الأعظمية الذي ذاد بكل ما لديه للدفاع عن المدينة، وكان يقاتل وهو حافي القدمين حاملاً القاذفة (RBG7) على كتفه عندما التقى بصدام. فلندعه يقص لنا القصة كاملة بنفسه: يقول البطل خالد الأعظمي أبو رفل كنت واقفاً أمام المسجد الساعة السادسة إلا عشرة دقائق وبيدي سلاحي القاذفة وأنا أترقب الطريق وإذا بسيارة مارسيديس شبح تقف أمام المسجد ونزل منها شخصان أحدهما يرتدي الدرع وبيده سلاح كلاشنكوف (نص أخمص) وسألني من أين أذهب إلى (الحارّة) فقلت له ماذا تريد من الحارّة فقال لي أريد بيت فلان فقلت له لا يوجد أحد بهذا الاسم فقال لا عليك أوصلنا إلى الحارّة فقط، يقول فسرت معهم إلى طريق الحارّة وقبل الدخول إلى فرع المقبرة استدارت السيارة مسرعة ونادى على أحد الشخصين من السيارة فقال له نعم سيدي يعرف الطريق، وفي هذه الأثناء نزل من السيارة فإذا به السيد الرئيس وجاء نحوي وسلم عليّ وقال لم أنت حافي فقلت له إنني (اعْرُبي) وأنا مرتاح هكذا (فطبطب) على كتفي وقال لي بطل ما اسمك فقلت له خالد سيدي فقال أوصلنا إلى الحارّة والبيت الذي نريده، وهو والحماية خلفي حتى أوصلتهم إلى

الدار التي كانوا يريدونها في الحارّة ولا أستطيع ذكرها هنا، وبمجرد الدخول إلى الزقاق طرقت الباب والناس يعرفونني فقال لي ماذا تريد يا خالد؟ فقلت لهم: إن هؤلاء الناس معي ولم أذكر لهم الرئيس ففتحوا الباب بسرعة ودخلوا إلى البيت وفتحوا باب الكراج وأدخلوا السيارة وشكروني بعدها عدت إلى موقعي أمام الجامع، وقد سألني بعض الرفاق عن قصة السيارة فقلت لهم بأن الرئيس كان في هذه السيارة ولم يصدقوا فذهبوا مسرعين إلى الحارّة وبدأ الهجوم وأخذ كلٍ موقعه، وممن كان معي في هذه الحادثة الأخ أبو صالح العزاوي وعماد الحديثي. وبعدها لم نعرف أين ذهب صدام... هل خرج من البيت؟ أم بقي فيه؟ الله أعلم.

وقد روى لي شاهد عيان بأنه رأى جثث الأمريكان مرمية على الطريق أثناء معركة الأعظمية التي استمرت أكثر من سبع ساعات متواصلة من القصف والمقاومة الشديدة التي أبلى بها المقاتلون من الفدائيين العرب والعراقيين وأصحاب النخوة بلاءً حسناً سيخلده التاريخ لهم رغم أنهم لم يكن لديهم من الأسلحة المكافئة لردع الغزاة ولم يكونوا من الجيش النظامي الذي يملك الخبرة المتطورة في حرب المدن، فلم يكن لديهم دبابات ولا هاونات ولا مدافع وإنما أسلحة خفيفة وقاذفات دروع تقليدية.

لقد توغل المحتل إلى الأعظمية من أربع جهات -كما ذكرنا-، من جسر الأئمة (الكاظمية) وجسر ١٤ رمضان عبر الطوبجي والعطيفية، والقوة الثالثة من جهة باب المعظم والرابعة كانت قادمة من الشعب عبر طريقين الأول مروراً بمنطقة الصليخ فشارع عشرين والثاني دخولاً إلى ساحة عنتر عبر شارع المشاتل، بعد أن باتت قرب جامع النداء في القاهرة، الذي أصيب أيضاً ببعض الرشقات من رشاشات المدافع إصابات طفيفة. وتمكنت هذه القوات من الدخول إلى قلب الأعظمية صباح الخميس الساعة السادسة بعد صلاة الفجر وسمعت أصوات إطلاقات نارية قريبة جداً من جامع الإمام الأعظم فخرج الناس من الجامع وهم يكبرون، وذهب الشيخ واثق العبيدي إلى غرفة الأذان وبدأ يكبر بمكبرات الصوت، وقد أجج حماسة الناس وروح التحدي للاحتلال بهذه التكبيرات لدى المقاتلين، وفزعوا ليطلبوا الشهادة وهم يكبرون ويوحدون الله.. والطائرات تحوم فوقهم وهي تصب حمم شررها على المنطقة برمي القنابل المنفلقة والعنقودية والصوتية التي أفزعتهم وفتحت الطريق أمام الناقلات والدبابات للدخول إلى وسط المدينة، وقد تمكن الغزاة من تمشيط منطقة الإمام الأعظم (السطح) قبل الإنزال على سطح الجامع، وتمكنت من إنزال بعض القناصين بواسطة الحبال على سطح الجامع وفوق المنارة،

وأخذوا مواقع حصينة لقنص الفدائيين والمقاتلين وهم لا يعلمون من أين يأتيهم رصاص القناصين.

وقد حدثني شاهد العيان المرحوم محمد سالم الزوبعي حول تفاصيل معركة الأعظمية بقوله: لقد استمرت الطائرات بالقصف الشديد والرد على جميع مصادر نيران المقاومة، حتى أفزعت جميع الناس الذين دخلوا بدورهم في المنازل حيث لم يستطع أحد منهم الخروج أو حتى النظر من خلال النافذة من شدة الفزع الذي أصابهم، وقد رأيت المقاتلين يركضون- والكلام لا زال لمحمد- حول الأزقة هرباً من ملاحقة القناص الذي يرمي من داخل الطائرات السمتية وهي تلاحقهم بمستوى منخفض جداًَ ومن قناصي المأذنة وسطح الجامع. وقد أغلقت الأبواب بوجه الفدائيين خوفاً من الملاحقة والمحافظة على سلامة العوائل، إذ أن الطائرات والمدافع الرشاشة لم تكن تميز بين المدنيين والعسكريين في ذلك الوقت، فقد أذهلت المقاومة الشديدة قوات التحالف في هذه المنطقة. ومن شدة المقاومة دخلت إحدى الناقلات الأمريكية بعد أن أفزعها الفدائيون من حيث لا تعلم إلى أحد الأزقة الضيقة في منطقة السفينة/ سوق أم الغزيّل، وقد انحصرت بين جدران ذلك الزقاق، ثم هجم عليها أحد الأبطال من الفدائيين العرب السوريين بصاروخ قاذفة فأصابها إصابة بليغة وأحرقها ولم تنفجر تلك الناقلة، وقد هرب الجنود الأمريكان الذين كانوا بداخلها بعد أن أخلوا جريحاً

معهم، بعد أن أسندتهم الطائرات والمدرعات الباقية، وقد قتل اثنان منهم، وتم إخلاؤهم بناقلة ثانية بعد مشاغلة قوات المقاومة في المنطقة، وقد بقيت هذه الناقلة ثلاثة أيام بعد المعركة بسبب صعوبة سحبها وإخلائها لضيق المكان الذي تم اصطيادها فيه، وقد جاء الناس لمشاهدتها بعد المعركة من داخل وخارج الأعظمية [١] وقد نهب الأطفال والصبيان ما بها من أجهزة ومعدات وأصبحت مثوى للعب الأطفال، ثم تم سحبها بطريقة غريبة جداً وبواسطة طائرة، فالطريقة المعتادة لإخلاء الناقلات والدبابات الأمريكية المحترقة والمعطوبة يتم برمي شبكة من الطائرة عليها ثم تحكم تلك الشبكة فيتم رفعها بسهولة من أربع جهات. أما هذه الناقلة فقد سحبت بمجال مغناطيسي قوي جداً -كما يروي الأخ محمد- وتم إبعادها وإخلاؤها إلى حيث لا نعلم، وقد دخلت أرتال الناقلات والدبابات في شوارع السفينة الضيقة مما أدى إلى تحطيم شبكة الكهرباء والمحولات في سوق السفينة وتحطيم الكثير من سيارات المدينة التي كانت واقفة داخل تلك الأزقة وأمام الدور السكنية، وممن دمرت سياراتهم بعض معارفنا أمثال الشيخ مجيد النعيمي إمام وخطيب جامع صالح أفندي التي جعلتها الدبابة كورقة مطوية، وسيارة الأخ رافع مجيد المعروف وغيرها كثير. كما دمرت الكثير من المنازل والمحلات والعمارات حول الجامع وفي شارع

---

**[١] وقد رأيتها بنفسي وأولادي بعد المعركة عصر الجمعة ٤/١١.**

الجرداغ والسفينة وراس الحواش دون تمييز بين ما هو مقاوم أم غير مقاوم.

# تعريف شاهد العيان الكتبي محمد سالم الزوبعي

كان المرحوم محمد سالم أحد باعة الكتب الإسلامية قرب جامع أبي حنيفة منذ سنين وقد عرفته إنساناً طيباً بسيطاً صاحب غيرة على الدين ولكنه متسرع أحياناً، ويجادل حول نصرة الدين والحق، وكان يسترزق من بيع الكتب والمصاحف والتحف الإسلامية لاسيما في مواسم الحج والعمرة والزيارة في الأعظمية، وقد حدثني بعد الحرب عن اهتمامه بالأحداث التي جرت في الأعظمية وحي الشعب حيث كان يسكن مع عائلته، ولقد كان أحد الشهود العيان في كتابي (تحت رماد الحرب العاصفة) وكان لتواجده في بغداد والأعظمية أثر كبير في نقل الأحداث والمعارك التي حدثت بين العراقيين والعرب من جهة وقوات التحالف من جهة أخرى، ولقد روّج كتابي عن الحرب وباع كمية كبيرة منه أمام الجامع وفي شارع المتنبي حيث سوق الكتب، وقام بإرشاد العديد من الصحفيين وممثلي وكالات الأخبار العربية والأجنبية وفي مقدمتهم ممثل وكالة الأسوشيتد برس الصحفي حمزة هنداوي وممثل وكالة رويتر الصحفي خالد يعقوب وغيرهم من الصحفيين، ولاهتمامه الشديد بالحرب وحرصه على المساهمة في نشر الوعي الصحيح وتحذير الناس من الإعلام الأجنبي حاول أن يجمع المعلومات التي بحوزته ويقوم بنشرها بكتاب على غرار كتابي لاسيما بعد ما لمس رواج الموضوع والاهتمام الشديد بالكتاب، وفعلاً قام بطبع

الكتاب ونشره بعد ظهور كتابي بثلاثة أشهر في منتصف شهر آب الماضي وقبل وفاته بأسبوع واحد، إذ توفي بسبب مشاجرة حدثت قرب بيته في حي الشعب عصر يوم الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩ وهو نفس اليوم الذي قتل فيه السيد محمد باقر الحكيم إثر الحادث الأليم والتفجير المريع الذي حدث في النجف الأشرف بعد صلاة الجمعة وأدى إلى مقتل عدد كبير من المصلين ممن كانوا حول المرجع الديني المعروف رحمه الله.

ورغم أن الأخ محمد قد ذكر أنه انتهى من كتابة مسودة كتابه يوم ٢٠٠٣/٥/١٥ إلا أنه تعذّر بعدم قدرته على طبع الكتاب الذي كان بعنوان (شاهد على السقوط) بسبب الظروف الصعبة التي أعاقت النشر والحالة المادية الضعيفة التي أخرته كثيراً وضياع الأمن وصعوبة التنقل لعدم توفر الوقود وارتفاع أسعار سيارات الأجرة (كما يقول في خاتمة كتابه صفحة ١١٧) ويستأنف قوله: فإنني واظبت وأصررت بعد التوكل على الله سبحانه لتقديم هذا الكتاب بأقرب وقت ممكن ووضعه بين يدي القارئ.. وللتاريخ أقول أن هذا الكتاب الذي ظهر بعد أربعة أشهر من نهاية الحرب وسقوط بغداد رغم أنه كان أول محاولة للمؤلف الشاب ورغم ضعف أسلوبه في بعض الفصول والفقرات، إلا أنه كان مفيداً في تصوير المرحلة التي تلت الحرب وهو محاولة متواضعة لسد ثغرة الفراغ الإعلامي التي عاشها العراقيون

بعد الحرب، وإنني أشهد للأخ محمد بالغيرة على الدين والوطن وبالجرأة والشجاعة في القول والأمر بالمعروف، وإنه كان صادقاً في التعبير عن حبه لبلده واستيائه مما جرى للعراق من أهوال بسبب الغزو والعدوان الذي أعاد العراق إلى عهد التبعية والاحتلال، رحم الله الأخ محمد أبو بكر وأدخله فسيح جناته وأثابه على عمله خير الثواب.

## المواجهات التي دارت حول جامع أبي حنيفة

وقد دارت رحى تلك المعركة حول جامع الإمام الذي يعتبر المكان في هذه المنطقة التي شدّد العدو من قصفها جواً وبراً قبل التمكن من الدخول إليها. ففي ليلة الأربعاء ظن أكثر الناس بأن صدام قد بات تلك الليلة في هذه المنطقة كما أسلفنا وقد صلى أربع من رجال حمايته صلاة العشاء في الجامع وقالوا بأن صدام يعلم أن جميع المناطق سقطت وأمرنا بخلع الملابس العسكرية ورمي الهويات والخلاص بجلدهم وأنه سوف يقاوم إلى آخر لحظة ظناً منه أنه سيسيطر على الأحداث، وإن ثلاثة محافظات لم تسقط هي الموصل والرمادي وتكريت ولعله يعيد قوته ويسيطر كما حدث عام ١٩٩١ عندما سقطت ثلاث عشرة محافظة أو أكثر وبقي يقاوم حتى أخمد تلك الانتفاضة،

ويعلم صدام جيداً إن هذه المعركة مع أمريكا وليست انتفاضة شعبية وتمرّد داخلي.

وقد قال هؤلاء الأربعة كما يروي الشاهد بأن صدام جاء إلى الأعظمية هارباً لا زائراً مما أثار استغرابه من استقبال الناس له حتى انه رأى بنفسه عملية السلب والنهب من قبل اللصوص وتم إبلاغه شخصياً من قبل أجهزته أمامنا ولم يقل شيء سوى (سنعود ونحاسبهم)، بعدها غادر هؤلاء الأربعة الأعظمية بعد صلاة العشاء وأسدى الظلام عليها ونام الناس تحت زئير الطائرات وأصوات الانفجارات التي تهتز لها أعمدة وأركان المنازل وتتصدع لها القلوب من حيث لا حول ولا قوة لها أمام هذه الأحداث الجارفة والسريعة جداً.

لقد ركز العدو تركيزاً تاماً على ساحة الجامع وعلم مسبقاً بأنه إذا استولى على جامع الإمام الأعظم فستحسم المعركة بأقل خسائر ممكنة مما اضطره ذلك إلى قصف الجامع من قبل الطائرات لإسكات الصوت الذي أفزعهم وهو يصدح بقول الله أكبر ويستنفر الروح المعنوية لدى الفدائيين الذين كانوا يرمون أنفسهم في نار المعركة ولا يبالون بالموت –والكلام للشاهد محمد الزوبعي-. وقد وجهت إحدى الطائرات صاروخاً غادراً أصابت به برج الساعة فأحدثت فيه ثقباً كبيراً ولم يتمكن ذلك الصاروخ من إسقاط البرج الذي علته كلمة الله سبحانه فأبى إلا أن يبقى واقفاً متحدياً لهم. وكان ذلك الساعة الرابعة

من عصر يوم الخميس ٢٠٠٣/٤/١٠ وقد قدّر الله سبحانه بلطفه على ذلك البرج بعدم انفجار ذلك الصاروخ مما أثار حقد الكافرين على هذه العناية الربانية ليعود ذلك الطيار اللعين بصاروخ آخر الساعة الرابعة والنصف ويعيد الكرة ثانيةً فيأبى ذلك البرج من السقوط بإحاطة ربانية ثانية حيث أبطلت مفعول ذلك الصاروخ وأحدث ثقب ثاني فيه.

## دخول قوات التحالف إلى جامع الإمام الأعظم

بعد أن نفدت الذخيرة لدى الجميع وأخمدت نيران المقاومة وتم استئصال جيوب الدفاع الموجودة في المنطقة وتيقن الغزاة من ذلك صعدوا إلى رصيف الجامع وأوقفوا الناقلات أمام الجامع والطائرات تسندهم نزلوا وهم يرتجفون خوفاً! ماذا يفعلون سوى أنهم أخذوا أماكن محصّنة خلف جدران المسجد وبين زواياه ودخلت مجموعة ثانية وبدأت بالتفتيش في جدران المسجد وفتحوا جميع الأبواب المغلقة وتفجير بعض الأبواب المقفلة بقنابل خاصة، وأطلقوا الرصاص حتى داخل المسجد مما أصاب الحضرة النعمانية من جهة الحرم الرئيس. وذلك ظناً من هؤلاء الأوباش بأن أركان النظام هنا. وبدخول القوات الغازية إلى الجامع تكون قد حسمت المعركة وانتهى كل شيء بعد الدفاع القوي الذي أبداه الفدائيون من العرب والعراقيين وكبدوا العدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات بلغت المنظورة منها ما يقارب

إحدى عشر ناقلة ومدرعة وكانت الضحايا في الأرواح من الغزاة بلغت الخمسين قتيل وقدم أبناء الأعظمية اثنان وعشرين شهيداً ضحية لوفائها وبطاقة انتماء للدين والوطن، خصّصت لهم إحدى حدائق المسجد الخلفية كمقبرة لهم وهم على التوالي:-

١, أقدس ناجي
٢, آلاء محمد حسن (طفلة)
٣, بشار عبد الرزاق
٤, جبار أحمد جاسم
٥, حيدر محمد شعلان
٦, هلال زكي خالد
٧, رعد سبتي
٨, زاهد حسين علي
٩, محمود نصيف سعيد
١٠, سامي سعيد
١١. شاكر الصافي
١٢, سعد صالح
١٣, كريم عباس علي
١٤, محمد موسى الخشالي
١٥, مهند حسين مكي
١٦, نزار شهاب العبيدي
١٧, منصور علي أمير
١٨, علي حسين مكي
١٩, وليد شهاب احمد
٢٠, ناطق أياد
٢١, عبد الكريم صبيح
٢٢. إسماعيل منذر العاني

# قصة أسر الشيخ واثق العبيدي كما يرويها بنفسه

بعد انتهاء المعركة واختفاء جميع نيران المقاومة دخلت القوات الغازية إلى داخل الجامع وبدأت بالتفتيش عن أركان النظام وعناصر الفدائيين ولم يبق مكان داخل الجامع إلا ودخلته حتى وصلت مكان السرداب الموجود تحت الأرض الذي اختفى فيه الشيخ واثق إمام وخطيب الجامع وكالةً بعد أن حسمت المعركة وانتهى كل شيء، يقول الشاهد واثق العبيدي عن قصة أسره كاملة:- بعد أن انتهت المعركة ونفدت الذخيرة وتمكنت القوات الغازية من السيطرة وتوجهت إلى داخل الجامع طلبتُ من الجميع إخفاء السلاح والتوجه نحو السرداب للاختفاء وكان معي ولداي هذّال ومعن، وفعلاً تم ذلك واتجه الجميع إلى السرداب والقوات تبحث في جميع زوايا الجامع لملاحقة المقاتلين حيث قامت بكسر أكثر الأبواب المغلقة أمامهم والدخول منها للبحث عن أركان النظام -كما يزعمون- فلم يجدوا أي شيء وكادوا أنّ يخرجوا لولا أن أحد المصلين الذي (قحّ) أي سعل، فانتبهوا إلى أن هنالك شخصاً فبدؤوا يبحثون ثانية في الظلام وهم يلبسون النظارات الليلية، حتى وصلوا إلى الحرم الجديد ودخلوا إلى السرداب وتمكنوا من الوصول إلينا، وعندما شاهدونا فزعوا وشهروا علينا السلاح وهم

يصرخون ويشيرون علينا بالجلوس والانبطاح على الأرض على وجوهنا بدون أي كلام، وكان معي اثنا عشر شخصاً من بينهم ولداي. وفعلاً نفذنا ما يريدون تحت تهديد السلاح وقاموا بتوثيق أيدينا من الخلف وصعدوا بنا إلى حرم الجامع، وقد أخبرتهم بأننا مدنيّون وليس عسكريّون ولم يصدقوا ذلك. وكان معهم مترجم عربي الجنسية، أخبرته بأن هؤلاء مصلون وأنا إمام المسجد فماذا يريدون منا، فنقل المترجم كلامي لهم فاستدعاني أحد الغزاة وبدأ يسألني بواسطة المترجم عن صدام وأعوانه، وهل بقي أحد من الفدائيين هنا. فأخبرتهم بأنه لا يوجد صدام هنا ولم يأتِ يوماً من الأيام طيلة أيام حكمه، ولا يوجد أحد غيرنا نحن وهؤلاء المصلون ولم يصدقوا بي فأوقفونا داخل المسجد ووجهونا صوب أحد جدرانه وأجلسونا حتى تمت عملية التفتيش، وبعدها اقتادونا إلى الخارج، وفي هذه الأثناء طلب مني ذلك الأمريكي -ويبدوا أنه آمرهم لأنهم انصاعوا إلى أمره بسرعة- بأن أتقرّب منه قليلاً فقال لي بواسطة المترجم أنت الإمام فقلت له نعم. فقال أتستطيع أن تسمعني الأذان فقلت له بكل سرور فأقمت الأذان أمامه من صميم قلبي لعلي أؤثر عليه بكلمات التوحيد العظيمة حتى وصلت إلى حي على الصلاة فأشار لي بالسكوت، وقال اقرأ لي بعض آيات من القرآن فقرأت له بعض من آيات سورة (مريم) وهو يتأملني وكأنه يختبرني وهو يضغي لي بكل جوارحه حتى انتهيت من السورة

وصدّقت فأمرهم بأخذنا إلى خارج المسجد وعصبوا عيوننا ثم أدخلونا إلى الناقلة التي كانت تقف قرب باب الجامع الرئيس.

بعدها انسحبت القوات من ساحة الجامع ومن جميع المنطقة ونحن معهم في المدرعات وذهبوا بنا إلى مقر تواجد القوات العسكرية لهم في القصر الجمهوري ووضعونا في إحدى الغرف، وفي اليوم التالي تم استجوابنا ثم نقلونا إلى مدينة الكوت بواسطة سيارة (باص) وهنالك حيث مرّت علينا ليلتان ولم يعطونا أي طعام ولم نذق طعم الماء قط، فطلبت منهم الماء باللغة الإنكليزية فرد عليّ شخص عربي وقال سأجلب لك الماء بعد قليل، وكانت لهجته خليجية أيضاً فسألته من أين أنت؟ فقال لي: من قطر. فقلت له لم تقاتل مع الكفار فرد عليّ أنا لا أقاتل أنا مترجم فقط، وهم لا يقتلونكم ولكن يريدون تحريركم والقضاء على صدام، بعدها يذهبون إلى بلادهم فقلت له هل أنت مقتنع بهذا الكلام؟ ولم يجبني فدخل بعض الأشخاص إلينا وانقطع الكلام وطلبوا منا الاستعداد للرحيل إلى الناصرية حيث القيادة العامة تريد أن ترانا. وتم نقلنا بواسطة سيارة (لوري) ونحن مضطجعون في حوضها نبلع ريقنا من العطش والجوع، فكانت الناصرية هي المحطة الأخيرة لنا.

## الناصرية والمحطة الأخيرة:

وصلنا إلى الناصرية في اليوم الثالث من الأسر وتم إنزالنا من السيارة واقتادونا إلى بناية أشبه بالسقيفة الحديدية (البنكلة) حيث كنا موثقي الأيدي ومعصوبي العيون، وقد قسمنا إلى قسمين وكنت أنا في قسم ومعي خمسة أشخاص وذهب ولداي مع القسم الآخر ومعهم أربعة أشخاص وكنت الأول من المستجوبين من القسم الذي أنا فيه فكرروا السؤال الذي سألوني إياه في الجامع أين صدام وأعوانه؟ وهل هنالك تنظيم للقاعدة في العراق؟ وهل زار بن لادن العراق؟ فقلت لهم لا أعرف أين صدام ولم أسمع أو أرى ابن لادن في العراق، فقال لي لقد كان صدام في الجامع فأين ذهب؟ فوجه المسدس صوب رأسي وقال سأقتلك فإنك مجرم حرب إن لم تخبرني، فقلت له لا أعلم وافعل ما تريد فلن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، فسمع أبنائي ذلك الكلام فبدؤوا يبكون وينادون بابا، وأنا أحاول أن أعصابي وكأني لم أسمعهم فقال سأقتل أولادك أمامك إن لم تخبرني فقلت له إن لله وإنا إليه راجعون عما أخبرك ولا أعلم أي شيء من الذي تريده وأنا لست بعسكري ولست بقائد ماذا تريد مني. فزاد غضباً وجاء بولدي أمامي وهم يبكون عليّ ظناً منهم أني سأموت فقلت لهم كفوا عن هذا لا تبكوا فلن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا فهدأ الجميع وتركنا ذلك المحقق قليلاً، بعدها جاءوا لنا بطعام وشراب

وحلّوا وثاقنا إلى الأمام وأعطوا كل واحد منا بطانية فقد حل الظلام وجاء الليل ونمنا تلك الليلة موثوقي الأيدي حيث حضنت ولديّ تحت البطانية وطلبت من الجميع ذكر الله سبحانه وتعالى في قلوبهم والتوكل عليه.

بعد أن أدينا الصلاة ونحن جالسون بعدها أصبح الصباح وجاء أحد القساوسة وقد فتحت عيني ورأيته مع عدد من الجنود وبدأ معي بكلام طويل بعد أن عرف أنني إمام الجامع وبادلته الكلام في جميع الأمور واتضح لي أن في قلب هذا الرجل شيء من الإيمان فبدأت أدعوه إلى الإسلام وأرغبّه فيه.

# قصة إسلام القس الأمريكي ديفيد أليس

وفي اليوم الثاني الذي قضيناه في الناصرية في قاعدة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث كانت آخر مراحل الأسر بعد أن التقيت بذلك القس بعد صلاة الفجر يوم ١٤/٤/ ٢٠٠٣، وبعد أن أدينا الصلاة جماعة مع أخواني من المصلين الذين كانوا معي، تقدم مني ذلك القس ودخل معي بموضوع خاص بعيداً عن الحرب، وأنا أرده عند الحديث في كل حين إلى الدعوة للإسلام في كل كلمة نلتقي فيها فيسألني وأنا أجيب بكل ما لدي من علم ويكرر عليّ بعض الأسئلة وأجيبه بعدة أجوبة ومن كل زوايا السؤال الذي كان يطرحه لكي أصل معه إلى ما هو عليه من الحق الذي يعرفه ولا يستطيع أن يبوح به. وفي كل مرة أدعوه فيها أرى وجهه قد احمر وانتفخت أوداجه، فنهض وقال لي: يا شيخ إن محمد ﷺ هو الحق وإن الإسلام دين حق، وإنكم لم تطبقوا الحق ولم تتبعوا محمد ﷺ حق الإتباع فجرى ما جرى وأتمنى لك الموفقية. وسنحاول إطلاق سراحك وزملائك، وقدم لي هدية مصحف مع تفسيره في اللغة الإنكليزية وكتب لي عليه بخط يديه:

إلى واثق... أنا ممتن لله تعالى لأنني التقيت بك ربما إن الله تعالى برحمته يجلب الطمأنينة إلى قلبك وإلى بيتك وإلى وطنك وأمتك، سوف

أتـذكر هـذا اليـوم طيلـة بقيـة حيـاتي دائمـاً أسـأل الله تعـالى أن يظلـك برحمته.

ديفيد. ر. أليس شايلن/ الجيش الأمريكي

وبعدها فعلاً تم إطلاق سراحنا مع أخواني الذين كـانوا معـي فـي الأسـر وذلك اليوم الثلاثاء ١٥/٤/٢٠٠٣.

## خطة الصدمة والترويع البديلة

لقد بـات واضـحاً أن خطـة الصـدمة والترويـع التـي تحدّث عنهـا بـوش ووزيـره رامسـفيلد قـد أجهضـت فـي الأسـبوع الأول مـن الحـرب تحـت وطأة صمود الشعب العراقي الباسل بكل فئاتـه ومذاهبـه ومشـاربه، كمـا إن الفشل الأمريكي قد بدا واضحا في شمال العراق كما هو في جنوبـه، وقد كانت حسابات بـوش فـي الحـرب الخاطفة واستخدام مبدأ الصـدمة والترويع قد أصبحت هبـاءً منثـوراً، فلم يستطع بـوش أن يكسـب شـيعة العـراق أو يقـنعهم بصـفقة القضـاء علـى صـدام مقابـل أن يسـتقبلوه بالورود، ولـم يستطع إقنـاع الأكـراد ولا الأتـراك فـي الشـمال بالتحـالف معـه للقضـاء علـى صـدام مقابل مكاسـب اقتصـادية وسياسـية، فقد كـان لقانون التدافع الربـاني أثره في فشل هذه الخطـة أيضـاً.. إذ يقـول تعـالى: [ ولـولا دفع الله النـاس بعضـهم ببعض لفسدت الأرض ].

وهكذا استمر الفشل الأمريكي طوال أيام الحرب التي ذاق مرارتها بوش وبلير وجنودهما في صحراء العراق وعلى مشارف المدن العراقية على أيدي أناس أشداء، فمال الغزاة إلى المكر والخديعة والأساليب المحرمة والحرب النفسية الإعلامية لكسب المعركة، وهكذا حاولوا تطبيق مبدأ الصدمة والترويع بشكله القبيح بعدما خسروا المعركة التقليدية وأهينوا بين أحضان عملائهم والدائرين في فلكهم من الدول المتحالفة معهم، ولا يضر الشجاع أن يُؤخذ غيلة وغدراً بعدما أذاق عدوه مرّ الهزيمة، حين رأى العالم صمود الشعب أمام أعتى قوتين في العالم، ذلك الصمود الذي يعرف قيمته المؤمنون وينكره الذين ختم الله على قلوبهم من الضعفاء المنهزمين روحياً والمنافقين والنفعيين، وسيكون ذلك الصمود مفتاحاً لخلاص العالم من هذا النظام الدولي الجديد الذي يريد أن يأكل العالم على طريقة القضم بدءً بالعراق وانتهاءً بأوربا وكل الشرفاء في العالم دولاً وشعوباً وأفراداً، وهنا تأتي رسالة العراق وشعب العراق للوقوف بوجه النموذج الأمريكي الصهيوني الاستعماري، الذي تظاهر بالشجاعة والقدرة على تحقيق أهدافه العدوانية، وحينها ستتضافر قوى الخير للخلاص من هذا النظام المتغطرس الذي يضمر الشر لكل أمم الأرض، ولا يريد الحياة إلا لمنهجه ونظامه الأوحد، أو تحجيمه وردعه -على الأقل- لأنه يحمل

روح الغطرسة والتكبر والاستعباد العالمي وروح الشيطان الذي يبغي الفساد في الأرض[١].

أما في العراق، فلا أقل من أن المقاومة لهذا الاحتلال البغيض مستمرة ولا هوادة فيها وبكافة الوسائل والسبل بدءً بالكلمة المخلصة التي هي أقوى من السيف والصاروخ، وإن هذا الشعب الذي وقف وقفة التحدي والصمود في وجه هذا المد الصهيوني الشرير رغم عدم التكافؤ في الإمكانات والقوى لقادر على أن يلقن الغزاة الهزائم الماحقة، وأن

---

**[١] من الموافقات التي وردت هنا والتي أكدتها الأشهر التي تلت الحرب، إن احتلال العراق لم يكن مقصوداً لذاته وإنما هو خطوة في طريق برنامج متعدد المراحل، وإن الدول المحيطة بنا ليست أقل حظاً من هذه الهجمة والموجة الاستعمارية الإمبريالية الجديدة، وسوف لن يسلم من هذا الشر المستطير أي بلد حتى أوربا نفسها ولو بعد حين، فلابد من التعاون بين الدول والأمم والهيئات والمنظمات الإنسانية التي تسعى للسلام لإيقاف هذا البرنامج والمد الشيطاني الذي يسعى للسيطرة على العالم وابتلاع ثرواته، لاسيما وأن اليمين المتطرف هو المهيمن في أمريكا وإسرائيل اليوم، فلا بديل للعرب والمسلمين سوى العمل الدؤوب لمواجهة هذا البرنامج الخطير والتعاون مع الأطراف المحبة للخير والسلام في أمريكا وأوربا لإسقاط هذه الإدارات الشريرة ممثلة في إدارات بوش وبلير وشارون، وسيهزم الجمع الظالم ويولون الدبر وليس بعيداً على الله أن يقرّ عيوننا بهزيمة نكراء لهم في الانتخابات الأمريكية القادمة وما ذلك على الله بعزيز.**

يحاربه بكل السبل من أجل السيادة والحرية والسلام حتى يرجع عن غيه ويرحل بقواته الغازية رحيلاً أبدياً غير مأسوف عليه[1].

---

(1) **لقد أثبتت المقاومة في العراق أن هذا الشعب مصمّم على أن يذيق المعتدين ذل الهزيمة ومرارة الخسارة القادمة من خلال التصدي المستمر وتحدي القوة الغاشمة وإجبارها على الانسحاب وترك البلد لأهله ولبناء دولته الجديدة. فكان من ثمار هذا التصدي رضوخ قوات الاحتلال إلى تشكيل مجلس حكم مؤقت والاتفاق معه على تحديد موعد قريب لنقل السلطة وتسليمها للعراقيين في ٢٠٠٤/٦/٣٠ دون انتظار الدستور أو الانتخابات العامة التي تستوجب انتظار عدة سنوات لإنجازها. ونذكر أدناه نص الاتفاق بين سلطة الاحتلال وبين مجلس الحكم الانتقالي العراقي الذي أبرم في ٢٠٠٣/١١/١٥م وهو:**

<u>**نص اتفاق مجلس الحكم وسلطة الائتلاف بشأن إنهاء الاحتلال واستعادة السيادة**</u>

**١- اتفاق بشأن الإجراءات السياسية:**

**قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية: يتم وضع قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية بواسطة مجلس الحكم بالتشاور الوثيق مع سلطة الائتلاف المؤقتة، ويتم الاتفاق عليه في النهاية بواسطة كل من مجلس الحكم وسلطة الائتلاف المؤقتة، ويحدد القانون رسمياً نطاق وهيكل الإدارة العراقية الانتقالية ذات السيادة.**

**عناصر قانون إدارة الدولة للفترة الانتقالية:**

**١. وثيقة حقوق الإنسان: وتتضمن حريات التعبير والتجمع والعقيدة وبياناً بالحقوق المتساوية لجميع العراقيين بغض النظر عن النوع (الجنس) أو المذهب أو العرق، وضمان المحاكمة طبقاً للإجراءات القانونية.**

**٢. تدابير فدرالية للعراق: تتضمن المحافظات، وفصلاً وتحديداً للسلطات التي تمارسها الهيئات المركزية والمحلية.**

**٣. بيان باستقلال القضاء وآلية للمراجعة القضائية.**

**٤. بيان بالسيطرة المدنية السياسية على القوات المسلحة وقوات الأمن العراقية.**

**٥. بيان بعدم إمكانية تعديل قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية.**

**٦. انتهاء سيران مفعول قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية في تاريخ يتم تحديده في قانون إدارة الفترة الانتقالية.**

**٧. جدول زمني لكتابة مسودة الدستور الدائم بواسطة هيئة منتخبة انتخاباً مباشراً بواسطة الشعب العراقي، من أجل التصديق على الدستور الدائم وعقد الانتخابات طبقاً للدستور الجديد.**

**٨. يتم استكمال كتابة مسودة قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية والاتفاق عليها بموعد أقصاه ٢٨ شباط ٢٠٠٤.**

**٢- <u>الاتفاقيات مع الائتلاف بشأن الأمن:</u>**

**يتم الاتفاق عليها بين سلطة الائتلاف المؤقتة ومجلس الحكم:**

- □ **اتفاقيات أمنية تغطي وضع قوات الائتلاف في العراق وتعطي نطاقاً واسعاً من حرية العمل لضمان سلامة وأمن الشعب العراقي.**
- □ **استكمال التصديق على الاتفاقيات الثنائية بموعد أقصاه نهاية آذار ٢٠٠٤.**

٣- <u>اختيار المجلس التشريعي المؤقت:</u>

□ يحدد قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية الهيئات الوطنية لهيكل الدولة، كما يحدد بشكل نهائي الإجراءات التي يتم من خلالها اختيار الأفراد لهذه الهيئات، ومع ذلك يجب الاتفاق مقدماً بشأن توجيهات معينة.

□ المجلس التشريعي الانتقالي لن يكون توسيعاً لمجلس الحكم، كما أن مجلس الحكم ليس له دور رسمي في اختيار أعضاء المجلس التشريعي الانتقالي، ويحل عند إقامة الإدارة الانتقالية والاعتراف بها، ولكن يكون لأعضاء مجلس الحكم فردياً صلاحية الخدمة في المجلس الانتقالي في حالة اختيارهم طبقاً للإجراءات المذكورة أدناه.

□ يتم اختيار أعضاء المجلس الانتقالي من خلال إجراءات ديمقراطية تتسم بالشفافية والمشاركة في كل من محافظات العراق الثماني عشرة.

□ تشرف سلطة الائتلاف المؤقتة في كل محافظة على إجراءات تشكل من خلالها (لجنة تنظيمية) من العراقيين، هذه اللجنة التنظيمية تتضمن ٥مدن داخل المحافظة.

□ الغرض من اللجنة التنظيمية هو عقد مؤتمر انتخابي للمحافظة مكون من شخصيات بارزة من أنحاء المحافظة كافة، ولتحقيق ذلك تطلب اللجنة التنظيمية ترشيحات من الأحزاب السياسية ومجالس المحافظات والمجالس المحلية والاتحادات المهنية والمدنية وهيئات التدريس بالجامعات والجامعات العشائرية والدينية، ويجب أن تفي الترشيحات بالمعايير الموضوعة للمرشحين في قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية، وحتى يتم الاختيار كعضو في المؤتمر الانتخابي للمحافظة يحتاج المرشح الحصول على تصديق من اللجنة المنظمة بأغلبية ١١ من ١٥ صوتاً.

- ينتخب كل مؤتمر انتخابي بالمحافظة ممثلين لتمثيل المحافظة في المجلس الانتقالي الجديد استناداً إلى النسبة المئوية لعدد سكان المحافظة بالنسبة لإجمالي عدد سكان العراق.
- يتم انتخاب المجلس الانتقالي في موعد أقصاه ٣١ أيار ٢٠٠٤.

٤- <u>استعادة سيادة العراق:</u>

- بعد انتخاب أعضاء المجلس الانتقالي يجتمع المجلس لانتخاب السلطة التنفيذية وتعيين الوزراء.
- تعترف سلطة الائتلاف المؤقتة بموعد أقصاه٣٠ حزيران ٢٠٠٤ بالإدارة الانتقالية الجديدة التي ستتولى سلطات السيادة الكاملة لحكم العراق ويتم حل سلطة الائتلاف المؤقتة.

٥- <u>آلية إقرار الدستور الدائم:</u>

في النهاية سيتم تضمين الإجراءات الدستورية والجدول الزمني في قانون الدولة العراقية للفترة الانتقالية ولكن يجب الاتفاق مسبقاً عليهما كما هو مفضل أدناه:

- يتم إعداد دستور دائم للعراق من طرف مؤتمر دستوري منتخب مباشرة من قبل الشعب العراقي.
- تنظم انتخابات المؤتمر الدستوري في موعد أقصاه آذار ٢٠٠٥.
- يتم نشر مسودة الدستور من أجل إبداء الملاحظات والحوار العام.
- يقدم النص النهائي للدستور إلى الشعب ويعقد استفتاء عام للتصديق على الدستور الجديد.

لقد كان لقرار الأمريكان في تصعيد الموقف العسكري واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً كالقنابل النووية والصوتية والاهتزازية في عدة مناطق حول بغداد بهدف احتلالها وإجهاض روح التصدي والمقاومة بأي ثمن، ما يشبهه في الحرب الأمريكية اليابانية في نهاية الحرب العالمية الثانية حين استخدمت أمريكا القنبلة الذرية في هيروشيما وناكازاكي، فالأمريكان بطبعهم الغريزي لا يتورعون عن ارتكاب المحرمات وإبادة الشعوب كما حصل أيضاً مع الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين، لذلك كانت خطة الصدمة والترويع البديلة بعد فشل الخطة التقليدية في الأسبوع الأول. وكان لذلك القرار آثار جسيمة غيّرت مجرى الأحداث لصاح الغزاة، فمنذ الخميس ٣/ ٤ بدأ المشروع الإجرامي بالتنفيذ المتتالي لاغتيال العراق وإنهاء نظامه وبنيته التحتية، واستمر ذلك حتى يوم الخميس ١٠/ ٤ وهو اليوم الذي حدثت فيه معركة الأعظمية، ولإلقاء الضوء على أثر خطة الصدمة والترويع والحرب النفسية الإعلامية التي قامت بها أمريكا بإعلام منفرد لا يسمح بأي عرض إعلامي مضاد أو محايد بعد قصف مراكز الإعلام

---

□ **تعتقد الانتخابات للحكومة العراقية الجديدة في موعد أقصاه ٣١ كانون الأول ٢٠٠٥، وعندئذ ينتهي سريان المفعول قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية وتستلم الحكومة الجديدة السلطة.**

**عن مجلس الحكم جلال طلباني عن سلطة الائتلاف ل. بول بريمر**

**التاريخ ١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٣**

الأخرى في بغداد لابد من استحضار حالة الناس في بغداد في ذلك الظرف. لقد ساد الهلع سكان بغداد المدنيين والعسكريين، فكان القليل منهم من قرر الصبر والمرابطة رغم مؤشرات الموت الجماعي المؤكد لمن يفكر بالبقاء، والأكثرية الباقية صدمت وضعفت من جرّاء ذلك الترويع الذي بات الناس يتكلمون به علانية لا همساً، فقرروا ترك العاصمة والهرب بأطفالهم وعوائلهم عبر طريق بعقوبة وطريق الموصل وازدحمت فجأة محطات تعبئة البنزين، وخرجت آلاف السيارات بأهلها مع أحمال المؤن التي يتمكن أصحابها من حملها، ولقد حاول البعض إيقاف هذا الزحف الرهيب للخروج من بغداد دون جدوى، فقد خرج أيام الأحد والاثنين والثلاثاء أكثر من مليون شخص، وقد روى لي أحد شهود العيان وهو الأخ أحمد أبو علي إن طريق بعقوبة وبعد بعقوبة طريق بلدروز والمقدادية قد اختنق بعشرات الآلاف من السيارات حتى إنه عد عدد صفوف السيارات المتجهة شرقا صوب بلدروز-مندلي إلى أكثر من ١١ صفاً، ولم يكن هناك مجال حتى في الطريق الترابي للعودة باتجاه بغداد، حيث كان يروم العودة، وكان ذلك يوم الجمعة ٤/ ٤ وعلى القارئ تصور ما حصل في الأيام اللاحقة التي كانت أشد وطئاً واضطرابا من يوم الجمعة. لقد نجح الأمريكان –أخيراً- في خطة الترويع والهلع ليس بشجاعتهم وقوتهم العسكرية التقليدية ولكن بأسلحة التدمير الشامل المحرمة، وبالحرب

الإعلاميـة أو لنقـل بالإرهـاب الإعلامــي الشـيطاني الـذي لا يسـمح إلا للمعلومـة التـي تخـدم المخطـط الأمريكـي، وكـذلك بتسـخير أذنـابهم مـن الجواسيس والعملاء الذين دخلوا بغداد من الشمال والجنـوب والغـرب، فكانوا أدلّاء على مواقع الحرس والفدائيين والمواقـع الحساسـة وإرسـال الإشـارات والإحـداثيات بواسـطة أجهـزة إرسـال إلكترونيـة خاصـة[1] لتسهيل قصفها وتدميرها وهكذا كان. لقد شمل الترويـع ضـباط الحـرس وجنـوده والحـزب الحـاكم فحـدثت خيانـات وتخـاذل واستسـلام جمـاعي وانهيـار عـام، فصـدرت أوامـر مـن بعـض الخونـة فـي القيـادات العليـا بوضـع السـلاح والعـودة إلـى المنـازل وتـرك بغداد فريسـة أمـام الغـزو الغاشم، وهذا ما تحدث به صدام في آخر كلمـة لـه فـي ليلـة الأربعـاء ٩/ ٤ وهو يـوم سقوط النظـام واغتيـال الدولـة العراقيـة، ولعلنـا نسـتطيع أن نلتمس العذر ولا نلوم المروّعين الذين هربـوا مـن بغداد لـهول الصـدمة والحـرب النفسية التي كانت فوق طاقـة البشـر، والخيانـات والاختراقـات التـي كانت تضع النـار فـي الهشيم، كمـا إن موقـف القلـة من المـرابطين

**[1] لقد عرض تلفزيون بغداد في الأسبوع الثاني للحــرب أجهــزة الهــاتف الجوال (الثريّا) والمعدات الأخرى التي كانت بحوزة الجواسيس والأشــخاص المجندين من قبل قوات الاحتلال لتحديد إحداثيات المواقع المهمة المطلــوب قصفها في العراق، ولقد حاولت الحكومة العراقية ســحب أجهــزة الهــاتف اللاسلكية والخلوية لمنع استخدام الجواسيس لها ولكن بعــد فــوات الأوان وقبيل سقوط بغداد.**

الذين سلّموا أمرهم لله سبحانه الذي يقول في قرآنه: [يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون] (سورة آل عمران) هو الموقف البطولي الذي يصطف مع الشعب الذي صمد ووقف بوجه الغزو في جنوب العراق وغربه وشماله عشرين يوماً يقارع الأعداء ويلقنهم أقسى الدروس، لاسيما العشائر والجيش وأهل المدن والفدائيون، فقد كانت بحق ملحمة عراقية خالدة، إن هذا الشعب العظيم بعربه وأكراده وشيعته وسنته، قد تحدى الطغيان العالمي وتصدى لأعظم هجمة شرسة بربرية شهدها التاريخ، على شعب مسالم عريق كانت تحكمه وتقيده قوة مستبدة، ولم يكن ينتظر من أحد أن ينقذه سوى الله سبحانه. ولكنه فوجئ بالتآمر عليه لغزوه وتدميره وتشويه صورته والقضاء على حضارته وتراثه العريق.

إن حالة الوهن والتخاذل وموقف الذلّة والمسكنة الذي وقفه البعض إزاء الحرب والغزو الأجنبي، كلفت البلد غالياً وستكلفه أضعاف هذا الثمن في الفترة القادمة وإن هؤلاء المتفرجين والمتخاذلين هم الذين سيتحملون مسؤولية فقدان البلد سيادته واستقلاله واستباحته من قبل الأجنبي، يشاركهم النظام الفردي المستبد وإجراءاته العسكرية المتخلفة وفشله في مخطط التصدي للعدوان بسبب دكتاتوريته وعنجهيته الفارغة وغرقه في الخيال وسذاجته وعدم عمقه في حساب القوى المحيطة به سواء في فصائل أعوانه أو خصومه.



# نظام صدام وأجهزته القمعية

لقد كان انهيار الدولة ومؤسساتها وسقوط نظام صدام وأجهزته القمعية والإدارية في يوم واحد هو يوم الاثنين٧/ ٤ وهو يوم تأسيس حزب البعث، ولغرض تكوين فكرة عن النظام وأجهزته القمعية الكثيرة لأكبر نظام قمعي ودولة ذات قبضة حديدية في العالم العربي سنحاول أن نلقي الضوء على عدد هذه الأجهزة ومؤسساتها حسب ما يراه بعض شهود العيان وأفراد الشعب والحزب والجيش ممن عاشوا وشهدوا وسمعوا عنها خلال العشرين سنة الماضية وهي: جهاز الحزب الحاكم ويضم أكثر من خمسة ملايين عضواً، علماً بأن درجات الحزب تبدأ من مؤيد ثم نصير ثم (رفيق) عضو فرقة ثم عضو شعبة ثم عضو فرع ثم عضو قيادة قطرية أو قومية. أما الأجهزة القمعية الأخرى فهي: جهاز الاستخبارات ثم جهاز المخابرات ثم جهاز الأمن العام ثم جهاز الأمن الخاص وجهاز الأمن الاقتصادي ثم جهاز الحماية ثم الحرس الجمهوري ثم قوات الطوارئ ثم الجيش ثم الشرطة ثم فدائيو صدام ثم أجهزة ديوان الرئاسة السرية وغيرها مما لا يعلمه إلا الله والراسخون في معرفة هذا النظام، علما بأن هذه الأجهزة تراقب وترصد إحداها الأخرى فضلاً عن مراقبة الناس بكل صنوفهم وفئاتهم، وفق توجيه خاص وأسلوب خفي عن أنظار الناس والأجهزة

الأخرى، كما أن كل مسؤول أو مدير عام أو آمر وحدة أو وزير له بديل ومراقب سري[1] يراقب حركاته وسكناته لئلا يشذ عن الطريق ويفكر بما يخالف مزاج وخطة القائد، ولو وسوس له شيطانه وفكر فالويل له، فقد يهان أو يسجن أو يطرد فوراً أو يرمى للكلاب والأسود الجائعة داخل أروقة الأنظمة القمعية السرية. ولقد كنا نرى ذلك واضحاً على وجوه المسؤولين والوزراء بل حتى على مستوى نواب رئيس النظام العديدين.

أما سجون النظام فهي من الكثرة والضبط والتنويع بحيث أن لكل جهاز قمعي من أجهزة النظام العديدة عدة سجون عدا السجون التقليدية القانونية الخاضعة للتفتيش الدولي ومنظمات حقوق الإنسان. وفي بغداد وحدها توجد مئات السجون الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، كما أن هناك عدة محاكم خاصة سرية تغذي هذه السجون المتنوعة، كمحكمة الاستخبارات الخاصة ومحكمة الأمن الخاص ومحاكم الأمن العامة، والمشهور إن معظم هذه المحاكم صورية، حيث يزوّد القضاة بقرار الحكم للمتهمين بعد عدة جلسات شكلية ونظام دفاع صوري بسيط، ثم يقرأ القاضي الحكم الذي قررته جهات سرية خاصة تقبع

---

**[1] أي بما يشبه حكومة الظل، ويكون مقرّ تلك الحكومة عادة في ديوان الرئاسة ولها وزراء بعدد الوزراء العلنيين ويرتبطون تنظيمياً بقيادة موحدة خفيّة يكون ارتباطها بصدام نفسه.**

خلف الكواليس، ثم يودع السجين في السجن المحدد لحالته، سواء كان سجن سرياً أم علنياً، مدنياً أم سياسياً، وإضافة لهذه السجون الخاصة بالمحكومين والنزلاء هناك سجون خاصة بالموقوفين الذين لم يتم محاكمتهم، فقد يستمر المتهم السياسي بدون محاكمة أشهراً طويلة أو سنين عديدة أو يوضع في أماكن سرية دون تحديد للمدة، عدا الحالات التي تنتظر الإعدام أو قرار رئيس النظام للبت في أمرهم، إن كل تلك الصور وغيرها مما عاشها العراقيون خلال العقود الثلاثة من حكم البعث وقائده المتأله صدام حسين جعلت الناس في حالة قلق ورعب مستديم، وكان المعارض للنظام يعرّض أهله وعشيرته لنقمة صدام وانتقامه. ولذلك كان الرعب وليس مجرد الخوف من النظام والناعقين له هو الحالة السائدة بين الشعب العراقي، ولا يمكن أن يتصور أحد أن هذا المارد العملاق والنظام الحديدي سينهار في يوم وليلة دون أن يدافع عنه أحد أو يأسف عليه أحد من أفراد الشعب الذي عانى كثيراً ودفع الثمن غالياً في زمن وجود صدام كما أنه سيدفع الثمن أضعافاً مضاعفة بعد رحيله، لأن صدام لم يترك للبلد من يقوده، وإن الحرب والفوضى لم تترك هيكلاً أو مؤسسة يستند إليها من يريد القيادة بعده.أما العدل والعدالة في نظام صدام فليس لها أثر حقيقي بين الناس سوى الاسم والادعاء، شأنها شأن الشورى والحرية التي تجدها فقط مكتوبة في أدبيات الحزب وفي دوائر وزارة العدل وغيرها لغرض

ترديدها على الأفواه كأنها عبارات صوفية غامضة ليس لها معنى إلا في قلب القائد الملهم ولا يجوز التوسع في تفسيرها، أما الظلم الذي هو نقيض العدل فقد كان متأصلا في الحياة في ظل حكم صدام حتى ظن المخلصون أن لا نجاة منه إلا بالموت أو الاستسلام له، وقديما قال بعض الفقهاء أن الحياة في ظل حاكم كافر عادل أفضل من حياة في ظل حاكم مسلم ظالم، حتى غالى البعض في فهم ذلك إلى الدعوة إلى الاستسلام وهذا مما لا يقره الإسلام، ولكن العلماء أرادوا أن يحذروا من خطورة الظلم على العباد وانه قد يكون السبب الذي قدره الله أو سنته سبحانه لتسلط الكافر على بلاد الإسلام إذا كان أكثر عدلا من الحاكم المسلم، فهي دعوة لحكام المسلمين للتوبة والعودة عن غيهم وظلمهم للمسلمين، وليست دعوة للمسلمين للاستعانة بالكافر على المسلم أو تمني السقوط في أحضان المستعمرين والمحتلين، وشتان بين الفهمين.ومن صور الظلم الكثيرة التي ألفناها في عهد صدام أن الامتيازات والنعم والمسؤوليات والرئاسة والتصدر والرواتب العالية والمكافآت والإكراميات وما تسمى بهدايا المناسبات الشهرية كلها كانت حكرا على صدام وأهله وعشيرته وحزبه وأتباعه والناعقين له والمنافقين والمتزلفين ولو على حساب الأبرياء والضعفاء والمساكين من أبناء الشعب.حتى ساد الدجل والكذب والرشوة والمحسوبية وفقد الأمل بالعدل والعدالة، ومع ذلك كان على كل عراقي أن يقرّ بوجودها

ويؤكد أهميتها في حياة العراق شأنها شأن ثلاثية حزب البعث (الوحدة والحرية والاشتراكية) التي حفظها الشعب منذ السبعينات ولكنه إلى الآن لم يفهم معناها، وقد فسّرتها إحدى عجائز العراق في السبعينات بأنها بنات البكر(الرئيس العراقي السابق)..! ومن صور الظلم في الوسط الطلابي مثلا أن هناك امتيازات عديدة عدا الامتيازات الخاصة بالمسؤولين والوزراء وحجز المقاعد في الكليات الراقية والمرغوبة كالطب والهندسة، يسمى امتياز إضافة الدرجات إلى المعدل لطلبة الصف المنتهي (السادس الإعدادي)، وهو عبارة عن إضافة خمس درجات على المعدل لكل طالب يكون والده حاملاً شارة الحزب أو عضواً كبيراً في الحزب أو عنده نوط شجاعة أو كان شهيدا في أم المعارك (حرب الكويت) أو قادسية صدام (حرب إيران) أو وزيرا أو آمرا في الجيش والحرس أو من أصدقاء صدام أو مدرسا أو ...ولا يستغرب القارئ إذا علم أن المعدل قد يصل إلى ١١٥% بسبب هذه الإضافات المجنونة الظالمة والتي استمرأها الشعب وأصبح يستحل السحت والظلم والحرام، والتي أدت إلى انتشار الحقد والكره بين الطلبة والتنافس غير المشروع، حتى لتجد أن طالبا لديه معدل ١٠٠% بدون إضافة ولكنه لا يستطيع الحصول على كلية الطب أو الكلية التي يرغبها، ولا يختلف الأمر في الدراسات العليا إن لم يكن أكثر ظلما وتمييزا، وربما هو أقذر من التمييز العنصري نفسه، لأن أهم الشروط

لقبول الطلبة للدراسات العليا أن يكون من عبّاد هبل أي يكون منتميا للحزب الحاكم ثم أن تقبله لجنة يرأسها نائب الرئيس عزة الدوري، وينبغي أن يكون مرغوبا فيه وأن تنطبق عليه شروط غاية في التعسف والتقييد ... وهكذا باقي مرافق الحياة.

في الحقيقة لا يمكن لأحد أن يصور حياة العراقيين في ظل النفاق والوصولية والنفعية التي كانت سائدة بين الناس في عهد صدام لاسيما بين كبار الحزبيين والمسؤولين في الدولة ومدى الكذب والدجل الذي كان يغرق قائد النظام ببحر من الخيال والأماني الزائفة عن قوة النظام وتلاحم الشعب معه، ولا يمكننا تصوير ذلك إلا كما صور لنا الكاتب الأمريكي اللاتيني في قصته السياسية (قصة ملابس الإمبراطور الجديدة) المشهورة التي تصور الخداع المتبادل بين الدكتاتور وشعبه المستعبد بحيث أن كلاهما يصدق كذبته ولا يكشف ذلك إلا فطرة طفل صغير بريء وهو يرى الإمبراطور يمشي عارياً بدون ملابس بعد أن خدعه المحتالون والنفعيون في إحدى احتفالات العيد الوطني الكبير، فيصرخ في وجه أبيه قائلا: يا أبتِ إن الإمبراطور يسير عارياً[١]...

---

**[١] من الطريف أن نذكر أن نفس هذا المفهوم وهذه القصة قد عرضتها قناة الجزيرة في أيلول الماضي وهي تصور أحد الشخصيات الأمريكية المعارضة لسياسة بوش في حربه للإرهاب ودوافعه لغزو العراق وأفغانستان وهو يصور الرئيس الأمريكي بوش بأنه يمثل ذلك الدكتاتور المخادع والمخدوع..**

ولا يصور تلك الحالة التي عاشها الناس في ظل النظم الدكتاتورية الآسنة التي مرد الناس فيها على النفاق إلا قول الشاعر المصري الشهيد هاشم الرفاعي في قصيدته التي كانت بعنوان (امرأة الشهيد تهدهد طفلها) وهو يقول:

لم يبق مسموعاً سوى ... صوت النفاق

صوت الذين يقدسون الفرد من دون الإله

ويسبحون بحمده ...ويقدمون له الصلاة

لقد انشغل صدام في معظم فترة حكمه منذ عام ١٩٧٩ بالحروب والصراعات السياسية العنيفة المحلية والدولية التي كانت غالباً ما تؤدي إلى الحروب المهلكة والمدمرة، فكانت حرب إيران قد غطت معظم عقد الثمانينات، ثم جاءت حرب الكويت وهزيمة الجيش المرّة على يد التحالف الثلاثيني بقيادة بوش الأب الذي كان أكثر حكمة من ولده، ولم يسمح بسقوط صدام الذي كان وشيكاً بعد انتهاء الحرب مباشرةً، واكتفى بتوقيعه في اجتماع صفوان لوقف الحرب على

---

**فيا للمفارقة أن يصور بوش بنفس المثل الذي أوردناه على صدام في قصة الكاتب اللاتيني الساخر الذي اشتهر بكتابه هذا وبكتاب آخر اسمه (خريف البطريرك) ويبدو أن الدكتاتورية التي نشكو منها هنا في الشرق موجودة أيضاً في أمريكا اللاتينية وهي التي حفزّت الكتّاب هناك لفضحها دون أن تحفزنا نحن أيضاً لفضح هذا المرض الخطير في محاولة لعلاجه والتخلص منه ومن أثره.**

الحصار وعلى تنازلات مرعبة على حساب الشعب لصالح الأمريكان، وتجرع الشعب في سنين الحصار العجاف أشكال العذاب والذل لكي يبقى صدام في سدة الحكم، ويستفيد الأمريكان والصهاينة من حصار لا يبرره إلا بقاء صدام في الحكم، وقد انشغل صدام خلال سنين الحصار ببناء الجوامع الضخمة والقصور الرئاسية المترامية والصروح الكبيرة المخلدة لعهده، وبالحملة الإيمانية الكبرى التي كان يقودها في الغالب أذناب النظام المنافقون في الجوامع والمدارس، لذلك لم تثمر عن شئ كبير ولم يباركها الله سبحانه إلا في أماكن محدودة وببركة وصدق القلة القليلة التي أخلصت النية ولم يعقها لغو العابثين والفاسقين.

لقد أعلنت قوات التحالف أثناء الحرب عن قائمة المطلوبين الخمسة والخمسين، وبعد أن قام المستشار العلمي للرئيس صدام الدكتور عامر السعدي بتسليم نفسه إلى قوات التحالف يوم السبت ١٣/ ٤، تم اعتقال وطبان إبراهيم وبرزان إبراهيم التكريتي أخوة الرئيس العراقي غير الأشقاء، والدكتور جعفر ضياء جعفر رئيس الطاقة الذرية العراقية، والدكتور همام عبد الخالق وزير التعليم العالي، ومحمد حمزة الزبيدي عضو القيادة في حزب البعث يوم ٤/٢٠، والدكتور محمد مهدي صالح وزير التجارة والدكتور حكمت العزاوي وزير المالية في ٤/٢٣، وطارق عزيز نائب رئيس الوزراء والشخصية الإعلامية والسياسية

المهمة في عهد صدام وعهد البكر الذي تم اعتقاله في يوم ٤/٢٥، والدكتور عامر رشيد العبيدي الذي سلم نفسه في يوم ٤/٢٨ ومزبان خضر هادي عضو قيادة في الحزب وقائد منطقة الفرات الأوسط والمهندس عبد التواب ملا حويش وزير التصنيع العسكري وطه محيي الدين معروف نائب رئيس الجمهورية يوم ٥/١، ليصبح عدد المطلوبين للمحاكمة كمجرمي حرب ٤٣ شخصاً من أصل ٥٥ شخصا في القائمة[١] التي أعلنتها قيادة قوات التحالف الأمريكي البريطاني، على رأسهم صدام حسين ونجلاه وعدد آخر من الوزراء والمسؤولين

---

**[١] لقد استطاعت قوات التحالف خلال الأشهر التسعة التي تلت إيقاف الحرب في ٥/١ أن تقبض على عدد آخر من المسؤولين في نظام صدام المذكورين في قائمة المطلوبين، وتقتل البعض الآخر كما استسلم عدد آخر لها أيضاً.. ومن أبرز هؤلاء: طه ياسين رمضان وعدي وقصي ابنا صدام وعلي حسن المجيد ابن عم صدام وهدى صالح مهدي عمّاش وعبد حمود السكرتير الشخصي لصدام قبل أن يتسنى لها الإمساك بصدام نفسه واعتقاله في ٢٠٠٣/١٢/١٣ ولم يبقى الآن من هؤلاء الـ(٥٥) غير أحد عشر شخصاً في مقدمتهم عزة إبراهيم نائب الرئيس صدام، بعد أن تم اعتقال الرقم (١٢و١٣) وهما خميس سرحان عبيد من الرمادي وهو من كبار ضباط النظام السابق في مطلع شهر كانون الثاني ثم محمد زمام السعدون وزير الداخلية الأسبق في مطلع شباط لسنة ٢٠٠٤م، أما من أطلق سراحهم من هؤلاء فمنهم محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام وعبد المنعم أحمد صالح وزير الأوقاف وسعدون حمادي رئيس المجلس الوطني(البرلمان).**

في النظام العراقي المندحر في الحرب. ومن بين هؤلاء العالمة البيولوجية الدكتورة هدى صالح مهدي عمّاش التي يحلو للإعلام الأمريكي أن يطلق عليها أسم سيدة الجمرة الخبيثة، والعالمة رحاب زوجة وزير النفط السابق د. عامر رشيد العبيدي، والتي أطلقوا عليها اسم السيدة الجرثومية، والمفارقة الغريبة في هذا الإعلام المخادع والمتحيز إنهم يحاولون الإيحاء بأن العراق يجب أن يكون فيه أسلحة دمار بيولوجية وجرثومية ونووية لوجود هؤلاء العلماء فيه، متناسين الكم الهائل لأمثال هؤلاء العلماء في كافة الدول وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل، وإن الآلاف منهم يعملون بشكل علني وسري في مراكز الأبحاث التابعة لوكالة المخابرات الأمريكية CIA والبنتاجون وغيرها من المؤسسات العسكرية والإستخباراتية الأمريكية دون أن يستطيع أحد الإشارة إلى انتهاكات الولايات المتحدة في قضايا استخدام أسلحة الدمار الشامل واليورانيوم المنضب والقنابل المحرمة في الحرب (حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١) وفي يوغسلافيا (في إقليم كوسوفو) وفي أفغانستان وحاليا في الحرب على العراق[١]. وإن استخدام القنابل

---

[١] **لقد بات واضحاً وبعد مضي أكثر من تسعة أشهر على الحرب خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل بأنواعها، وفي المقابل اقتراف قوات التحالف جريمة استخدام الأسلحة المحرّمة دولياً، وفي مقدمتها السلاح النووي التكتيكي والقنابل النووية الصغيرة التي يتوقع المحللون استخدامها في**

النووية التكتيكية في الرضوانية والمطار والأسلحة المحرمة الأخرى كالمنفلقة العنقودية والمايكروويفية والصوتية والثقيلة (١٠طن) وغيرها على المناطق المدنية والخدمية في أغلب مدن العراق وفي العاصمة بغداد في أحياء الفرات والدورة والسيدية والشعب والتاجي والمنصور والمطار وغيرها، والتي رفعت عدد الشهداء إلى أكثر من ١٠٠ ألف شهيد كان أكثر من نصفهم قد قضى بهذه الأسلحة المحرمة، وعدد كبير منهم من المدنيين العزل، وفي المقابل ٢٠ ألف قتيل استطاع العراقيون جدع أنوفهم من الأمريكان والإنكليز بأسلحتهم التقليدية والعمليات الاستشهادية البطولية في الصحراء الغربية والجنوبية وعلى أسوار المدن العراقية وفي مواجهة الطائرات والسمتيات التي أسقطت بالنيران العراقية خلال الأسابيع الثلاثة من الحرب المشّرفة التي خاضها العراق[١]، رغم الخلل والثغرات الإدارية

---

**معركة المطار الثانية وفي مناطق أخرى عديدة. ولقد قامت الحكومة الأمريكية بسحب ٤٠٠ مختص في البحث عن الأسلحة ذات الدمار الشامل من العراق في مطلع كانون الثاني ٢٠٠٤ لتغطية الفشل السياسي الذي منيت به والفضائح المتكررة التي واجهتها إدارة بوش بسبب كذبة الأسلحة العراقية المحظورة التي كانت من أهم مبررات غزو العراق واحتلاله.**

**[١] بالرغم من استغراب البعض لتقدير خسائر قوات التحالف خلال الحرب بعشرين ألف قتيل، حيث لم يشر أي إعلام غربي لمثل تلك الخسائر التي اعتمدنا في تقديرها على مجموع روايات الشهود للمعارك التي جرت**

والهجمات والصولات التي قام بها الجيش والشعب والفدائيون على قطعات قوات الاحتلال على كل الجبهات، إلا أن هناك عدد آخر من المتابعين والمحللين والمراقبين يؤكدون هذا الرقم أو قريباً منه، كما ذكرت مصادر أمريكية وأوربية محايدة وجود آلاف القتلى الذين أخفاهم الإعلام الأمريكي خشية الضجّة وحدوث بلبلة في الأوساط الأمريكية لاسيما الإعلامية منها. ومن الطريف أن أذكر هنا أنني تحاورت مع مقدّم برنامج (الشريعة والحياة) في قناة الجزيرة الأخ ماهر عبد الله حين كان في بغداد في مكتب الجزيرة في مايس الذي أعقب الحرب، حيث سألني بعد إطلاعه على البحث قبيل نشره.. كيف تثبت أن خسائر الأمريكان بهذا الكم وما هو دليلك، فقلت له الكل متفق على أن الأمريكان يخفون خسائرهم، وإن إعلامهم متحيّز وغير منصف بل إنهم قد تمادوا في التحيّز فأخرسوا الإعلام الآخر في بغداد سواء العراقي أم العربي أم الأوربي، وقتلوا العديد من الصحفيين منهم مراسل الجزيرة المرحوم طارق أيوب والعديد من الصحفيين الآخرين. وأنا إن كنت قد بالغت في تثبيت بعض الشهادات وتقديراتهم فإنها على الأقل لشهود عيان ثقاة وعراقيون لم يتقصّدوا الكذب وإن أخطؤا في التقدير، في حين إن الإعلام الأمريكي كان يكذب بقصد متعمّد، وقد كتب الأخ أحمد منصور في كتابه (قصة سقوط بغداد) فصلاً كاملاً سماه (حرب الأكاذيب) سرد فيه أنواع الكذب الذي مارسته الإدارة الأمريكية لاسيما رامسفيلد وبوش... والكذب الذي مارسه الأمريكان في حرب العراق ليس له مثيل في التاريخ، ونحن نتساءل ونطالب بالأدلة حول عدد القتلى والخسائر وهي في مقدمة ما يسعى الخصم لإخفائه ونتناسى الجانب الإعلامي والنفسي والتعبوي والنوايا الصادقة

والفنية والعسكرية التي كان يعاني منها العراق بسبب قيادته الحالمة الجاهلة بأصول الحرب وسننها ومتطلباتها، ورغم خيانة النفعيين والوصوليين من أفراد الحزب الحاكم وضعاف النفوس من البطانة المحيطة بصدام، والتي أوهنها الترف والامتيازات والسلطة والترفع عن خدمة الشعب، فجعلها تغلظ الأيمان لقائدها بأنها ستكون سداً منيعاً وعنواناً للتضحية والشهادة، ولكنها بقيت كلمات جوفاء لم تصمد في المحك فانهزمت وتبخرت ساعة التحدي الجاد، تاركة الشعب والجيش وحده يقاتل قتال الأبطال، فكانت في مقدمة المنهزمين والواقعين تحت مظلة الإعلام المخادع والحرب النفسية الإعلامية لترويع البلد وتدمير روحه المعنوية وتصديه الشجاع لقوات الاحتلال، فكان صدام قد اعترف بخيانة حزبه ونكلهم عن أيمانهم قبل رحيله من حكم العراق ليلة الأربعاء ٩/ ٤، ليثبت للتاريخ تلك الحقيقة المؤلمة التي لابد لكل فرعون وطاغية أن يراها في نهاية حكمه وسلطته الكهنوتية، كما قالها فرعون موسى قبيل غرقه، وقد سبق قدر الله ذلك الاعتراف بأن القوة لله جميعاً، وأن مبادئ الأحزاب الوضعية إنما تذهب هباءاً في ساعة التحدي وحين تحين ساعة السنن الإلهية ولن تجد لسنة الله تحويلا ولا تبديلا، ولسان الحال يقول ليت صدام قد أدرك ذلك قبل نفاذ القدر وقبل

---

**والصعوبات الفنية لتوفير المعلومة وإيصالها.. فتبسم الأخ ماهر وبدا لي أنه كان مقدّراً للجهد والظرف الذي ظهر فيه الكتاب أو هكذا كان ظني.**

ذلك الدمار الذي حل بالعراق بسبب الطغيان والظلم العام وهو الآن يرزح تحت الاحتلال الذي لا نعلم متى ينتهي أمده.

لقد كان من مظاهر حكم صدام في العراق خلال العشرين سنة الماضية من الحكم الاستبدادي، أن كل شيء في العراق قديمه وجديده يسمى باسم صدام وكل إنجاز أو عمل جديد يمكن أن يخدم الشعب سواء زيادة راتب أو بناء سد أو إنشاء طريق أو حفر نهر كلها كانت تعد مكارم من القائد إلى الشعب، بل من الطريف والمعتاد أن نسمع بقرار أنه مكرمة القائد ثم يلغى ويعد إلغائه مكرمة القائد أيضا، سواء كان القرار سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً كما حدث في تشريعات المرور والعفو عن السجناء وغيرها من القرارات الكبيرة والصغيرة، وكذلك في كل نشاط من النشاطات العامة في أي وزارة من وزاراته التي كانت في الحقيقة ليست وزارات ولا وزراء وإنما مكاتب سكرتارية تابعة إلى ديوان الرئاسة ومجلس قيادة الثورة والحزب الذي يحكمه القائد الأوحد[1].

---

**[1] قد يكون التعبير هنا فيه نوع من التضخيم والتهويل بسبب الانفعال وروح الانتقام التي تولّدت لدى الكثير من العراقيين بعد الزلزال المريع وسقوط تاج المدن بغداد بأيدي قوات التحالف، ولكن يمكن القول أن وزارة الظل هي التي كانت تحكم البلد وان الوزارة العلنية كانت تمثّلها شكلياً.**

لقد تم تغيير أسماء أحياء ومستشفيات وجامعات ومدارس ومكتبات ومتاحف في طول العراق وعرضه كلها إلى اسم صدام، فمدينة الثورة في بغداد التي بناها الرئيس العراقي الأسبق عبد الكريم قاسم أصبح اسمها مدينة صدام، ومستشفى مدينة الطب التي بنيت بعد ثورة ١٩٥٨ أصبح اسمها مدينة صدام الطبية، وكذلك جامعة صدام الإسلامية وجامعة صدام للعلوم والهندسة وكلية صدام الطبية وكلية صدام للحقوق وكلية صدام العسكرية وغيرها كثير، ومن المدن والسدود صدامية الكرخ وهي حي سوق حمادة القديم في منطقة الكرخ، وسد صدام في الموصل وصدامية الثرثار في سامراء وقصور صدام الكثيرة الفخمة التي اضطر أن يسميها قصور الشعب بسبب ضغط الإعلام الأمريكي أثناء التفتيش على الأسلحة من قبل لجان الأمم المتحدة في نهاية التسعينات، وصدامية الفلوجة قرب بحيرة الحبانية وصدامية البصرة وبابل والموصل والأنبار وغيرها من المحافظات والمدن الكبيرة والصغيرة، فقد دخل اسم صدام في كل متر وحجر من أرض العراق حتى العملة العراقية لم تسلم من صورة صدام، بعد أن تدهورت بعد حرب الكويت بشكل كبير جداً، فمن قيمتها في الثمانينات الدينار يساوي دولار أو أقل أو أكثر قليلاً إلى أن وصلت في عام ١٩٩٥، الدولار يساوي ٣٠٠٠ دينار، أي وصل تضخم سعر الدينار إلى عشرة آلاف ضعف للسعر الرسمي للدولار (دينار واحد يساوي

٣,٣٢ دولار) والطريف أن رواتب الموظفين بقيت على حالها تقريباً بالدينار، أي إن معدل راتب الموظفين خلال فترة الحصار لم يكن يزيد على خمسة دولارات عدا أصحاب الامتيازات والمقربين من النظام وقيادات الحزب، فعاش الناس في فقر شديد وفي عالم كله يدور حول صدام وصوره، حتى كان الحجاج الداغستانيون حين يأتون للحج ويجلبون بضاعة إلى بغداد، يعبّرون عن قيمة الحاجة بكلمة ٧ صدام أو كذا صدام ويقصدون بصدام فئة ٢٥٠ دينار إشارةً إلى صورته في العملة..

بل إن العراق أصبح اسمه عراق صدام، وعالم صدام وعهده المنير سماه بعض الإعلاميين العراقيين السائرين في ركاب الآلات التي يسوسها صدام ونظامه، بأن العراق العظيم هو كوكب صدام، ولا أدري هل قصد هؤلاء أن هذا الكوكب الذي يحكمه صدام هو الأرض كلها، أم أن العراق أصبح يمثل كوكب الأرض، وإنه لا قيمة اعتبارية لمن حوله سواء في العالم العربي أو الإسلامي أو العالم بأسره، لقد كان صدام أسير خياله الخاص كأي دكتاتور سبقه من أيام أتاتورك وهتلر وستالين وغيرهم من الأصنام والفراعنة الذين ألهوا أنفسهم وأرادوا من شعوبهم أن يعبدوهم من دون الله قال تعالى: [ قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ]. (سورة غافر/٢٩)، وقال تعالى يصف الشعب الذي استعبده فرعون: [

فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ].(سورة الزخرف/ ٥٤)

لقد استفاق صدام بعد الهزيمة فوجد أنه لم يقاتل معه الموالون له والمنتفعون من حزبه وأعوانه الذين كانوا يصفقون له ويبطشون بالناس، وإنما قاتل الشعب صاحب القضية المؤمن بربه وبلده والرافض للاحتلال الأجنبي مهما كلف ذلك من تضحيات، فقالها صدام في كلمته الأخيرة بمرارة دون أن يستطيع أن يغير من الواقع الجديد والهزيمة النكراء لنظامه وحزبه، ودون أن ينقذ ملكه العظيم من الضياع أو بلده الذي أحبه من الاحتلال البغيض.

ومن مظاهر تأليه صدام لنفسه واستخفافه بشعبه واستعبادهم، كثرة التماثيل والأصنام والنصب والصور المنتشرة في الشوارع والدوائر والشركات والبيوت بشكل مفرط وغير معقول، فهناك مئات الصور الكبيرة في كل مدينة من مدن العراق بل في كل حي ومحلة أحيانا، ففي كل فلكة وساحة توجد صورة أو صورتان، وفي أبواب مقرات الحزب وأبواب الشركات والمنشآت والدوائر الحكومية والأهلية، وفي باب النظام لكل وحدة عسكرية، وكذلك داخل الأزقة والأسواق والمنتديات وغيرها، كما أن التماثيل قد كثرت بشكل مفرط في السنين الأخيرة في المدن العراقية، بسبب التقليد المتزايد الذي شجّعه وفرضه الحزب على منتسبيه وعلى المسؤولين في دوائر الدولة وهم من

أعضاء الحزب بداهة، لأنه لا يمكن لأي عراقي أن يكون مسؤولاً في الدولة إلا إذا كان من أعضاء الحزب الحاكم، بل وصل الأمر أن التحزب فرض على طلاب المدارس بشكل جماعي وإجباري حتى وصل إلى طلاب السادس الابتدائي للأطفال بعمر ١٢ سنة[١]، فضلا عن المنهج الحزبي وسيرة القائد التي فرضت على جميع مراحل الدراسة من الابتدائية حتى الجامعة ضمن المادة التي تسمى الثقافة القومية. وكان من أدبيات هذا التقليد الحزبي عند إقامة احتفاليات في الوزارات والمؤسسات والدوائر والفرق الحزبية أن يكون أهم فقرات هذه الاحتفالية هو افتتاح صورة كبيرة أو تمثال لصدام في مداخل المدن والوزارات والشركات وغيرها، وكانت أهم المناسبات التي تُستغل لافتتاح صورة أو تمثال هي مناسبة ميلاد القائد في ٢٨/نيسان وميلاد الحزب ٧/ نيسان وثورات تموز العديدة وهي ثورة ١٤/تموز و ثورة ١٧-٣٠/ تموز التي جاءت بحزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨، ومناسبة توقف الحرب العراقية الإيرانية في ٨/ آب وغيرها من المناسبات التي اختلقها وأعتمدها الحزب لتمجيد تاريخه ونضاله.

---

**[١] لقد كانت عائلتي قبل الحرب بأشهر قليلة تعاني من ذلك الاضطهاد السياسي المقيت، وكانت الضغوط مستمرة على أولادي للانتماء إلى حزب البعث في المدرسة وكان أحدهم في مرحلة الأول متوسط ولم يتجاوز عمره ١٢ سنة وقد أجبر على الدخول في الحزب الأوحد رغم عدم موافقتي بذلك، وهكذا كان الكثير من الآباء يشكون من هذا الإرهاب الفكري والأمني.**

أما أسماء وألقاب القائد فقد وصلت إلى تسعة وتسعين اسما بما يشابه ويقابل أسماء الله الحسنى. وللتاريخ يمكن أن نقول إن صدام لم يكن يأمر بنفسه بهذه الأفعال النفاقية والوصولية التي تمجد صدام وتقدسه، وإنما هو سياق تلقائي يسير عليه كل شعب يملكه حاكم مستبد ودكتاتور كما حدث في مصر في عهد عبد الناصر وتيتو في يوغسلافيا وجاوجسكو في رومانيا وقبلهم هتلر في ألمانيا وستالين في روسيا، فإن تلك المظاهر السلبية تنمو وتزدهر في جو من التناغم والتوافق بين الحاكم الإله المحب للتمجيد والشعب المستعبد المغلوب على أمره الذي مسخه الاستبداد والاستعباد

## الانفلات الأمني وأعمال السلب والنهب

في صبيحة يوم الجمعة ١١/ ٤ وبعد انتهاء آخر المعارك في بغداد وهي معركة الأعظمية، وبعد ظهر هذا اليوم الذي لم تصلَّ فيه صلاة الجمعة لعدم وجود دولة أو إمام كما هو رأي أبي حنيفة وغيره، خرجت بعد الظهر- بعد الهدوء النسبي للقصف- وتوجهت باتجاه المقبرة الملكية وكنت قد سمعت عن بدء أعمال السلب والنهب في الدوائر الحكومية والمباني والمؤسسات العامة، ففوجئت بوجود عشرات السيارات بجوار جامعة صدام للعلوم الإسلامية، والتي تقع قرب المقبرة الملكية في الأعظمية وكانت أبواب الجامعة مفتّحة،

والسرّاق يتسابقون على نهب ما فيها من أجهزة ومعدات وحاسبات ومكيفات وأجهزة كهربائية ولم يتركوا حتى الأخشاب والأوراق والوثائق، وحينما وقفت أمام الجامعة في الشارع المقابل لها، كدت أتقيأ من شدة الصدمة وعيني تدمع من هذه المناظر المخزية التي يندى لها الجبين، وتدعو إلى الازدراء والوجل من الحالة التي وصلنا إليها بعد اختفاء الدولة وسقوط الحزب والنظام. فمهما جال وابتعد بنا الخيال وافترضنا ما يمكن أن يصيبنا نتيجة هذا الغزو والعدوان لا يمكن أن نتخيل ما حصل من أعمال قرصنة وسرقة وتدمير لاسيما في الأيام الثلاثة التالية، بل حتى نهاية الأسبوع.

كان الذهول واليأس والإحباط الذي سيطر علينا من تلك الأعمال المشينة قد أقعدني عن الحركة في يوم السبت فمكثت في الأعظمية مع بعض الأخوة نتواصى بحفظ الأمن في المحلة والمستشفى القريبة منا وهي مستشفى النعمان والجوامع المحيطة بنا[1]، وأثناء تشكيل لجان

---

**[1] للتاريخ نذكر أنه قد برزت في تلك الأثناء ظواهر طيبة مسؤولة وخدمية للدفاع عن البلد والحفاظ على ممتلكاته ومحاولة إعادة النظام والأمن ومكافحة الانحراف والسرقات على يد مجاميع غفيرة من الشباب المؤمن المخلص لوطنه ومن كافة الفئات والأطياف، ومن تلك الظواهر نزول مجاميع شبابية إلى ساحات الشوارع العامة ومناطق إشارات المرور التي تعطلت بسبب انقطاع الكهرباء وأخذت هذه المجاميع المباركة من الشباب المتحمّس تنظم السير والمرور، دون أن تطلب أجراً أو ثمن مقابل ذلك الدور المهم في**

من المتطوعين والخفراء لحماية المستشفى والمنطقة قام مجموعة من الوجهاء والأساتذة في الأعظمية ومعظم أحياء بغداد بالتواصي لتوجيه نداءات إلى الناس، وفي حدود منطقتنا قمنا بتوجيه نداء عاجل لوقف

---

**إعادة النظام والحياة إلى بغداد وباقي المدن التي تعرضّت للعدوان سوى خدمة البلد ومرضاة الله سبحانه، وكانت تلك الظواهر من الأمور التي تثلج القلب في أيام الهرج والمرج والسلب والنهب والسرقات والتسليب التي استمرت بضعة أشهر بعد الحرب. كما قامت مجاميع أخرى بحماية المدارس والدوائر الحكومية والمخازن، وقد تشرفت العديد من العشائر والقبائل والعوائل والمساجد والحسينيات بتلك الممارسات الوطنية والأخلاقية الطيبة التي سيذكرها التاريخ حتماً وستظهر في مدونات المؤرخين والباحثين والصحفيين، كما قامت مجاميع كبيرة من الأطباء والصيادلة والشيوخ والفنيين والشباب بالحفاظ على مستودعات الأدوية والمستلزمات الطبية ونقلها إلى أماكن آمنة كالمساجد والحسينيات والكنائس للمحافظة عليها واستخدامها في الوقت والمكان المناسب وحسب الحاجة وبالتعاون مع أعضاء المجالس البلدية ومنظمات الإغاثة التي وجدت وأنشأت بعد الحرب مباشرة،لتقوم بدورها الحيوي في الإشراف والتوجيه أثناء أيام الفوضى والانفلات الأمني وتوقف النقل والحياة الاجتماعية والصحية والاقتصادية خلال شهري نيسان ومايس اللذين أعقبا سقوط بغداد، جزى الله المخلصين والمؤمنين من هؤلاء وهم كُثر أمام الغثاء الذي قام بالسلب والنهب والحرق والإفساد** ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ **(سورة الرعد/١٧).**

أعمال السلب والنهب والتصدي لها والدعوة لتشكيل لجان محلية مسلحة لحماية المناطق والدوائر والمستشفيات والجامعات، بعد أن سمعنا أن عدداً من الجامعات والمكتبات والمستشفيات والمصارف قد سرقت وأحرقت، وقد دعاني أحد هؤلاء الأساتذة للاشتراك في هذا العمل العاجل الذي قد يؤدي إلى نوع من المعالجة وملء الفراغ الأمني الذي أحدثه تبخر النظام وأجهزته بشكل سريع ومفاجئ.

وأدناه نص هذا النداء الذي صدر يوم السبت ١٢/ ٤، وتم توزيعه إلى الناس في الأماكن العامة والجوامع يوم الأحد ١٣/ ٤.

**نداء عاجل إلى الرأي العراقي والعربي والإنساني**

" أوقفوا عمليات تدمير العراق الجارية تحت أنظار قوات الاحتلال الأجنبي وبتشجيع منه "

إننا معشر العراقيين بعد الحروب المدمرة وحصار اقتصادي وعلمي وإنساني امتد لأكثر من عشر سنوات، ما عاد أمامنا من نتَّجه إليه سوى الله سبحانه وتعالى، وأبناء شعبنا إزاء المحنة الجديدة التي سببها تغييب الشعب ومصادرة حكومة الحزب الواحد لكل حقوق شعبنا المدنية ومنها حقوق أعضاء الحزب الواحد ذاته.

إن المحتلين الجدد للعراق والذين جاءوا باسم الحرية والديمقراطية أخذوا يكشفون حقيقة نواياهم – وعلى لسان رامسفيلد وولفتز وبلير –

بتعريـف الحريــة بأنهـا حريــة النهـب والسـلب، إنهـا حريــة السـرّاق والمجرمين وقطاع الطرق.

إنما يجري في بغداد ومعظم المدن العراقيـة الأخـرى من حـوادث نـهب وسلب وقتل إنما يعيد إلى الأذهان أبشع صور الغزو التتري الذي قـاده هولاكو، حيث بدأ الاستعمار والغزو الأنكلو-أمريكي للعراق يصـب جام غضبه وحقده علـى شعب العراق ومستشفياته وجامعاتـه ومتاحفـه ومكتباتــه. إنــه الحقـد الصـهيوني الهـادف إلـى تـدمير حاضـر العـراق ومستقبله، بل وتراثه الحضاري أيضاً.

فقادة الغزو لا يخفون ميولهم الصهيونية، كما أن ممارسـاتهم الحاقـدة لا تدع مجالاً للشك في نـزعتهم الصـهيونية السـاعية إلـى تـدمير كـل شـيء في العراق من خلال عملية خداع كبرى يسهلها التخاذل المشين للحكـام العـرب، حيـث يجـري الحـديث عـن حـل للقضـية الفلسـطينية بعـدما يـتم تصفية العراق، ولا نـدري كيـف تكـون عمليـة صـهينة العـراق وتـدميره طريقاً للدولة الفلسطينية المزعومة.

أيهـا الأخـوة.. إن عصــابات السـلب والنهـب والحـرق هـي فـي معظمهـا صدرت من جهات جرى تنظيمهـا من قبـل وكـالات مخـابرات أمريكيـة وإنكليزيــة وصــهيونية، ومــع الأســف، عربيــة أيضــاً. بالإضــافة إلــى التواطؤ الصـارخ من قبـل قـوى الاحـتلال الأجنبـي ومسـاعدتهم العمليـة للغوغـاء والسـرّاق. ففـي حــالات كثيـرة جـرى تفجيـر مـداخل بعـض

البنايات الحكومية من قبل قوات الاحتلال وإفساح المجال أمام الرعاع لاقتحام هذه المباني كما حدث لبناية البنك المركزي العراقي وبناية الجامعة التكنولوجية والجامعة المستنصرية، مثلما يتم نهب المستشفيات والدوائر الخدمية أمام أنظار قوات الاحتلال الأجنبي.

**يا معشر العراقيين**.. ما عاد لكم من نصير سوى الله جلت قدرته، والارتكاز إلى شجاعتكم وتكاتفكم وتضامنكم أمام هذه الهجمة البربرية.. وإننا ندعوكم وعلى الفور إلى:-

١. تشكيل لجان محلية مسلحة لحماية كل منطقة وحي وشارع بالاعتماد على قواكم الذاتية، وعدم التردد في إطلاق النار على عصابات السلب والنهب. صونوا الدوائر العامة والمتاجر والبيوت من أي اعتداء.

٢. تشكيل لجان لحماية الجامعات والمستشفيات والمؤسسات العامة من عمليات الحرق والتدمير.

٣. صادروا الأموال المسروقة بالقوة، وليتم إيداعها في المساجد والحسينيات تمهيداً لإعادتها إلى أصحابها الشرعيين.

٤. فليتجمع أبناء الشعب في المساجد والحسينيات والكنائس للعمل على التنسيق والتكاتف وتشكيل لجان الإدارية المحلية[١] المنبثقة من الشعب وليس من جهات الاحتلال الأجنبي.

**يا معشر العراقيين**.. لقد بدأت الصفحة الثانية من عمليات تخريب العراق بمحاولات إثارة الفتنة الطائفية، ولكن هذه الصفحة إنما تصطدم بالوحدة الوطنية الواثقة وخاصة بين أبناء السنة والشيعة. ومع ذلك يجب اتخاذ أعلى أشكال الحذر من هذه المؤامرات والتصدي لها.

وتذكروا أن الشيعة والسنة جميعاً إنما يؤمنون بإله واحد وهو الله جلت قدرته وبرسول واحد عليه الصلاة والسلام، وبقرآن واحد وبسنة نبوية شريفة تجمعنا على كلمة سواء. فاتحدوا وتماسكوا ودافعوا سوية عن العراق وعن ممتلكات وحياة أخوتنا المسيحيين سواء بسواء والحذر

---

**[١] بالرغم من أن هذا النداء لم ينتشر بالشكل الذي كنا نأمله، حيث تم طبع بضع مئات منه وتوزيعه على الجوامع والحسينيات والمحلات والأسواق، إلا أنه وبالتعاضد مع النداءات العديدة الأخرى التي صدرت بعده، قد أدى دوراً تعبوياً وتربوياً وإعلامياً طيباً، وإن معظم هذه التوصيات قد تحوّلت إلى واقع خلال الأيام القليلة التي تلت نشر النداء، وأصبح في كل جامع وحسينية وكنيسة لجنة خاصة للحماية ولجنة لإعادة المسروقات ولجنة للإغاثة وغيرها.**

الحذر من الفتن[1]. أما الحكام العرب فلا نريد منهم لا دواءً ولا غذاءً، فثروات العراق التي نهلوا منها جميعا تكفي شعبنا وأمتنا. إن أجهزة القمع ومصادرة الحريات قد فرّت من الساحة لحظة الحاجة إليها وتحاول الآن العودة عن طريق استعطاف قوات الغزو والاحتلال، فالانتهازيون والوصوليون لا يملكون أي مبدأ سوى التسلط والاستغلال.

عاش العراق.. عاشت الوحدة الوطنية.. عاشت الوحدة الإسلامية.. خالدة أبداً الأخوة العربية– الكردية – التركمانية.. إلى الأمام من أجل لجان الحماية الشعبية الذاتية تمهيدا لطرد المحتلين الغزاة.

**د.طاهر البكاء / أستاذ جامعي علاء الدين المدرس/ مفكر إسلامي**

**د.عبد اللطيف المياح[2]/ أستاذ جامعي د.وميض جمال عمر نظمي/ مفكر قومي**

---

**[1] لقد شهدت الأشهر التي تلت الحرب أروع أشكال الوحدة الوطنية والإسلامية ورفعت شعارات الوحدة والأخوة في أغلب وأهم المدن والمناطق الشيعية والسنية وتم قبر الفتنة قبل أن تستيقظ.**

**[2] لقد تعرض المرحوم د.عبد اللطيف المياح لعملية اغتيال بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٩ على يد مجهولين بعد مضي يوم واحد على اشتراكه في برنامج (المشهد العراقي) في قناة الجزيرة مع ضيفين آخرين هما أياد السامرائي(عن الحزب الإسلامي) ومزهر الدليمي(عن جمعية حقوق الإنسان) وتقديم عبد الحق صداح، وكان البرنامج يناقش أزمة الانتخابات لنقل السلطة إلى العراقيين، وإمكانية إجرائها أو تعذرها، حيث طالب المرجع الديني السيد**

**محمد الشواف/عضو رابطة العراق الموحد     د.ظافر العاني/ باحث أكاديمي**

وكان أقدم وأهم شخص قام بصياغة النداء هو د.وميض جمال، وهو مفكر قومي في منتصف الستين من العمر تقريبا ولم أسمع به سابقا ولم أعرفه إلا في ذلك اليوم -رغم شهرته- بسبب جو الاستبداد في عصر صدام، وقد وجدته رجلا حكيما هادئا مخلصا لوطنه متواضعا دمث الأخلاق، أما باقي الأشخاص الذين صدر النداء بأسمائهم فلم أعرف منهم غير الأخ ظافر العاني وهو أستاذ في كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد.

في مساء السبت سمعنا من الإذاعات الأجنبية أن مستشفى الكندي ومستشفى اليرموك قد نهبت من قبل الغوغاء وكذلك الجامعة المستنصرية والبنك المركزي العراقي والمتحف العراقي وقد أكدت إذاعة الـBBC إن سرقة المتحف في بغداد تعد من أفدح الخسائر التي تعرض لها شعب العراق، والمتحف العراقي وهو ثروة حضارية وتراثية لأعظم المتاحف في العالم، حيث تقدر قيمته بعشرات المليارات من الدولارات، وأن عدد القطع الأثرية المنهوبة تزيد عن

---

**علي السستاني بضرورة إجراء الانتخابات لإضفاء الشرعية والدستورية على الحكومة المنتخبة في حين تحفّظ البعض على ذلك بسبب الاضطراب الأمني والسياسي وتعذر توفير الإمكانيات والآليات المطلوبة لإجراء الانتخابات ضمن المدة المتاحة لنقل السلطة والتي حُدّدت بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣٠ حسب الاتفاق الذي أبرم بين سلطة الاحتلال ومجلس الحكم.**

٢٠٠ ألف قطعة، منها لوحة بانوراما تصور سجود ملك يهوذا مع ثلاثة آلاف يهودي من يهود السبي البابلي أمام ملك بابل نبوخذ نصر[١] ولُقى ورقم طينية وتحف أثرية تعود إلى ما قبل خمسة آلاف سنة. كما سرق متحف الآثار في الموصل أيضا وهو لا يقل أهمية عن متحف بغداد وفيه أكثر من ١٠٠ ألف قطعة أثرية تخص الإمبراطورية الآشورية التي حكمت العالم من نينوى قبل ثلاثة آلاف سنة. فما كان منا في صباح اليوم التالي الأحد ٤/١٣ أن هرعنا أنا ونسيبي د. محمد الأعظمي أستاذ الآثار في كلية الآداب/ جامعة بغداد مع صديق ثالث إلى المتحف العراقي للإطلاع على ما حصل في أعظم سرقة في تاريخ

---

**[١] من الطريف أن نذكر بعد مضي تلك المدة على كتابة هذه السطور، أن أحد شهود العيان قد روى لي حادثة سرقة تلك الجدارية المهمة التي تصور ذل وخضوع الأسرى اليهود للملك البابلي نبوخذنصر، غير أن أحد المختصين في الآثار قد أكدّ لي أن هذه الجارية الموجودة في المتحف العراقي جدارية غير أصلية (تقليد) وأن الجدارية الأصلية موجودة الآن في متحف اللوفر في باريس، ونصحني بحذف هذه الرواية أو الإشارة إلى موضوع الجدارية الأصلية للأمانة العلمية، غير أني كنت أكثر ميلاً لقبول رواية شاهد العيان رغم أنه كان غير مختص من قبول رواية المختص، فاضطررت إلى الإشارة لتلك الملاحظة في الطبعة المنقحة، غير أن قناة الجزيرة كانت قد استضافت مجموعة من الآثاريين بعد شهر من نشر الكتاب وهم يعلنون عن وصول تلك الجدارية الأصلية المسروقة من متحف بغداد إلى إسرائيل، وكان ذلك في شهر حزيران الماضي.**

العراق- وقد وصلنا بحدود الساعة العاشرة صباحاً ووجدنا بعض الموظفين والمتطوعين لحراسة المتحف بعد سرقته، ولم يفتحوا باب المتحف لنا إلا بعد أن تأكدوا أننا جئنا للدفاع عن المتحف ومعنا الأخ محمد الأعظمي- أستاذ الآثار- وقمنا بجولة في قاعات المتحف وأروقته، وليتنا لم نقم بتلك الجولة الحزينة، لقد كانت شديدة الألم على أنفسنا، أن نرى تراثنا وتاريخنا يسرق بهذا الشكل البربري الهمجي الإجرامي، ولقد كانت أعمال السلب والنهب في معظم الأماكن التي طالها النهب، وفي مقدمتها المتاحف والمصارف والمخازن واضحة التدبير والتخطيط في تسهيل تلك الأعمال ومساعدة هؤلاء الغوغاء لسرقة البلد وثروته وتاريخه ووثائقه ومكتباته، لم تكن هذه الأعمال عشوائية مطلقاً، وهناك شواهد كثيرة وشهود عيان على أن هذه الجرائم كانت مدبرة وكانت تحدث تحت أذن وعيون الغزاة وبتشجيعهم ومساعدتهم، فقد كان السرّاق محترفين وكان معهم معدات متخصصة للسلب والنهب، فقد وجدنا قطعاً حديدية كبيرة في إحدى قاعات المتحف تستخدم للتهديم والكسر والتدمير، وقد وجدنا بعض القاعات تم الدخول إليها من الجدران بعد إحداث فتحة كبيرة فيها وليس من الأبواب، وقد وجدنا أيضا ان الكثير من الحاويات الزجاجية الفارغة والتي تم إخلاء محتوياتها قبل الحرب قد دمرت عمدا دون سبب، كما أن الكثير من المباني والدوائر الخدمية والتوثيقية والمخازن

والجامعات والمكتبات قد أحرقت بالكامل دون أن يسرق منها شيء، وقد تجولت بنفسي وبسيارتي في معظم أنحاء بغداد في الأيام الثلاثة الأحد والاثنين والثلاثاء للوقوف على أعمال السلب والنهب والتدمير المتعمد لمفردات البلد ومرافقه العامة، فوجدت الأصابع الخفية واضحة بينه. فحينما تمرّ على المخازن الضخمة المختلفة الأنواع على جانبي الطريق السريع في الرصافة تجد النار تلتهمها دون وجود سرّاق أو عابثين قربها، كما أن المكتبة الوطنية ودار الكتب والوثائق في باب المعظم ومكتبة وزارة الأوقاف النادرة الثمينة في وسط بغداد قد احترقت بأكملها، وليس هناك الآن في زحمة الحرب والتدمير من يريد سرقة الكتب ونهبها، وإنما المطلوب تدميرها ليس إلا، وكذا الجامعة المستنصرية وكلية الآداب في الوزيرية وأما البنك المركزي فقد حدثني أحد الثقاة- وهو أبو مصطفى- أنه شاهد بأم عينه أن البنك المركزي قبل أن يسرق قد ضربت بابه المحصنة بالقاذفات دون جدوى، مما أدى بقوات الاحتلال أن يجهزوا السرّاق بقنابل خاصة لتدمير الباب، وبعد فتح الباب دخل عدد من الجنود الأمريكان فسرقوا كمية من الدولارات تصل إلى نصف مليون دولار تقريباً، ثم تركوا الباب مفتوحا لنهبه وإخلائه. والأمر نفسه حدث مع الجامعة التكنولوجية حيث دخلت قوات التحالف المشين حرم الجامعة وكسرت الباب الرئيسية بالدروع وأخذت تتجول داخل شوارع الجامعة ثم

تركتها للنهب والسلب، وكان ذلك يوم الأحد ٤/١٣. والأمر نفسه في مراكز الشرطة والمرور حيث سرق الغوغاء الوثائق والأوراق التي تخص السنويات(أي الوثائق والبطاقات التي تحدد ملكية السيارات) لكي يتسنى لهم عمل سنويات للسيارات التي تمت سرقتها لتصبح ملكا للسرّاق والمجرمين. وحدّثني شاهد عيان ثقة انه تمت سرقة المتحف العراقي بعد دخول الأمريكان بسيارة نقل إلى ساحة المتحف وفتح باب السور لكي يتسنى للسرّاق المحترفين سرقته، وقد رأيت مكتبة المتحف قد سرقت أيضا وهي تضم نوادر الكتب والمصادر والمراجع الأثرية.(١) إنه أمر دُبّر بليل وظلام كما يقال، وقد حدثني هذا الصديق

---

**(١) من المعروف أن العراق هو أقدم حضارة في التاريخ وأن حضارته وتراثه ومضمون التحف الآثارية والرقم المسمارية قد ترجم وكتب بجميع اللغات العالمية منذ مدة طويلة تزيد على القرن، لذا فإن بعض المحللين لا يعطون أهمية كبيرة لعملية نهب المتاحف، وأثراً فاعلاً في إثبات دور العراق الحضاري، ولا يعدو أثر هذه الجريمة -رغم بشاعتها-عن كونها عملية قرصنة وسرقة لتحف ثمينة من الزاوية المادية فحسب، وإن التركيز الإعلامي على ذلك هو من إيحاء الإعلام الغربي للتقليل من شأن الحضارة الإسلامية، والتي تبلورت الآن بشكل مجسّم في عقول ملايين المسلمين، وهي مهيأة للظهور في كل حين عندما يزال الغبش عنها، وهذا ما حصل حين سقط الطاغوت وحزبه وظهرت آثار الحضارة الإسلامية في القلوب التي تصدّت للعدوان، ولن يتمكن الخداع والتزييف الإعلامي من طمسها مهما**

عن بعض قادة القوات الأمريكية المتواجدين في فندق مريديان، إن احتلال بغداد وما جرى بعده من أعمال السلب والنهب كانت برغبة وتنسيق مع عملائهم وحلفائهم من الإسرائيليين والعرب والعراقيين المعارضين للنظام السابق فقد دخل بغداد مع قوات الغزو ٧٠٠ شخص من الموساد الإسرائيلي و٥٠٠ شخص من أنصار حزب الكتائب الموالي لإسرائيل وغيرهم مع عدد من الجواسيس العراقيين، والعهدة في هذا الخبر على الناقل وأظنه كان دقيقا في نقله عن الأمريكان. وقد رأيت أمس الاثنين ٤/١٤ وأنا أمّر من أمام فندق مريديان[1] والقوات

---

**حاول الخصوم، ولعل عدم التركيز في البحث عن الآثار وإقامة المتاحف لها يبين لنا إحدى النقاط التي تميّز الحضارة الإسلامية عن غيرها، وإنهم أقاموا حضارتهم وسجّلوا تاريخهم للبشرية دون الالتفات إلى الوراء مستنيرين بقوله تعالى:**

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها ﴾ **(سورة محمد/ ١٠) ولذلك سجّلوا تاريخ الأمم والملوك والرسل من خلال نصوص القرآن والسنة. ومع ذلك فإن علم الآثار اليوم ومفرداته من الرقم والتحف والآثار هو أحد روافد المعرفة التاريخية وسجل الأمم والشعوب المستخرج من باطن الأرض شأن غيره من الكنوز.**

[1] **لقد كان التواجد الأمريكي لاسيما قيادة قوات التحالف في هذا الفندق خلال شهر نيسان ومايس عقب انتهاء الحرب، غير أن الأمر قد تغير بعد أن استتب الأمن واختفت الفوضى العارمة التي صحبت انهيار النظام وسقوطه،**

الأمريكية التي تقف أمام الفندق، أن أكثر من مائة شخص من الغوغاء قد جاءوا من جهة الفندق وتحديداً من وسط تمركز القوات الأمريكية وهم يهجمون على الدائرة الحكومية المقابلة للفندق والمحاذية لساحة الفردوس المطلة على الفندق ومعهم عدد من المصورين والصحفيين، وقد كسروا الأبواب ودخلوا كالأوباش ونهبوها والكاميرات تصورهم في محاولة لإيهام الرأي العام العالمي بأن هذه هي أخلاق الشعب العراقي، لتشويه صورته والانتقام من تصديه البطولي، وتشويه صورة العرب والمسلمين في العالم، ولكن حبل الكذب قصير، وسيرى الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. كما رأيت بنفسي كيف أن الأمريكان كانوا يحرسون وزارة النفط في بغداد ومؤسساتها، وكذلك كنيسة في الكرادة، ولكنهم تركوا السفارة الألمانية عرضة للنهب وكذا الروسية والفرنسية، إنها مفارقات وعجائب وصور بربرية لأعظم حضارة تدّعيها أمريكا. إنهم يدعون تحرير شعب العراق ولعابهم يسيل على نفطه، حيث إن أهم ما قاموا به في الجنوب والشمال هو الاستيلاء على ٦٠٠ بئر بين البصرة والناصرية وهي حقول الرميلة ومجنون و٤٠٠ بئر في كركوك والموصل، أما البلد وبنيته التحتية ونظامه ودولته

---

**فخفف الأمريكان من تواجدهم في الفندق ومن القوات التي كانت تحرسه لا سيما بعد اتخاذ القصر الجمهوري مقراً للحكم المدني وتشكيل مجلس الحكم الانتقالي العراقي في ١٣ تموز ٢٠٠٣م.**

فلتذهب إلى الجحيم، هؤلاء هم أصحاب الحضارة الحالية ودعاة العولمة والمدافعون عن حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية. هذه هي الصورة القريبة من الحقيقة المرّة التي عاشها العراق بعد الغزو البربري وأحداث السلب والنهب المتعمدة والمنظمة، إننا لا ندعي أن العراقيين كلهم صالحون وأولياء وليس فيهم سرّاق أو مجرمون، لكن السلب والنهب في عفويته وحجمه الطبيعي لا يدمّر بلدا كبيرا كالعراق، كما إن السيطرة عليه أمر سهل، ولكن التخريب والتدمير المتعمد والحرق المنظم وتعبيد الطرق للسرّاق والغوغاء هو الذي حدث بالفعل كما رأينا شهود العيان يتحدثون عن تلك الجرائم، ورأينا بأعيننا أن معظم السرقات كانت منظمة وليست عشوائية، وان السرّاق كانوا يعرفون ما يسرقون وما يدعون، كما أنهم يعرفون ما يحرقون من كتب وأوراق ووثائق ومخازن ودوائر، وهم مجهزون بعدد ومواد حارقة خاصة للإسراع بعملية الحرق والتدمير فضلا عن النهب والسرقة، ولقد كان الموقف الأمريكي الذي آثر أن يترك البلد بدون حكومة أو نظام بحجة أن العراقيين هم الذين يجب أن يختاروا حكومتهم ونظامهم هو حق أريد به باطل(١)، لأن ذلك هو الذي فسح

---

**(١) والأنكى من كل ذلك إن عدم فرض حظر التجول بعد سقوط بغداد مباشرة وحل الجيش العراقي بشكل فوري هو الذي مهد للسراق وعصابات السلب والنهب أن تصول وتجول في المعسكرات والوزارات والدوائر الحكومية**

المجـال للسـلب والنهـب وسـيدمر مـا تبقـى مـن البنيـة التحتيـة والأمـن والسلام في البلد إذا لم يتم السيطرة علـى الأمور الخدميـة والأمنيـة من قبل جهة مركزية وهم يعلمون تلك البديهيـة ولكنهم تعمدوا إهمالهـا. إن تـدمير البنيـة التحتيـة والتوثيقيـة والحضـارية للعـراق قـد جعلـت هـذه الحرب هـي خط الشروع بين عهدين بين عراق الأمس وبين عراق اليوم الذي يراد لـه أن يصنع كما يريده الأعداء، وإن هذه الحـرب قد ألغت وأنهت أو تحاول أن تلغي كل أثر لما قبلها، وكأن البلد قد بدأ الآن وبخط شروع جديد لبناء دولة جديدة من الصفر، فلا حقوق ولا وثـائق ولا ثوابت ولا دلائل تاريخية وحضارية لما كان وما سيكون ولا إثبـات لأي حـق أو عمـل أو بنـاء أو هـدم لمرحلـة مـا قبـل الحـرب، إنهـا خطـة إبليس اللعين الذي مس وتربع فـي عقول هؤلاء المحتلين مع أعوانهم من الصهاينة والمتصهينين في أمريكا وإنكلترا وبقيـة الدول التـي سمح لها ضميرها المشاركة في غدر العراق وتدمير حضارته.

ولقـد قـاوم العراقيـون الشـرفاء تلـك الأعمـال المشـينة والجـرائم التـي أحاطـت بالبلـد كالطوفـان، وأصـدر علمـاء السـنة والشـيعة الفتـاوى بتحريمهـا، وتـم عمـل لجـان حمايـة مسلحة لردعها وإعـادة المسروقات

---

**والمؤسسات الكبيرة لتسرق وتخرب وتحرق وتتحرك كما يحلو لها وبمساندة ومساعدة من قوات الاحتلال والجواسيس الذين ملؤا البلد حين ذاك.**

والأموال العامة إلى الجوامع والحسينيات، وقام الشباب المخلص لوطنه ودينه بحماية ما تبقى من الموجودات في المواقع الحكومية[1].

وفي المتحف العراقي كان أحد المتطوعين يحمي المتحف بعصا، وطلب أن نوفر له سلاحا وأفرادا، فقلت له لا أجد لكم سلاحاً، فقال: إذا استطعت أن توصلني إلى منزلي فإني أستطيع أن أجلب سلاحاً خفيفاً (بندقية)، وكانت المواصلات صعبة جدا في هذا الوقت العصيب، فأخذته إلى ساحة بيروت (شارع فلسطين) وجلبنا البندقية وعدنا إلى المتحف، وقال –وكان اسمه محمد يعمل تاجراً في السوق العربي في الشورجة – لقد طردت ثلاث لوريات من السرّاق بعصاي هذه، فقلت له بارك الله في أمثالك من المخلصين للبلد، وقبل أن نغادر المتحف جاءت مجموعة من الصحفيين البريطانيين إلى المتحف وتحدثنا معهم ووصفنا لهم كيف أن سرقة المتحف والبنك المركزي والجامعات كانت برعاية وموافقة القوات المحتلة، وكيف أنهم وفروا حماية لوزارة النفط ولم يوفروا حماية للمتحف وغيره من المواقع المهمة في العراق،

---

**[1] لقد وجدت هذه اللجان الشعبية والمسلحة في كل المدن العراقية التي حدث فيها سلب ونهب، وكان موقع هذه اللجان في الجوامع والمساجد والحسينيات خلال الأسبوع الأول الذي تلى سقوط بغداد بعد النداءات العديدة التي وجهها العلماء والمفكرين وقادة الأحزاب والتيارات الوطنية في البلد، وتلك هي من الصور المضيئة التي أضاءت ظلمة الفتنة والاضطراب الأمني الذي أعقب الاحتلال مباشرة.**

فتأسف ذلك الصحفي البريطاني نيابة عن حكومته التي لطخت نفسها بهذه الجرائم ولم تراعِ القانون الدولي والشرعية الدولية، وودعنا الجميع ورحلنا عن المتحف ثم عرّجنا على فندق فلسطين مريديان حيث كانت المدرعات الأمريكية تحيط بفنائه الأمامي، وذلك للقيام بإيصال صوتنا والنداء الذي حررناه في بيت د. وميض جمال إلى الصحفيين وإلى الفضائيات والأجهزة الإعلامية المتواجدة في الفندق، وقد قام الأخ د.ظافر بتلك المهمة، فأوصلته إلى هذا المكان الكريه على قلبي لوجود قادة التحالف فيه.. وقفلت راجعاً إلى بيتي بعد الاشتراك في مظاهرة عراقية أمام الفندق.. ثم استأنفت تجوالي في بغداد العريقة التي دمرها مغول العصر بمباركة وتسهيل العرب والمنافقين ممن وضعوا أيديهم بأيدي تجار الحروب وقتلة الهنود الحمر سكان البلد الأصليين لكي يضمنوا السيطرة على أمريكا ثم على العالم بعد حين. فكانت جولات الاثنين والثلاثاء والأربعاء في الأسبوع الأول بعد السقوط لا تقل مأساة وفجاعة عما رأيت خلال أسابيع الحرب الثلاثة أو أيام السلب والنهب والتدمير الأولى من هول الموت والقتل والحرق والتدمير والدجل وتشويه الحقيقة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كان نهب مستشفى الكندي في ساحة النهضة ومستشفى البلدي ومستشفى حماد شهاب في بداية الأسبوع الرابع للحرب. ولقد تم حرق الدوائر المهمة في الدولة كمنشآت الجيش ومراكز الشرطة والمرور

في بغداد والوزارات وعشرات البنايات الحكومية المهمة بعد نهبها كما ذكرنا[١]. وفي يوم الاثنين ١٤/ ٤ شاهدت القوات الأمريكية تحمي إحدى الكنائس الكبيرة قرب ساحة كهرمانة في الكرادة في حين كانت المتاحف والمكتبات والوزارات والجوامع والدوائر العامة الرئيسية بدون حماية حتى نهاية الأسبوع، حيث بدأت قوات التحالف تنتشر في بغداد بعد الجمعة ٤/١٨ وما بعدها من الأسبوع الخامس.

إن أهم الفئات المتوقعة التي قامت بالسلب والنهب كما يرى شهود العيان والمحللون فهي:

١- الغوغاء والسرّاق والمجرمون من العراقيين والعرب وقوات التحالف الأمريكي البريطاني وغيرهم بقصد السرقة ودوافع السلب والقرصنة.

---

**[١] لقد أحرقت خلال الأسبوعين الأخيرين لشهر نيسان التي أعقبت يوم السقوط أكثر من سبعين بناية كبيرة وعمارة ضخمة في بغداد كوزارات التربية والتعليم العالي والزراعة والري والداخلية والصناعة والتصنيع والتخطيط وغيرها وبنايات الجنسية والمرور واللجنة الأولمبية والأسواق المركزية والمكتبات الحكومية والمخازن والمصارف وغيرها كثير. ولقد بقيت شواهد الحرائق الضخمة والتدمير الوحشي معلماً بارزاً في كل أنحاء بغداد المحتلة خلال الأشهر التسعة التي تلت السقوط وهي تشكو إلى الله ما فعل أحفاد هولاكو وابن العلقمي وأبي رغال في بغداد ثانية..**

٢- قسم من المتضررين والحاقدين على نظام صدام والحزب الحاكم والمبعدين عن مراكز القوة والسلطة خلال حكم حزب البعث بقصد الانتقام والقصاص من الخصوم.

٣- جماعات من السياسيين الموالين لإيران والذين يرون إنهم بحاجة إلى أموال لتمويل عملهم السياسي المقبل، وقد قام بعض هؤلاء بنقل الأموال والتحف التي تم سرقتها ونهبها إلى إيران لغرض بيعها وتحويلها إلى مال ونقد كما سمعت من بعض الرواة والله أعلم.

٤- قسم من البعثيين الذين يتوقعون أن يكون لهم دور مهم في العمل السري المقبل وبناء الحزب من جديد، وربما يكون هؤلاء قد استغلوا مواقعهم السابقة في السلطة والأسرار التي كانت تحت أيديهم لكي يصلوا إلى كثير من الأموال العامة التي لا يمكن لغيرهم أن يصلوا إليها والله أعلم.

٥- عناصر عميلة ومخربة موالية لإسرائيل وقوات الاحتلال، يعملون بإمرتهم للتخريب والتدمير المتعمد ولإشاعة الفوضى وحرق الوثائق والكتب والتراث العراقي لتحقيق أهداف سياسية أمريكية وصهيونية لتوجيه مستقبل العراق لما يخدم مصالحهم وخططهم، وهذه المهمات التخريبية ذات طبع مخابراتي تجسسي مبرمج ومخطط له بعناية ودقة من قبل الجهات ذات العلاقة بهذه المؤامرة.

٦- عناصر عميلة لإطراف أجنبية عديدة، لتحقيق أهداف محددة داخل العراق، أو البحث عن أسرار معينة أخرى، وهذه أيضاً لا تخلو من تخطيط وبرمجة من قبل أجهزة مخابرات متخصصة تابعة لتلك الأطراف[١].

---

(١) **لقد أثبتت الأيام والأشهر التي تلت الحرب مدى دقة وصدق انطباق هذه النقاط الستة على الواقع في كشف الفئات التي كانت وراء أعمال السلب والنهب والحرق والتخريب الذي ختم المحتلون بها تلك الحرب اللاشرعية.**

# مصير صدام بعد سقوط نظامه

اختفى صدام نهائياً يوم الجمعة ١١/ ٤ وهناك عدة افتراضات حول مصيره، فمن الممكن أن يكون قد قتل أو جرح أثناء القصف العنيف في الأعظمية أو المنصور أو في أنفاق القصر الجمهوري السرية، ومن الممكن أن تكون قوات التحالف قامت بتحديد مكانه وقتله وانتشاله دون أن تكشف هذه العملية، ولكي تحكم الطبخة الإعلامية بعد أن انفردت بالإعلام حول نهاية الحرب ومنعت الإعلام المحايد من متابعة الأحداث بعد يوم الثلاثاء ٨/ ٤، لكي تدفن سره وأسرار الحرب وأسرار الحصار وأسرار حرب الكويت وحرب إيران التي كانت أمريكا طرفا رئيسيا فيها ومحرّضا عليها[٢]، ومن الممكن أيضا وهو

---

**[٢] لقد أثبتت المرحلة التي تلت الحرب والرسائل الصوتية التي أرسلها صدام وقيادته لأحد أجنحة المقاومة خطأ هذا الاستنتاج. وربما يكشف اعتقال صدام في ٢٠٠٣/١٢/١٣ ثم اعتباره أسير حرب بعد شهر من اعتقاله وتمتعه بالحصانة والتعامل معه باحترام وخصوصية، ومنع أي جهة عراقية أو دولية من التدخل في مصيره أو محاكمته واحتفاظ الولايات المتحدة بهذا الحق لنفسها، كل ذلك قد يوحي بإمكانية أمريكا لاستخدامه كورقة سياسية (ورقة ضغط) في المستقبل فضلاً عن منع خصوم أمريكا من الاستفادة من الأسرار التي يحملها صدام في أسره لاسيما دور أمريكا بالتعاون معه في حرب إيران وتزويده بالأسلحة المحظورة وغير المحظورة خلال حروبه ومنذ أن استلم**

الأقل احتمالا أن يكون صدام قد اختفى في مكان سري كان قد أعده سلفا إذا ما اضطر إليه، وسيكشف المستقبل القريب والبعيد عن ذلك، وربما يبقى مصير صدام لغزاً محيراًًٌ أيضاً كما بقي مصير هتلر لغزا محيرا منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن، وأن المستفيد من بقاء اللغزين دون كشف النقاب عنها في الحالتين هي أمريكا والصهيونية العالمية، بسبب التداعيات الخطيرة والجسيمة التي حدثت بعد هتلر، والتداعيات الأكبر ضخامة المتوقعة بعد هزيمة صدام واختفائه، فان عصر ما بعد صدام مرسوم له أن يكون عصر أمركة العالم وإرهابه بالقوة الغاشمة الأمريكية، وزوال أي خطر محتمل على الأمن الإسرائيلي، وتهميش دور الأمم المتحدة أو إلغائها، وفتح الباب

---

**السلطة بدعم أمريكي كما هو معلوم، والأشهر القادمة ستكشف ما في جعبة الإدارة الأمريكية من خفايا، وكيف سيلعب الرئيس الأمريكي بوش بهذه الورقة لاسيما وهو يواجه معترك التنافس على مقعد الرئاسة في الانتخابات الأمريكية القادمة في داخل أمريكا، ويواجه معترك نقل السلطة إلى العراقيين وإعمار العراق، ودراما توزيع حصص الكعكة العراقية للدول الحليفة والصديقة لأمريكا بحيث يبقى لأمريكا حصة الأسد في النفط العراقي والإعمار، وبرنامج النفوذ الأمريكي في العراق بشكل قواعد عسكرية أمريكية وحكومة عراقية تدور في فلك السياسة الأمريكية والمصالح الإستراتيجية التي يخطط لها الأمريكان في المرحلة المقبلة.**

على مصراعيه للعولمة والتأسيس العملي للنظام العالمي الجديد. الذي يقوده القطب الأوحد في العالم ممثلا بالولايات المتحدة الأمريكية[1].

حدثني أحد شهود العيان الثقاة أنه كان في ساحة الفردوس مقابل فندق فلسطين مريديان يوم سقوط نظام صدام الأربعاء ٩/٤، حينما تم إسقاط تمثال صدام في وسط الساحة ظهر ذلك اليوم بسحبه من رقبته بحبل بواسطة مدرعة أمريكية ثم قيام الجموع الغاضبة بتكسيره إلى قطع عديدة، وقد حاول بعض هؤلاء إهانة صدام من خلال ركل تمثاله بالقدم أو المشي عليه، وقد حاول الإعلام الأمريكي أن يجعل من ذلك المشهد الدرامي ومن سقوط التمثال وتصوير ذلك الحدث وبثه ثم تكرار عرضه في الفضائيات رمزاً معنوياً لسقوط نظام صدام، وتدمير ما تبقى من روح التحدي والمقاومة والروح المعنوية والأمل المتضائل لأعوان النظام ومؤيدي الرئيس العراقي، وإن يصدموهم برسالة

---

**[1] لقد كشفت تداعيات المقاومة العراقية المتعاظمة منذ شهر حزيران حتى ديسمبر موقع صدام ومصيره كرجل وقائد سياسي وميداني مختفي اختفاء الإبرة في كمية كبيرة من القش كما قال رامسفيلد في تصريح له في ٢٠٠٣/١١/٢٧ وأصبح أمر صدام ومصيره أكثر وضوحاً من هتلر ومصيره بعد الحرب العالمية الثانية. وأن اعتقاله بعد أسبوعين من تاريخ تصريح رامسفيلد يشم منه رائحة الترتيب المسبق لعمل سيناريو الاعتقال، كما جاء في الفيلم الأمريكي وقصة اعتقال صدام حسب الرواية الأمريكية، التي أثارت كثير من التساؤلات عن تاريخ وشكل الاعتقال (انظر فصل اعتقال صدام).**

مفتوحة حادة وواضحة المعنى، أن لا أمل لكم بعودة صدام ونظامه إلى الحياة، وإسدال الستار على مسرح العهد الصدامي وإلى الأبد، وقد أستلم العرب الرسالة فوراً ثم تبعهم العراقيون تدريجياً يوماً بعد يوم. لكني في هذه الرواية لم أكن أقصد من عرض تلك الصورة التراجيدية المفاجئة التي مزقت قلوب الكثير من العراقيين بغض النظر عن موقفهم من صدام ونظامه، فهم قد عاشوا عهد صدام وألفوه بكل سلبياته وإيجابياته، ولكنهم يقفون اليوم على أعتاب غد مجهول الهوية ولم يتضح منه سوى وجه الاحتلال والتبعية وفقدان السيادة والاستقلال، أما الوجوه الأخرى فستبقى من الأسرار التي ستكشف للناس تباعاً، يتجرعون ويلاتها الواحدة تلو الأخرى، إنه الخوف من المجهول ومن الفوضى وانعدام الأمن والنظام واستيقاظ الفتن والصراعات وما أكثرها في العراق، وما ينتظره من محن واختبارات في حياة الحرية التي لم يألفها منذ عقود عديدة، إذا ما أحسنا الظن بالحرية والتحرير الذي وعد به الأمريكان. بقي أن نقول أننا قصدنا باستعراض هذه الحادثة المروية من قبل ذلك الشاهد في تلك الساعة، إنه شاهد فيما شاهد أن جندياً أمريكيا تقدم إلى التمثال المتهشم وذهب إلى رأسه وقبّله وهو يقول: إن صدام حسين هو الوحيد الذي تحدى أمريكا وقال لها (كلا) في العالم كله[١]. ترى ماذا تعبر تلك الصورة،

---

**[١] هناك مقولة يرددها العراقيون للتندر والسخرية من أمريكا بعد أن أحاطت**

هل هـي تشير إلـى طغيـان أمريكـا وغطرسـتها ورعـب العـالم منهـا، أم إنها تدل على شجاعة هذا الرجل الـذي قتلـه عنـاده واسـتبداده حتـى مع مـن يريـد إنقـاذه، أم هـي رسـالة إلـى الشـعب الـذي أنجـب هـذا التحـدي الفريد وقال لا لأمريكا[2].

لقـد أجـرى لسـان الحـال العراقـي المجـروح والمحـبط مـن أثـر الحـرب المـدمرة لقـاءً اعتباريـاً مـع القائـد المنهـزم صـدام حسـين، وكـان الحـوار التـالي:-

لسان الحال: ما هو السبب الرئيسي للهزيمة؟

صـدام: بطانـة السوء، والحـزب وقيادة الجيش والحـرس فـإنهم لـم يقـاتلوا في بغداد بعد ضرب المطار وقنوات الإعلام بوحشية.

لسان الحال: لماذا اخترت الحكم الدكتاتوري لحكم العراق؟

---

**حياتهم الأزمات الخانقة وفقدان الأمن والاستقرار بعد مضي أشـــهر طويلـــة ومريرة بعد الحرب فيقولون: لقد قال صدام: لا لأمريكا.. فجاءت أمريكا بعده لتقول: لا للأمن لا للوقود لا للكهرباء لا للسيادة نعم لحرية وأمن الاحتلال.**

**[2] لقد عبرت المقاومة العراقية خلال الأشهر الماضية عن صدق تلك الرؤية والصورة التي حاول ذلك الجندي الأمريكي أن يتنبأ بها وهو يقبل رأس تمثال صدام في لحظة سقوطه، وتلك الرؤية التي سبقت الزمن تقـــول للعـــالم: ان الشعب الذي أنجب صدام بعناده وتحديه للغطرسة الأمريكية، سيكون صـــعب الانقياد والمراس، وسيذيق بعناده قوات التحالف ما لـــم تكـــن تحســـب لـــه حسابه.**

صدام: ليس من السهل أن أحكم شعباً متمرداً مثل شعب العراق، فهم الذين قتلوا الملك وعائلته ووزراءه وسحلوهم في شوارع بغداد، ثم قتلوا عبد الكريم قاسم وأعوانه بدون محاكمة وبطريقة بشعة، وهو الذي أنقذهم من الحكم الملكي الموالي للإنكليز، وهم قديماً الذين قتلوا عمر وعثمان وعلياً والحسين وزيداً والأمين وكثيراً من قادتهم في ساعات التمرد والعصيان، فكان لابد من الحكم المطلق الفردي لفرض السيطرة وقيادة هذه الجموع والتيارات المتنوعة والمشارب المختلفة.

لسان الحال: لماذا قررت أمريكا والصهيونية إسقاطك؟

صدام: رغم أني شأن العديد من الحكام جئت إلى الحكم بقطار أمريكي وعدم معارضة بريطانية وصهيونية، إلا أنني بعد غدر أمريكا وإسرائيل في حرب الكويت، قررت التمرد عليهم ومحاربة اليهود ودعم الانتفاضة الفلسطينية، وجعلت قضية القدس وفلسطين محور عملي السياسي، وأنشأت جيش القدس وقمت بإسناد وتعويض الاستشهاديين والمجاهدين في فلسطين، وأظن أن القدس كانت السبب الرئيس في سقوطي كما كانت سبب مقتل الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٩٧٥م.

لسان الحال: إذا كنت على قيد الحياة، بم تتهم الأمريكان بشأن العراق؟

صدام: أتهمهم بالآتي:-

١. إن حربهم ليست شرعية ولا قانونية وسيدفعون ثمن ذلك غالياً في المستقبل ليس للعراق فحسب وإنما للعالم أجمع.

٢. إنهم يعرفون أني لا أملك سلاح تدمير شامل لأنهم هم الذين جهزوني به لأضرب الإيرانيين والأكراد، وهم الذين دمروه بالكامل على يد لجان التفتيش، الذين كانوا جواسيس لهم إلا قلة منهم لا يزيدون على ٢٠% وقد استقال بعضهم لكي يفضحوا إستراتيجية التجسس، وستثبت الأيام أنهم استخدموا أسلحة تدمير شامل ومنها السلاح النووي لإسقاط العراق واغتيال دولته بشكل غير نظيف ولا شريف ولا يليق بأخلاق الغرب والدول العظمى.

٣. إنهم سرقوا حضارة العراق وتراثه ومتاحفه ودمّروا دولتي وأحرقوها انتقاماً من الشعب الذي واجههم ولم يسمح لهم باحتلال الأرض، وكانوا صفاً واحداً طوال أسبوعين من القتال البطولي حتى جاءت ساعة الغدر والخيانة والترويع لاحتلال عروس المدن بغداد.

٤. إنهم كذبوا على العالم وتحولوا ـ كما قلت مراراً- من محررين ومدافعين عن الشرعية والحرية والتعددية إلى غزاة محتلين ولصوص وقراصنة نفط في نظامهم الدولي الجديد وعولمتهم بغية الهيمنة على العالم.

لسان الحال: هل ستعود لحكم العراق من جديد؟

صدام: لا.. لن أعود، فقد انتهى دوري وقدري في حكم العراق، ولكن بعد ثلاث سنين في المدى القصير وثلاثين سنة في المدى الطويل، سيتمنى العراقيون عودتي ويدركون فوائد حكمي رغم سيئاته، ولكن حينها لا ينفع الندم[١]، فسيكون العراق العظيم قد عاد من حيث بدأ جنة الطامعين والمستعمرين، ويكون الفساد قد استشرى حتى يفيض على الجيران الأوفياء، ويكون النفوذ الأمريكي الصهيوني قد جاوز المعقول، وتكون الهوية قد ضاعت إلا ما شاء الله.

لسان الحال: بماذا تنصح العراقيين؟

---

**[١] لم تمضِ أشهر معدودة على سقوط صدام حتى بدأت الأصوات تتعالى وهي تقارن بين عهد السيادة والاستبداد وعهد الاحتلال والفوضى وفقدان الأمن والنظام، وبدأ عدد العراقيين (سنة وشيعة وعرباً وأكراداً) المفضّلين لعهد صدام المستقر رغم استبداده يتزايد بشكل مطّرد وغير متوقع، بعد أن صدموا بالعنف والفوضى والبطالة ورياح الفتن العاتية والأزمات الخانقة في المرور والوقود والكهرباء والخدمات العامة فضلاً عن الفوضى الأمنية والسياسية والاقتصادية التي ليس لها مثيل في تاريخ العراق، لاسيما بعد أعمال العنف التي جرت في مقر الأمم المتحدة والصليب الأحمر وفنادق بغداد الكبرى وفي النجف وأربيل وكربلاء فضلاً عن أعمال التسليب (للأفراد والسيارات) والقتل والجريمة المنظمة وانتشار الفساد والمخدرات والمسكرات والسيديات الإباحية في الأوساط الشعبية، التي لم يكن يسمع بها العراقيون في عهد صدام، رغم الاستبداد والطغيان والحصار الذي عاشه الشعب المحروم.**

صدام: أنصح أشرارهم أن تمسك الهراوة الأمريكية وتضرب بها أشرار العرب والعجم. وأنصح شرفاءهم أن لا يثقوا بأهل النفاق وأصحاب الشهوات والمصالح، كما وثقت بهم فهويت في مكان سحيق، وأن يعتمدوا أهل الخبرة والأمانة لإعادة بناء عراقنا الحبيب. كما أوصانا رب العزة بأن خير من استأجرت القوي الأمين. فلم أجد في بطانتي وحزبي وأعواني في ساعة العسرة ذلك القوي الأمين، فضاع العراق وضاع حلمي الجميل وسط صخب بني صهيون ومخططهم الإجرامي الكبير.

لسان الحال: ماذا تتمنى لو فرضنا جدلاً أنك عدت لحكم العراق؟

صدام: ليتني كنت أعلم الغيب وما سيحصل لي بعد ٢٠/ ٣، لتبت إلى الله توبة نصوحة من الظلم والطغيان والاستعباد الذي مارسته على شعبي، وأن أحكم بالعدل الذي هو أساس الملك حقاً، وأن أسعى للصلح مع الله والمؤمنين والبراءة من الكفار والمنافقين وبطانة السوء التي أهلكتني وقضت على ملكي، وكأنها داء الأرضة والسوس الذي يدمّر كل شيء بخفاء ومع مرور السنين. وحينها كنت سأموت مرتاحاً، وتكون هزيمتي نصراً في ميزان الله والصالحين، وأكون قد خدمت أمتي بحق، ونصحت لأئمة المسلمين من الحكام والأمراء ولعامتهم من المخلصين، وكنت قد رسمت طريق النجاة لبلدي وشعبي ولو بعد حين، ولكن حب الرئاسة والسلطة والجاه قد منعني حتى آخر لحظة من

الوقوف في صف الإيمان والثقة بصالح المؤمنين، فجرّعني أعواني مرّ الهزيمة والخسارة في الدنيا والآخرة وخسرت سلطاني وسمعتي وورثت الندامة وشماتة الأعداء وضياع العراق من يدي وإلى الأبد[١].

---

[١] **لقد رأى بعض النقاد في هذا الحوار الاعتباري أنه يعبر عن حالة من الانفعال الوجداني والروحي لإبداع لوحة فنية وقطعة أدبية هي القلب النابض لمادة الكتاب ورسالته الموجهة للشعب العراقي عبر استنطاق لسان حاله الحزين المحبط والذي حاول أن يستمرئ الهزيمة بهذا التحاور الرمزي الصوفي. أما البعض الآخر فعلى العكس من الرأي الأول اعتبره حوار تبريري يدافع عن صدام ودكتاتوريته التي كانت السبب الرئيس للهزيمة والاحتلال. ورأي ثالث لا يخفي نقده الصريح للكتاب وهذا الحوار بالذات ويقول أن هذا الحوار يحمل في باطنه تعدد الخطابات شأن الكتاب كله، وكأنه كتب بعدة أقلام وليس بقلم واحد، فهو يمدح ويذم صدام كما يذم ويمدح قوات التحالف، لاسيما في نجاحها في احتلال بغداد وبشكل خاطف واستخدام أسلحة الدمار الشامل، وأنا بدوري لا أستغرب هذه الآراء وأؤيدها رغم تعارضها وتقاطعها أحياناً، ذلك لأن مادة الكتاب كانت قد كتبت اعتماداً على شهادات شهود عيان، وفي حالة خاصة كانت أحداث السقوط المزري قد هزت وجداني شأن باقي أخوتي العراقيين، وكان القلم يتحرك في يدي أحياناً بشكل تلقائي دون السيطرة على الأفكار الغزيرة التي كانت تنساب أمامي وأنا غارق في توهج نفسي وروحي من طراز فريد قل نظيره، بسبب ما تعرّض له بلدي من مآسي وأهوال. والجدير بالذكر أن موضوع حوار صدام**

# الجندي الأمريكي في بغداد

لم ير المواطن العراقي الجندي الأمريكي من قبل ولا يود أن يراه على أرض العرب والمسلمين فضلاً عن العراق، لان ذلك يذكّره بعهود الاستعمار والتبعية حينما جاء الجنود الإنكليز والفرنسيون إلى أرض العرب لاحتلالها مع مطلع القرن الماضي، إثر الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة العثمانية التي كانت تجمع المسلمين في دولة واحدة رغم السلبيات التي رافقتها والتخلف الإداري الذي صبغ الحقبة الأخيرة من عهدها الطويل الذي دام خمسة قرون.

وحينما انتشرت القوات الأمريكية في بغداد بعد يوم الجمعة ١١/ ٤ بدروعهم ودباباتهم، كان ذلك منظرا مؤلما لنا، حيث أصبحت صورة الاحتلال واقعاً ولم تعد خيالا، ولم يترجل الأمريكان إلا بعد أن انتهت أعمال السلب والنهب (والفرهود) التي دامت أسبوعا كاملا تحت أنظارهم وربما بتشجيعهم، وبعد أن اتخذوا مواقع رئيسية حول بغداد في أبي غريب والمطار ومعسكر الرشيد وملعب الشعب الدولي والنهروان والراشدية والجزيرة السياحية والتاجي وكلية بغداد ومعظم القصور الرئاسية والقصر الجمهوري والمواقع الحكومية الحصينة

---

**الاعتباري كان قد نشر في عدة مجلات وصحف عراقية كمجلة شناشيل وجريدة اليوم الآخر.**

الأخرى، ولقد استفاد الأمريكان من هذه المواقع الحصينة الكثيرة التي بناها صدام لتحصين نظامه فأصبحت - للأسف- مواقع لتحصين المحتلين، مما أعاق العمليات الفدائية التي كان من المتوقع أن يقوم بها العراقيون في بغداد فيما عدا نشاطات محدودة ومتفرقة قام بها بعض المتحمسين في أحياء بغداد وشوارعها خلال مرور الأمريكان فيها.

لقد كنت أتوقع صورة الجندي الأمريكي أن تكون أقرب إلى صورة المستعمر الهمجي الذي يقتل دون سبب، ولكني فوجئت بجنود شباب في عمر العشرينات مدججين بسلاح، يبدو كأنه ليس جزءً من تكوينهم، فهم إلى الترف والميوعة أقرب من الجندية والعسكرية والقتل والترهيب، كما أنني شاهدت وكأنهم خجلون من دور الإرهابي المرتزق الذي وضعتهم حكومتهم الباغية فيه. ورغم أنني لم أكن أرغب في الاقتراب منهم أو أتحدث إليهم لأنهم جاءوا لاحتلال بلدي بحجج واهية ومنطق غير سليم وبدون أي شرعية دولية أو أخلاقية، إلا أنني شاهدت منظرين في بغداد تدللان على خجل هؤلاء الجنود وشعورهم بأنهم لا يمثلون دورهم الذي كانوا يتمنونه كجزء من شعب في مقدمة شعوب الأرض حضارةً وتقدماً، شعب يقدس الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان[١]، فكيف به ينسف كل هذه المثل

**[١] لقد اعترض البعض على هذا الأسلوب في مدح الشعب الأمريكي وذكر المواقف الإنسانية لجنود العدو، غير أني أرى أن ذكر الحقيقة كما حدثت هو**

ويدّمر تلك المبادئ بوسواس من الشيطان والأطماع وتوجيه من الصهيونية في أمريكا وإسرائيل، لقد كان المنظر الأول يوم الهجوم على الأعظمية في يوم الخميس ١٠/ ٤ وأثناء المطاردة بين القوات الأمريكية ودروعها وبين الفدائيين، حيث توقع أحد قادة الدروع أنه قد اختبأ أحد الفدائيين في أحد البيوت القديمة في حي السفينة، فقذف البيت بقذيفة حارقة فاحترق البيت، فنزل أحد الجنود ودفع الباب فإذا مجموعة من الأطفال والنساء يصطرخون داخل المنزل فقال: no ، no،no فغير الجندي الآخر رأس القاذفة بكبسولة أخرى وقذف البيت بقذيفة كاربونية فأطفأ النار وذهبوا إلى مكان آخر للبحث عن الفدائيين والمقاومين.

وحادثة أخرى مع طفلة عراقية صغيرة عمرها ثمان سنوات تسكن في شقة، وقد هرعت تريد النزول من الشقة بسبب كثافة القصف في أحد أحياء الأعظمية، وحين فتحت باب البناية وجدت أمامها جندياً أمريكياً يصوب سلاحه نحو البناية، فقالت له دون وعي وهي تعيش إرهابا

---

**الأقرب إلى الحياد والإنصاف، ولا بأس من ذكر بعض إيجابيات الخصم وحثّه على الخير ونهيه عن الظلم والعدوان، وإن ذلك كان يصور حالة الذعر والقلق التي كانت تواجه قوات التحالف بعد تزايد الخسائر البشرية، وكذلك الشعور المقلق للإدارة الأمريكية بالفخ الذي وقعت فيه بعد احتلال العراق.**

ورعبا لم يتوقعه ذلك الأمريكي المتحضر من طفلة بهذا العمر، وهي تسأله تلقائيا وبلغة إنكليزية بسيطة:

How are you?، فقال لأصحابه ولها: NO، NO، NO ..لقد صدمته هذه الطفلة العراقية وأصابت حضارته بالصميم، وهو يحاول أن يبرر لنفسه وشعبه ودولته: لا لا لا لسنا إرهابيين ولا قتلة لهؤلاء الأبرياء، إنما نحن نطبق الأوامر، تماما كما قالها ذلك الأسير الأمريكي المرعوب في الناصرية: جئت تنفيذاً للأوامر (كما عرض ذلك تلفزيون بغداد)، إنها جريمة الرئيس بوش وأعوانه بسبب سياسته الاستعمارية وشغفه بالاستحواذ على النفط، وليس جريمة الشعب الأمريكي المحب للعدل والسلام والحرية. لقد استغربت وأنا أشعر إن هؤلاء الجنود الأمريكان لم يكونوا إرهابيين أو على الأقل لا يريدون أن يكونوا كذلك، ولكن ذلك لا يعفيهم من مسؤولية الاحتلال والعدوان على شعبنا الآمن ولا من دفع الثمن الباهظ إذا لم يسارعوا بالخروج من البلد والعودة من حيث أتوا، وستثبت الأيام المقبلة ندم الغزاة على فعلهم هذا[١]، والله بالمرصاد لكل ظالم متجبّر ومعتدٍ أثيم.

---

**[١] لقد لمس العالم أجمع ندم بوش وإدارته وقوات التحالف وكذلك بلير وقواته، لاسيما بعد الفضائح التي سمع بها العالم أجمع، واشتداد المقاومة ضد الاحتلال واشتداد المعارضة السياسية للاحتلال لكافة الأحزاب والتيارات الوطنية والإسلامية مما أضطر الإدارة الأمريكية لاستدعاء الحاكم المدني**

# الورقة الطائفية والعرقية

استمرت أعمال السلب والنهب في بغداد خمسة أيام، وتوقفت أو خفت كثيرا اليوم الأربعاء ٤/١٦، بل إن جهود المخلصين وفتاوى العلماء السنة والشيعة واللجان الشعبية والمسلحة في المساجد والحسينيات استطاعت أن تبلور حركة معاكسة لأعمال الفرهود شكلت ظاهرة نبيلة وطيبة تنسجم والروح الخيرة التي امتاز بها الشعب العراقي بكل صنوفه، حيث بدأت السيارات تعيد الكثير من المسروقات من الأموال العامة إلى المساجد والحسينيات. وكان الكثير ممن ضعف أو دفعه التنافس على النهب والسرقة باعتبار أن أموال الدولة ستذهب إلى الصعاليك والمجرمين وهم أولى بها، قد تنبهوا وعادوا إلى الصواب،

---

**الأمريكي (بول بريمر) إلى واشنطن وإبلاغه من قبل الرئيس بوش بتغيير الستراتيجية الأمريكية بشكل جذري في منتصف شهر تشرين الثاني ثم قيام الرئيس الأمريكي بزيارة خاطفة ومفاجئة لبغداد في عيد الشكر وبطريقة سرية في ٢٠٠٣/١١/٢٧. ولعل آخر أصداء ملف الأسلحة العراقية وخيبة أمل الإدارة الأمريكية ما صرّح به رئيس فريق التفتيش الأمريكي المكلف بالبحث عنها في بغداد واستقالته من عمله بعد أن انسحب هو وفريقه في ٢٠٠٤/١/٢٤ وقدم تقريره إلى إدارة بوش مؤكداً خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل وطلب منها الاعتراف بالخطأ واقرار الواقع، مما ولد صدمة وإحراج سياسي في كل من واشنطون ولندن.**

ولما علموا أن ذلك التخريب محرم شرعاً اعتذر البعض بأنه أخذ هذه الأجهزة والمعدات والأموال أمانة عنده للمحافظة عليها لعدم وجود هيكل الدولة أو من ينوب عنها، والبعض الآخر تم إرجاعه بالقوة عن طريق رجال الحماية أو تحت ضغط الجيران. أو نصح الناصحين الشرفاء.

وهذه الظاهرة تشير إلى صحوة ووعي متزايد بالمؤامرة المدبرة، وشجب للدور المشبوه الذي قام به الأمريكان وحلفاؤهم لتشجيع هذا المسلك الشاذ، فضلاً عن تراجع مشاعر الإحباط واليأس ورد الفعل ضد الظلم الذي وقع على الناس بسبب العدوان واستبداد النظام الحاكم طوال الحقبة الماضية، وعودة الوعي لكثير من هؤلاء المحبطين والناقمين على حكم صدام المتسلط.

فبعد تلك الحالة الهستيرية لأعمال الفرهود استفاق هؤلاء المهووسون على حقيقة مؤلمة مفادها أنهم بذلك يدمّرون أنفسهم وحياتهم وعالمهم الجميل وعراقهم المكلوم فعادوا إلى توبة نصوح وهجر لأعمال التخريب والنهب[١].

---

**[١] لقد حرص الإعلام الأمريكي المنحاز أن يقدّم الشعب العراقي للعالم، عبر القنوات الفضائية والوكالات الأخبارية التي غطّت أحداث السلب والنهب التي جرت في العراق بعد الحرب، على أنه شعب همجي متخلف وهو عبارة عن مجموعة من اللصوص والقراصنة الذين لا يستحقون إلا الأسلوب الذي قامت**

وبتوقف هذه الحملة المسعورة وهذه الفوضى المدمرة، صفا الجو في البلد وعاد الأمن والأمان من آثار ذلك المرض المفاجئ الذي أصيب به البعض. ولكن الناس الآن يتوجسون مما هو أخطر وأعظم من ذلك المرض الوقتي الهستيري القصير العمر.. تلك هي الفتنة الطائفية

---

**به قوات التحالف..أسلوب الحرب المدمرة وإسقاط دولتهم واحتلالها لبنائها من جديد على الأسس الديمقراطية التي ترعاها أمريكا اليوم. والواقع أن أعمال السلب والنهب العفوية هي حالة عامة شهدتها معظم الدول والشعوب عبر التاريخ القديم والحديث بعد أي عارض كبير يؤدي إلى انتشار الفوضى واختفاء النظام الذي يحكم الناس وفق ضوابط الشريعة والقانون، وكما شهدنا مؤخراً فانه حتى نيويورك ولندن لم تسلم من السلب والنهب بعد انقطاع الكهرباء والأزمات الكبرى كما حدث في آب الماضي، وكذلك أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، بل التاريخ يحدثنا حتى عما جرى في مكة المكرمة حيث انتشر فيها السلب والنهب بعد استباحها من قبل القرامطة قبل ألف عام وإسقاط حكم إمارتها، وقد تعرضت الكثير من البلدان والمدن إلى مثل هذه الظواهر السلبية بعد الحروب والكوارث والفتن، غير أن ما حدث في العراق كان ينقل مباشرة إلى الإعلام وبشكل مضخّم ومفتعل، كما أن ظاهرة حرق البنايات بعد سلبها المتعمدة قد زادت الأمور سوءاً. ولا شك أن للاستبداد الذي كان سمة الحكم السابق له أثره في النفوس، ولكن نسبة الذين اشتركوا في تلك الجرائم والتي تم رصدها وتقديرها لم تتجاوز ١% من عموم الشعب، كما أن الدور الإيجابي ورد الفعل العكسي للدفاع عن الأمن والممتلكات العامة كان أوسع وأكبر مما عكسه الإعلام المعادي الذي يود إخفاءه.**

والعرقية والاقتتال بين الطوائف والمذاهب والأعراق، في بلد اشتهر بكثرة مذاهبه وأعراقه، وهم يرون أن هؤلاء الطامعين يتمنون أن تشتعل تلك النار التي لا يعلم أحد إلا الله متى تنطفئ إذا ما أوقد شررها، فكانوا في كامل وعيهم وحذرهم من الورقة الطائفية ومؤامرة (لبننة العراق) التي طالما تحدث عنها الإعلام الغربي والصهيوني، فشمر علماء السنة والشيعة عن سواعدهم لنزع أي فتيل محتمل لهذه الفتنة الخطيرة. وتبدو بوادر الوحدة والوعي والسلام والتكاتف هي الغالبة على لسان كل القوى والفئات والشخصيات البارزة على الساحة العراقية.

لقد حاول الأعداء الدخول إلى الفتنة الطائفية وإشعال فتيلها من عدة سبل، منها الربط بين حالة السلب والنهب وبين الطائفية، فقالوا إن صدام السني قد ظلم الشيعة، ولذلك قام الشيعة في حي الثورة بمعظم أعمال الشغب والسلب والنهب بعد سقوط النظام. وحاولوا أن يبثوا بين السنة أن السرّاق هم من الشيعة في الغالب للاستئثار بموارد الدولة لمحاربة السنة اقتصاديا، وبثوا في الأوساط الشيعية أن الذين يشكلون الخطر الأول عليهم هم السنة ممثلين بفئة الوهابية، وتحفز بعض الشيعة من خطر ما يسمى بالوهابية، رغم أنهم - في حالة وجودهم في الوسط السني - لا يشكلون نسبة تذكر، وليس لهم دور أو أثر بارز داخل الوسط السني، وهم أتباع مدرسة النص التي أسسها وقادها الإمام

أحمد بن حنبل وابن تيمية، فالسنة في العراق في غالبيتهم أحناف وشوافع، ولكن الأعداء يريدون إشعال الفتنة بكل السبل. لقد حاول الأعداء بث الفتنة والاقتتال بين الشيعة أنفسهم أيضا، لاسيما في النجف الأشرف، مفتعلين صراعا دمويا حول المرجعية بعد سماحهم بدخول السيد عبد المجيد الخوئي ثم اغتياله بعد مدة وجيزة من دخوله النجف، إذ أنه اغتيل يوم الخميس الماضي ٤/١٠ كما علمت من وكالات الأنباء.

ثم تطور الموقف إلى محاصرة أحد كبار مراجع الحوزة العلمية في النجف وهو العلامة (السيد علي السستاني) وإنذاره بالخروج من النجف، ثم قيام أتباعه في النجف ومن أبناء العشائر بالدفاع عنه، وقيام تظاهرات كبيرة لأتباعه في الخليج لفك الحصار عنه، والدعوة لوحدة المرجعية، وإصدار فتاوى ونداءات عديدة من علماء النجف للعمل على مصالحة الأطراف المتنازعة وإلى وحدة المرجعية العلمية في النجف، كل تلك الأمور تنذر باحتمال تفجر الموقف وإثارة الورقة الطائفية سواء داخل الطائفة الشيعية أو بين السنة والشيعة، ولكن الله سبحانه أقوى وأرحم من أمريكا والصهيونية التي تحاول أن تدير الأمور من وراء الكواليس، كما أن نجابة الشعب العراقي وعراقته وخبرته في مواجهة الأزمات والفتن ستفوت الفرصة على الأعداء لإشعال الفتن الطائفية والعرقية بإذن الله تعالى، وقد شهدت الأيام التي

تلت تلك الظروف الحرجة أن روح الوحدة والتلاحم بين السنة والشيعة التي ترجمت بشكل لقاءات واتفاقات وفتاوى مشتركة كانت أقوى من الصخر، وقد كانت تلك الروح هي الضمانة الحقيقية لمواجهة كل الفتن والأزمات التي قد تعترض طريق البناء الجديد[١].

---

**[١] لعل أضخم حدث وقع في العراق بعد الحرب وكان متوقعاً أن يثير الروح الطائفية والاقتتال والحرب الأهلية بين المسلمين وفق ما خطط له منفذو تلك الجريمة، هو حادثة التفجير الدامية في النجف الأشرف بعد صلاة الجمعة في ٢٠٠٣/٨/٢٩م والتي راح ضحيتها أكثر من مائة عشرين شهيد كان على رأسهم السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وأحد المراجع الكبار في النجف، وقد حدثت فعلاً بعض الفتن والاضطرابات بعد هذا الحادث الأليم ولكن حكمة المسلمين من السنة والشيعة وتشخيصهم المبكر بأن منفذ هذه الجريمة لابد أن يكون من أعداء العراق والإسلام، ولا يمكن لمسلم أن يقترف مثل تلك الجريمة البشعة، كما إن إيمان الجميع بأهمية الوحدة والأخوة والتكاتف كل ذلك أضاع الفرصة على الأعداء المتربصين بالبلد وأمنه واستقراره.وقد تكررت الأحداث الدامية التي استهدفت تفجير الوضع الطائفي والعرقي في البلد ودفع الأمور المضطربة في العراق إلى حافة الحرب الأهلية، كان آخرها تفجيرات عاشوراء الدامية في كربلاء والكاظمية والتي راح ضحيتها أكثر من ٢٧٠ شهيداً، وقد تزامنت مع تفجيرات طائفية في باكستان أيضاً استهدفت الأبرياء الذين تجمعوا لأداء شعائر دينية ومجالس العزاء الحسينية في عاشور في ٢٠٠٤/٣/٢ والتي أدت إلى سقوط قرابة ٥٠ شهيداً، وقد سبقت هذه الفتن الدامية بشهرين**

أما الشطر الثاني لهذه الورقة وهي العرقية وفتنة القوميات والطوائف الدينية، فنحن نعلم أن شعب العراق مكون من شيعة وسنة وعرب وأكراد وتركمان، ومسلمين ومسيحيين ولكنهم كلهم يجمعهم حبهم لوطنهم واحترامهم للآخرين من الطوائف والمذاهب المتنوعة، وإن الإيمان والوسطية والحكمة والمصالح العامة والسلام والوحدة الوطنية هي القواسم المشتركة والمبادئ التي تحكم سواد الشعب، ولكن الخطر قد يكمن في تأخير قيام حكومة عراقية جديدة لغاية في نفس من يريد

---

**تفجير بعض المساجد والجوامع السنية في بغداد (في الحرية والوشاش والعامرية والشعب) واغتيال بعض الرموز والشيوخ منهم الشيخ ضامر سليمان الضاري .. والمسلمون (السنة والشيعة) مجمعون على إن هذه الجرائم لا يمكن أن تصدر من عراقي وانه من المؤكد أن يكون وراءها أصابع أجنبية تهدف إلى إثارة الفتنة بشتى السبل والوسائل الخبيثة، وإذا أضفنا إلى تلك الأحداث الأليمة حوادث كركوك العرقية التي جرت في مطلع عام ٢٠٠٤م وما نتج عن هذه الاضطرابات من سقوط عشرات الضحايا، ثم تفجيرات عيد الأضحى في أربيل في ٢٠٠٤/٢/١ وسقوط مئات الشهداء من الأكراد العراقيين، وما تخلل تلك الأحداث الدامية من مآسي وإسقاطات يمكن أن تؤدي إلى كوارث وسفك دماء وأحقاد مستديمة لولا حفظ الله ولطفه وحكمة العراقيين بكل فئاتهم وصبرهم الجميل. إن هذه كلها مشاهد حية ومؤلمة على المسؤولية الخطيرة التي تقع على سلطة الاحتلال بعد اقترافها جريمة الغزو وتغيير الوضع في العراق دون حساب النتائج أو توفير البدائل لضبط الوضع الأمني والسياسي في عراق ما بعد الحرب.**

الفتنة والاضطراب، ولكي ينضّجوا ما يريدون من فتن وتيارات لإثارة حرب أهلية طويلة الأمد بغية السيطرة على مقدرات البلاد وثرواته إلى عقود طويلة، وإغراق البلد في الفتن والأزمات والديون حتى يصبح أداة طيعة بأيدهم، فهم يؤمنون بمبدأ فرّق تسد (الإنكليزي) أو مبدأ أعطيه الموت لكي يرضى بالحمى كما يقولون.

وإننا إذا ما أردنا أن لا نغالي في إساءة الظن بالأمريكان ونقول إن مصالحهم في المنطقة لا تتفق ومنهجية إثارة الفتن والحرب الأهلية، فإننا ننصحهم بضرورة الإسراع بتشكيل حكومة وطنية والسماح للشعب العراقي بأن يضمد جراحه ويكوّن دولته، باعتبارهم هم المسؤولون الآن عن الأمن والنظام داخل البلد بعد ما تم لهم ما أرادوا من فرض سيطرتهم على البلد بعد إسقاط النظام[١].

---

**[١] لم يتم أخذ هذه النصيحة في نظر الاعتبار في الشهرين الأولين التي تلت الحرب ثم كانت المقاومة وانهيار الأمن داخل العراق وتفاقم أعمال السلب والنهب والقتل، مما دفع المحتل إلى البحث عن حلول للخروج من الورطة والفخ الأمني الذي سقط فيه، بعد أن تُركت بغباء أسلحة الجيش بأيدي السرّاق وتجار السلاح وتحت تصرف من يريد، كما تُركت الحدود مفتوحة لكل من يريد دخول العراق، فاضطر المحتل إلى إنشاء مجلس حكم انتقالي والاستعانة بالأمم المتحدة والدول الأخرى لإرسال جيوش إلى العراق لحفظ الأمن وو..**

لقد جاء الأمريكان لاحتلال بغداد من جهتي الجنوب والغرب ثم اخترقوا أسوار بغداد بعد معارك عديدة، ووصلوا إلى وسط بغداد في جانب الكرخ حيث دخلوا المنصور واليرموك والحرية ثم توغلوا إلى الكاظمية والعطيفية، ومن هناك إلى جانب الرصافة في باب الشرقي والأعظمية، ومن الجنوب توغلوا من معسكر الرشيد إلى بغداد الجديدة والبلديات واحتلوا بناية مديرية الأمن العامة. ثم من الشمال واصلوا تقدمهم من التاجي حتى بوابة بغداد فالمحيط ثم مركز الاستخبارات في الكاظمية. وفي يوم الثلاثاء ٤/٨ قاموا بإنزال شمال شرق بغداد في منطقة الراشدية وعلى السدة في أطراف مدينة الثورة، ثم تقدموا بسهولة نحو قناة الجيش ليصلوا سومر والبنوك ويلتقوا مع قواتهم القادمة من الراشدية والشعب، فدخلوا منطقة الصليخ، وبعد ذلك وصلوا آخر مرحلة من مراحل احتلال بغداد، حيث التقت قوات الجنوب والشمال والشرق والغرب في الأعظمية وباب المعظم، وحدثت معركة الأعظمية يوم الخميس، وقد قاومت الأعظمية ببسالة قوات الاحتلال لسببين. أولهما وجود الفدائيين فيها وثانيهما وجود صدام مع رفاقه فيها في الأيام الأخيرة قبل سقوطه. وتعد منطقة الثورة[١] ثاني آخر المناطق سقوطاً بالرغم من سعة مساحتها وكثافة

---

**[١] لقد سميت مدينة الثورة الآن وبعد الحرب (مدينة الصدر) بعد أن كان أسمها في العهد السابق (مدينة صدام).. وذلك لأنها من المدن ذات الأكثرية**

عدد سكانها، ولم تقاتل مدينة الثورة المحتلين شأنها شأن الموصل وكركوك وبعقوبة والرمادي وتكريت، لأن هذه المدن شعرت بعدم جدوى القتال بعد سقوط العاصمة، كما أن هناك مبررات أخرى لعدم قتال الثورة للمحتلين، من بينها أن دخول قوات التحالف إليها جاء بعد دخول عدد كبير من المعارضة إلى مدن الجنوب، مما أحدث بلبلة في مسألة التمييز بين مقاتلة الغزاة والدفاع عن النظام، لاسيما في النجف وكربلاء، وقد استطاع بعض المعارضين للنظام تحييد الشيعة في قتالهم مع صدام، وهذا الموقف كان له الأثر البالغ في تغيير موقف العشائر في الجنوب والشيعة في بغداد، وهناك سبب آخر هو أثر الصدمة والترويع والحرب النفسية التي مارسها التحالف عن العراقيين بمختلف فئاتهم، وكان نصيب الثورة من ذلك كبيراً نظراً لكثرة الهاربين من جحيم القصف المعادي إلى خارج بغداد، لاسيما من طريق بعقوبة بغداد القريب من ديارهم، وهكذا قرر سكان الثورة

---

**الشيعية ولوجود تيار كبير فيها يؤيد ويتبع مرجعية الأمام محمد صادق الصدر الذي اغتيل مع ولديه في شباط من عام ١٩٩٩م في مدينة النجف الأشرف وكان صدام ونظامه المتّهم الأول في ذلك ، والآن يقوم السيد مقتدى الصدر مقام والده في قيادة تيار الصدر في العراق، وهو شاب شجاع وجرئ ذو عقلية سياسية واعية وحس وطني عميق، وكان والده قائد الحوزة العلمية الناطقة وداعية الوحدة والتقريب في العراق بين علماء الحوزة العلمية في النجف.**

مهادنة المحتلين بعدما رأوا نظام صدام يترنح، علما بأنهم لم يكونوا يحبون النظام ولا يؤيدونه أصلاً، وإنما كانوا مكرهين على مجاراته كما يعلم الجميع. إن ذلك ليس دفاعا عن الثورة وأهلها وعن أصالتهم ووطنيتهم التي لا تحتاج إلى دليل، وإنما هو عرض للواقع وما حدث بالفعل في تلك الأيام القاسية، أما ما قيل من أنهم كانوا وراء حملة السلب والنهب، وأن النسبة الغالبة كانت منهم من بين أهل بغداد، ففي ذلك نظر أيضا، حيث أن الكثافة السكانية في مدينة الثورة هي الأعلى من أي منطقة أخرى في بغداد، وأن كثرة المشاركين في السلب تخضع إلى النسبة والتناسب، كما إنهم الفئة من سكان بغداد التي يكثر فيها العمال والموظفون من ذوي الدخل المحدود، وقد قال الإمام علي ﷺ لو كان الفقر رجلا لقتلته، كما إن انتماءهم المذهبي الذي يغلب عليه التشيع وموقفهم المعادي للنظام، والضرر الذي أصابهم من النظام طوال ثلاثين عاما جعلهم يتحينون الفرصة للإيقاع به والانتقام منه في أية فرصة تتاح لهم. مع كل ذلك فقد وقف علماء الشيعة والسنة في الثورة موقفا صلبا ضد السلب والنهب، وأفتوا بإعادة المواد المسروقة وحراستها والمحافظة عليها، وقد امتثل أهالي الثورة لتلك الفتاوى، بل إني وجدت العديد منهم يتطوع لحراسة المتحف والمستشفيات والمدارس والجامعات، وعليه فإن عملية تشويه صورة أهالي الثورة لدى سكان بغداد هي في الغالب تقع ضمن دائرة الأيادي الخفية التي

تريد الإيقاع بين السنة والشيعة، واستغلال أحداث السلب والنهب والحرق والتدمير التي وسعوها وضخموها لكي تؤدي إلى الفتنة الطائفية.

أما بقية الفئات في بغداد كالأكراد مثلاً فليس أدل على وطنيتهم وتآخيهم مع إخوانهم العرب أن استشهد الكثير منهم للدفاع عن بغداد ضد الغزو الأجنبي، وإني أعرف اثنين منهم سقطوا شهداء في الأعظمية، ولا علاقة لهذه المواقف الوطنية النبيلة بالموقف الرسمي لحكام كردستان وتحالفهم مع قوات الاحتلال. وكذا الأمر بالنسبة للتركمان فهم في خندق واحد مع العرب والأكراد، ولا يختلف الأمر مع المسيحيين الذين استنكروا منذ البداية الحرب على العراق وعدم شرعيتها، فهم في معظمهم كاثوليك وأرثودوكس ولا يؤيدون الموقف البروتستانتي المتصهين في أمريكا وإنكلترا، وهم قبل ذلك عراقيون وطنيون غيورون على بلدهم، كما أن رفض البابا في روما للحرب ودعوته للسلام وإيقاف الحرب قد تكررت مرات عديدة أبان الحرب العدوانية على العراق.

أما بالنسبة للتعاون والتنسيق بين السنة والشيعة، فقد علمت أن هناك لقاءات بين علماء السنة والشيعة في بغداد وكربلاء والنجف، وإن هناك موقفاً موحداً إزاء الاحتلال، وإن كلا الطرفين واعٍ وحذر مما يدبر في الخفاء لتجيير الفتنة الطائفية لصالح الأعداء، وإنهم كانوا صفا

واحدا في مواجهة المحتلين والدعوة لإنشاء حكومة وطنية يكون أساسها الوحدة الوطنية والعدل والسلام، وربما تشهد الأيام المقبلة تفعيلاً أكثر لهذه الجهود الخيرة التي تدعو إلى الوحدة والتقريب ورص الصف في مواجهة كيد الأعداء، وقد حدثت اجتماعات عديدة في الأعظمية والثورة والكاظمية لتنسيق المواقف بين الطرفين حضرها علماء كبار من الفريقين خلال الأسبوع الرابع للحرب برئاسة الشيخ الشاعر وليد الأعظمي والشيخ إبراهيم منير المدرس[١]. ولقد حدثني أحد الشيوخ في ديالى[٢] عن دخول قوات بدر الشيعية عدداً من المدن في ديالى، وكان تعاملهم بمنتهى الأدب والاحترام لإخوانهم السنة،

---

**[١] لقد قامت هيئة العلماء المسلمين عند تأسيسها بعد الحرب مباشرة في بناية منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي في الأعظمية على يد د.عبد السلام الكبيسي وعبد الستار عبد الجبار وحازم الزيدي وغيرهم من العلماء، بتكليف لجنة علمية لمتابعة جهود الوحدة والتقريب بين السنة والشيعة برئاسة د. أحمد الكبيسي وعضوية الشيخ إبراهيم المدرس ومؤيد الأعظمي وتشرفتُ بعضويتها بسبب اهتمامي بموضوع الوحدة والتقريب وعلاج الطائفية وتأليفي بعض الكتب في ذلك، ولكني اعتذرت عن الاستمرار في هذه اللجنة بعد شهر من تشكيلها بسبب ضيق الوقت وكثرة الواجبات، ولكننا التقينا من خلال هذه اللجنة مرات عديدة بعلماء ومراجع الشيعة الأفاضل في بغداد والنجف وكربلاء.**

**[٢] وهو الشيخ عبد الله نجم الدين إمام وخطيب جامع النبي إسماعيل في مدينة بلدروز في محافظة ديالى.**

وإنهم قد صلَّوا صلاة الجماعة في أحد مساجد السنة، وحرصوا على حماية الأمن والنظام والمحافظة على الأموال والممتلكات العامة.

لقد كانت لي علاقات وطيدة مع مثقفي الشيعة وعلمائهم منذ السبعينات، وفي مقدمتهم جماعة الشيخ محمد مهدي الخالصي وجماعة المرحوم السيد محمد صادق الصدر وبعض أفراد حزب الدعوة[٣].

واعتقد أن الخط الوحدوي التقريبي الذي يمكن أن يؤدي إلى الوحدة الإسلامية والتقريب القرآني المخلص هو الذي يعتمد مبادئ القرآن والسنة التي تعمق معاني الوحدة والسلام والتعايش البنّاء وتأصيل العلم الشرعي بعيداً عن اللغو والتعصب والخرافة، وتلك هي أهم الركائز التي اعتمدتها في مؤلفاتي ومقالاتي العديدة في هذا المجال. ولقد كنت أنشر مقالاتي في الصحف والمجلات السنية والشيعية، فقد كتبت في مجلة المفكر الإسلامي والرأي والكوثر والفتوى وغيرها من الصحف والمجلات، ومن المقالات التي نشرتها في مجلة الكوثر النجفية مقال مؤتمر النجف ومقال عمر والحسين وجهان لمنهج إسلامي أصيل، ومقال: الصراع الصفوي العثماني وأثره في بلورة الطائفية، ومقال

---

**[٣] من أبرز هؤلاء ومن شهدائهم المرحوم المهندس مهدي عيدان عراك من مدينة القاسم قرب الحلة والمدرس حسين السعدي من الجديدة في ديالى والمهندس أحمد صاحب من بغداد وغيرهم من الذين شرّدوا أو أعدموا في عهد صدام فضلاً عن الأصدقاء الموجودين حالياً وهم كُثر والحمد لله.**

الأمة الوسط وغيرها. كما وفقني الله سبحانه خلال التسعينات في طبع كتب عديدة في موضوع الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية. ولقد كانت تلك الجهود جزءً من جهود عديدة قام بها عدد من العلماء والمفكرين السنة والشيعة في هذا الميدان لعلاج الطائفية. ولقد قام عدد من علماء الشيعة فضلا عن السنة بمراجعة بعض مؤلفاتي قبل وبعد طبعها، منهم على سبيل المثال: العلامة محمد باقر القرشي والسيد المرحوم محمد صادق الصدر والسيد حسين الصدر والسيد عبد المنعم الموسوي في جامع براثا وغيرهم من العلماء الأجلاّء. من ذلك نخلص إلى أن الطريق في العراق واسع ومفتوح للحوار والوفاق والوحدة والتقريب بإذن الله، وإن الظروف العصيبة التي يعيشها العراق اليوم ستجعل من منهج الوحدة والوفاق من ضرورات العمل الإسلامي العراقي لمرحلة ما بعد الحرب. وإن مستقبل العراق سيشرق على جيل يؤمن بالله ورسوله وبالوحدة والتقريب والوفاق على الأصول والمشتركات والمقاصد الحسنة لكي نجعل من العراق رمزا للتنوع المثمر والتعايش البنّاء بين كافة مذاهبه وطوائفه وأعراقه، ويكون ذلك دافعا لنا لبناء بلدنا الحبيب من جديد بعد طرد المحتلين الطامعين والأعداء المتربصين، وسيحفظ الله العراق وأهله من كل سوء وشر وفتنة إن شاء الله[١].

---

[١] **لقد وفقنا الله بعد الحرب إلى استصدار مجلة عراقية باسم مجلة (الرقيم)**

إنـه مـن الممكـن جـدا أن يتحـالف السـنة والشـيعة فـي العـراق لمقاومـة الاحـتلال تمهيـدا لقيـام حكـم وطنــي يضـم جميـع فئـات الشـعب، إذا مـا تـوفرت النوايـا المخلصــة والرغبـة فـي تثبيـت أركـان وحـدة الصـف ووقوفه صفا واحدا ضد الأعداء، واتفق الجانبـان علـى شـروط التعـايش البناء والتقريب القرآني الذي يدعو إلـى الاتفـاق علـى الأصـول وتوسـيع دائرة المشتركات واعتمـاد فقـه المقاصـد، واسـتيعاب المرحلـة الحساسـة والظرف العصيب الذي يعيشه البلد بعد الحرب وانهيار البُنـى التحتيـة للدولـة والنظـام والأمـن العـام، والابتعـاد عـن الغلـو والتشـدد والتعصـب الأعمى والتكفير للفريق الآخر. إن المتعمق فـي متابعـة أحـوال الشـعب العراقـي وخصـاله الأصـيلة يـرى بوضـوح تـوفر تلـك الصـفات والنوايـا الحسنة لكل فئـات الشـعب ومذاهبـه وصـنوفه، وفـي ذلـك يقـول الرسـول ﷺ: ( إن هذا الدين متـين فـأوغل فيـه برفـق، فـإن المنبـتّ لا أرضـاً قطـع ولا ظهراً أبقى) كما يقـول الإمـام الصـادق عليه السلام: (إيـاكم والخصـومة فـي الـدين فإنهـا تحـدث الشـك وتـورث النفـاق وتحـدث الفتنـة). فمـن الغلـو والخصـومة وعـدم إنصـاف إحـدى دعـامتي عصـر النبـوة (أهـل البيـت والصـحابة) الاكتفاء بذكر فضـائل طـرف واحـد ونسـيان أفضـال الطـرف

---

**تعنى بالوحدة والعلم والإيمان، وسيصدر العدد الثالـث منهـا فـي نيسـان ٢٠٠٤م، ونظنها قد ساهمت وتساهم في نشر الوعي ورفد الفكر والثقافـة الهادفة.**

الثاني، رغم علمنا ومعرفة الفريقين لما كان بين أهل البيت والصحابة من أواصر الأخوة والمحبة والجهاد المشترك والنسب والمصاهرة، حتى رأينا أن إمام البيت العلوي سيدنا علي ﷺ يسمي أولاده باسم أبي بكر وعمر وعثمان، ثم اقتدى به أولاده وأحفاده، وكان ثائرهم مدافعاً عن رسالة الإسلام والشورى، وحاكمهم يتوق أن يحكم بالكتاب والسنة والمحافظة على عرى الإسلام أن تنتقض مع الزمن، والتي هي سنة من سنن الله في الكون سواء عند المسلمين أو عند غيرهم، فبريق الثورات يبدأ بالخفوت مع الزمن ولكل حالة أسبابها، وهذا خلق الله ومشيئته وتقديره، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: ( لتنتقضن عرى الإسلام عروةً عروة كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، أولهن نقضا الحكم وأخرهن الصلاة) ويقول الرسول ﷺ: ( بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء).. ومن الصور المشرقة لجيل النبوة وتابعيهم، زواج عمر ﷺ من أم كلثوم بنت علي ﷺ وزواج علي ﷺ من أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق وأم ولده محمد بن أبي بكر، وهو ربيب علي ﷺ وأصبح عامله على مصر أثناء خلافته. وقد كان الإمام جعفر الصادق يردد دائماً مقولته الشهيرة في وجه من لا يعلم منزلة أبي بكر ﷺ : ولدني أبو بكر مرتين، في إشارة إلى أنه جده لأمه (أم فروة ) وجدته (أسماء ).

فليحاول كل فرد منا في هذا الظرف الصعب إزالة الغربة والظلمة عن عالمه ومحاربة الشيطان وأعوانه. ولا يكون ذلك إلا بترك الغلو والخرافة والتعصب والعودة إلى الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح في صدر الإسلام، وأن نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا لما اختلفنا فيه كما قال أحد العلماء. وحينها يمكن أن نحجم المسلك الطائفي الذي يريد أن يثيره الأعداء ويجيرونه لصالحهم، وجزى الله خيرا أخوتنا الزيدية حين رفعوا شعار الوحدة والتقريب منذ القرن الأول الهجري بقولهم: ( جواز إمامة المفضول بوجود الفاضل). فحسموا الأمر وقبلوا خلافة الشيخين، وترفعوا عن ثقافة صفين التي جعلت المسلمين صفين، فقد كان المسلمون حينها كلهم صفا واحدا مع الإمام علي ﷺ والخليفة الشرعي واعتبروا معاوية باغيا عليه تنطبق عليه أحكام البغاة. فليس هناك مبرر لدى البعض أن يركزوا في إعلامهم حول الإمام علي، ويرفعوه إلى مصافِّ الآلهة وينكروا فضل أقرانه وأصحابه من أصحاب الرسول ﷺ إن لم يجعلوهم فاسقين، فإياكم يا أخوة الإيمان أن تستعينوا بالخرافة والروايات المكذوبة لتجذير الغلو في الدين.. قال تعالى:

[ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ]. (سورة المائدة/ ٧٧)

لقد خرج أكثر من ٢٥٠ ألف متظاهر في الأعظمية ببغداد في أول جمعة ٤/١٨ بعد أن وضعت الحرب أوزارها، تدعو إلى رفض وشجب الغزو الأجنبي وقيام حكومة وطنية إسلامية، وقد رفعوا شعارات إسلامية وحدوية منها: (لا للاحتلال لا للعلمانية نعم للوحدة الإسلامية) حاملين المصاحف والأعلام العراقية، وشعار (إخوان سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه) وكان خطيب الجمعة[١] لذلك اليوم الشيخ الدكتور أحمد الكبيسي، وهو من الشخصيات المعروفة ذات الشعبية الواسعة في الأوساط السنية والشيعية، نظراً لعلمه الواسع وأسلوبه

---

**[١] لقد علمت بخبر الإعداد لهذه التظاهرة بعد صلاة الجمعة ليلة الخميس، وأن الخطيب سيكون في جامع الأمام الأعظم لأول جمعة بعد الحرب هو د. أحمد الكبيسي، وفرحت بذلك وقررت الحضور والمشاركة، إلا أنني في صباح الجمعة وجدت لدي متسعاً من الوقت للذهاب إلى بوابة بغداد والتاجي للإطلاع على آثار معركة التاجي والاطلاع على الآليات والدبابات العراقية المحترقة نتيجة المعركة التي حدثت يوم الأحد ٤/٦ وقد رأيت فعلاً مئات الدروع والسيارات المحترقة والتي راح ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف شهيد من المدنيين والعسكريين، وكنت قد اشتريت وقوداً من باعة البنزين على الطريق وعبّأت السيارة، ويبدو أن الوقود كان مغشوشاً مما أدى إلى توقف السيارة وعطلها في منطقة التاجي وبقيت ساعات في الطريق في وقت صعب حيث الأرتال الأمريكية الكثيفة تمر قربي والسلب وسرقة السيارات كان في أوجه في تلك الأيام ولم أصل إلى الجامع إلا بعد انتهاء الصلاة وبدأ التظاهرة.**

المؤثر في البرامج الدينية التي قدمها في بغداد والخليج، حيث عاش خلال السنين الأخيرة بعيدا عن بلده بسبب عدم تجاوب النظام مع أطروحاته الوسطية التي تدعو إلى الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية. ورغم أنه لم يكن من تيارات المعارضة العراقية في الخارج إلا أن مسارعته في العودة إلى بغداد وتصدره للخطابة في أول جمعة في الأعظمية بعد سقوط نظام صدام، قد جعله يتبوء مكاناً بارزاً كأحد الشخصيات الإسلامية المؤثرة في بغداد في هذا الظرف الخطير، ومن الشخصيات الإسلامية الأخرى التي كان لها حضور واضح في هذه التظاهرة الكبرى الشاعر الإسلامي وليد الأعظمي -وقد ألقى قصيدة حماسية مؤثرة- [1] والشيخ مؤيد إبراهيم الأعظمي إمام

---

**[1] اشتهر الشاعر وليد الأعظمي بشعره الإسلامي الحماسي الوحدوي منذ عقد الخمسينيات من القرن الماضي فضلاً عن باعه الطويل في التراث والتاريخ والخط العربي وله مؤلفات كثيرة ودواوين عديدة انتشرت في أرجاء العالم العربي والإسلامي، وقد توفى رحمه الله قبيل طبع الكتاب بأسابيع في ٢١/ ٢/ ٢٠٠٤م، وقد حزن عليه أهالي الأعظمية كثيراً وأقيم له مجلس الفاتحة في جامع الإمام الأعظم ودفن في مقبرة أبي حنيفة بجوار الجامع، كما توفي بعده بيوم واحد صديقه وقرينه في الدعوة إلى الحق ووحدة الصف المؤرخ العراقي كاظم المشايخي، وهما من الأعضاء المؤسسين للحزب الإسلامي في سنة ١٩٦٠م، ومن قصائد الشاعر وليد الأعظمي التي ألقيت في احتفال المولد النبوي في الأعظمية في**

وخطيب جامع أبي حنيفة والشيخ إبراهيم منير المدرس والشيخ إبراهيم طه وجمع كبير من العلماء والمفكرين والشباب والطلبة وغيرهم من مناطق بغداد والمدن العراقية الأخرى[1].

---

**١٣/٥/٢٠٠٤م لتدعيم وحدة الصف والتذكير بدور الإسلاميين في محاربة الإلحاد والفساد والتصدي للاحتلال وأذنابه القصيدة النبوية العصماء ومنها هذه الأبيات:-**

| | |
|---|---|
| **عاهدت ربي أن أظل مجاهدا** | **أشدوا بميلاد النبي قصائدا** |
| **وأبث في روح الشباب عزيمة** | **تزكي بأعماق القلوب مواقدا** |
| **وأردّ كيد المعتدين بنحرهم** | **وبها أقيم على الجناة شواهدا** |
| **وشعارنا في (الأعظمية) قد غدا** | **وشعارنا في (الكاظمية) واحدا** |
| **وإذا اعترى في (الكاظمية) حادث** | **كنا لهم عضداً وكنّا ساعدا** |

**[1] لقد كان الحزب الإسلامي العراقي الذي يرأسه د. محسن عبد الحميد ممن ساهم في التعبئة وتأييد هذه التظاهرة الشعبية الكبرى في أول صلاة جمعة بعد الحرب، لكن ضعف التنسيق والتفاهم بين الحزب الإسلامي والحركة الوطنية الموحدة التي يقودها د. أحمد الكبيسي قد أفقد تفعيل مثل هذا التعاون المحدود والاستمرار فيه بين فصائل أهل السنة من جهة، ومع بقية المسلمين من جهة أخرى، وهو مأخذ يؤخذ على الحركة الإسلامية بكل فصائلها لحثّها على تفعيل المبادرات الجماعية والوحدوية في ظل الظروف الخطيرة التي يمر بها البلد، ولأسباب عديدة قد يكون ضعف التفاهم هذا من ضمنها جعلت شخصيات مهمة تفضل الانزواء أو الهجرة أو تحجيم دورها في وقت الحاجة إليه.**

إن العراقيين سيواجهون في مرحلة ما بعد الحرب العدوانية، وربما لسنين طويلة ثلاث مشاكل كبيرة تحاول كل واحدة منها أن تفتك بهم وتشل حركتهم وقدرتهم في إعادة بناء وطنهم ودولتهم من جديد، إذا لم يتسلحوا بسلاح الإيمان ووحدة الصف والعمل المخلص الدؤوب، تلك هي معضلة الاحتلال الأجنبي ومشكلة النفوذ الصهيوني الجديد المتعدد الصور السياسية والاقتصادية والإعلامية والاجتماعية، وأخيرا الورقة الطائفية والعرقية[1] التي يمكن أن تفتك بالشعب العراقي وتنخره من الداخل إذا ما استطاع الأعداء أن يُدخلوه في نفق الحرب الأهلية ومستنقع التناحر الديني والمذهبي والعرقي نظرا لتنوع وتعدد الطوائف والمذاهب والأعراق في بلاد الرافدين.

## غزو العراق والدول المحيطة

إن دوام الحال من المحال كما يقولون، وهكذا انتهى عهد صدام على يد قوات التحالف كما انتهت عهود وسقطت عروش لم تكن تظن أنها ستفنى، وهكذا الملك والحكم دُول بين الناس ولكل زمان دولة ورجال،

---

**[1] لقد تجلّت في الأشهر الماضية التي تلت الحرب خطورة هذه المشاكل الثلاث، مما سبب تصاعد منحنى الانفلات الأمني والطائفي وتصاعد المقاومة بسبب الاحتلال والصراع الديموغرافي الخفي، لصناعة طبيعة الحكم العراقي المقبل حسب رغبة المحتل وحلفائه.**

فهل سيعتبر الناس من سقوط صدام وقد كان نظامه من القوة والرسوخ بحيث حسب الناس أنه سيستمر قروناً طويلة، وإن حزبه باق على رقاب الناس في العراق ما بقيت السماوات والأرض، لكن قدر الله كان أقوى من كل طغيان وكل قوة عاتية متجبرة وكل نظام وسلطان في الشرق والغرب يظن أنه باقٍ لا يفنى. لقد أثبتت التجارب السابقة أن التحالف مع المحتلين وتقديم التسهيلات للغزاة بحجة تحرير العراق وإسقاط النظام الدكتاتوري المستبد هو خطأ استراتيجي لا يقارن مع الفوائد التكتيكية الآنية التي قد يجنيها بعض خصوم النظام السابق.. وهم في الحقيقة – سواء كان إيران وتركيا أم الدول العربية الأخرى التي قاست من ظلم صدام وحروبه الظالمة، كمن يستخدم المدفع والصاروخ للقضاء على آفة الأرضة والسوس التي دخلت بيتاً من بيوتهم، وربما كان الأجدى لهم أن يحاولوا إسقاط النظام بشتى السبل الأخرى كالانقلاب العسكري أو الحرب المحلية المحدودة بالتحالف مع جيرانهم لدرء خطر العدوان عليهم أو مقاطعة النظام العراقي، كما فعل الإيرانيون بعد الحرب العراقية والإيرانية، بدل التعاون مع الغزاة لتدمير البلد ونسف هويته والقضاء على بنيته التحتية، بحيث لا يمكن أن تقوم له قائمة. إن هذه الفكرة التي تكررت مرارا في التاريخ منذ الغزو المغولي وربما ما قبله، تؤدي –لا محالة- إلى تدمير وحدة الأمة والى التفتت والتشرذم المنهجي، والوقوع في هوة الذل والهوان

السحيقة. والشيء نفسه ينطبق على كل الدول المحيطة وغير المحيطة بالعراق، والتي أيدت الغزو الأمريكي بحجة القضاء على الاستبداد والدكتاتورية والتبشير بالديمقراطية.

إن احتلال العراق وما سيحدث بعده من تداعيات كبيرة ستغير الإستراتيجية السياسية في منطقة الشرق الأوسط خاصة والعالم بشكل عام، فمن المتوقع أن تقوم حكومة فيدرالية ديمقراطية في العراق[١] ممثلة للسياسة الأمريكية في المنطقة والعالم، وإن هذا الوضع سيذكرنا بدور العراق أبان الحكم الملكي بإدارة نوري السعيد وموالاته للمحتلين الإنكليز، من خلال قيادة العراق لحلف بغداد المعروف الذي كان يضم

---

**[١] رغم أن طبيعة الحكم في العراق الذي سيخلف الاحتلال لا يمكن التنبؤ به لتعدد الخيارات المطروحة، لاسيما بعد تزايد النشاط السياسي لكافة الأطراف بعد تغيير الإستراتيجية الأمريكية وقرار الرئيس بوش في ٢٠٠٣/١١/١٢ بضرورة تسريع تسليم السلطة للعراقيين، بغض النظر عن مرحلة كتابة الدستور الدائم والانتخابات العامة.. إلا أن قرار الاتفاق بين مجلس الحكم الانتقالي وسلطة الاحتلال لتسليم السلطة للعراقيين في موعد محدد، يوضح أن أمريكا ترغب في حكم فيدرالي ديمقراطي على مستوى المحافظات، وليس الأقاليم والقوميات كما يريد الأكراد، أو إسلامي مركزي كما يريد بعض الإسلاميين الشيعة والسنة، أو عروبي مركزي كما يريد القوميون العرب، ويبدو أن الأمريكان يرغبون بتغليب التوجه العلماني على الإسلامي، على غرار ما موجود في تركيا الحديثة منذ عهد أتاتورك أو نظام زين العابدين في تونس أو ما يصاغ الآن في أفغانستان من نظام علماني بقيادة كرزاي.**

تركيا وإيران والأردن والعراق، كما يتوقع أن يكون الحكم في العراق شبيهاً بحكم الشاه في إيران وممارسة دور الشرطي الأمريكي للسيطرة على الحوض النفطي في الخليج وبحر قزوين وشرق أوربا والاتحاد السوفييتي، فضلا عن توفير الأمن الحديدي لإسرائيل، وسيكون العراق مرشحاً لحمل الهراوة الأمريكية، وذلك سيتطلب أموراً عديدة منها:-

توسيع حدوده البحرية والبرية وإضافة موانئ جديدة له للقيام بهذا الدور، كما إنه وبسبب التناقضات والأزمة المستعصية للقضية الكردية وتفرق العرق الكردي بين خمس دول حول كردستان هي العراق وإيران وتركيا وسوريا وروسيا، سيكون من أبرز الأنظمة التي سيقع على عاتقها تحجيم الدور السياسي الكردي والالتفاف على قضيتهم القومية، لاسيما الطموح المشروع بتكوين دولة كردية في كردستان وإقامة حكم كونفدرالي كردي[١] ضمن دولة العراق الجديد، فمن مصلحة أمريكا ترضية تركيا وإيران بقمع وتحجيم ذلك الطموح الذي

---

**[١] يؤيد الأكراد الآن إقامة حكم فيدرالي ديمقراطي علماني في العراق على أن تكون الفيدرالية إقليمية قومية، لتشمل منطقة كردستان العراق كما يحددها الأكراد أنفسهم، بإضافة كركوك ومناطق أخرى في محافظتي الموصل وديالى، وهو ما يتعارض مع رغبة أمريكا أيضاً التي لا يمكن أن تهمل حساسية الملف الكردي للدول المجاورة للعراق، فضلاً عن ظرف العراق الملتهب نفسه.**

كان وراء انفصال كردستان بعد حرب الخليج الثانية بتشجيع وتخطيط أمريكي ضد الحكم المركزي في بغداد في عهد صدام أبان حقبة الحصار. فماذا سيقول العرب والأكراد بل عموم المسلمين في المشرق، كدول الخليج ومصر وإيران وتركيا، وباقي الدول التي أيدت أو سكتت عن الغزو الأمريكي للعراق، بحجة التخلص من صدام وحكمه الفردي الاستبدادي؟.. وفي أجواء تلك التداعيات والأحداث الجسيمة والمأساة، التي من المتوقع أن تحل بالعرب والمسلمين في مرحلة ما بعد الحرب، نخشى على الأمة ممثلة بشعوبها العديدة وحكامها أن تردد المثل العربي القديم الذي يقول: (وعلى نفسها جنت براقش). إن الدور المرسوم للعراق بعد الحرب كدولة مقربة وصديقة للولايات المتحدة الأمريكية، وكدولة راعية للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، كما كان الشاه قبل مجيء الخميني عام ١٩٧٩، يجعل كافة الحسابات السياسية والإستراتيجية تنقلب رأساً على عقب، وتجعل كل دولة مجاورة للعراق بل –ربما- حتى أوربا واليابان فضلاً عن الدول العربية والإسلامية الأخرى، تنظر بعين الريبة والتوجس مما ينتظرها من تغيير، في الموازين المختلفة سواء موازين القوى والعلاقات الدولية أو كيفية معالجة الأزمات السياسية القديمة والقادمة، وعلاقة ذلك بالمرجعية الدولية في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، مما سيغير بشكل جذري طبيعة العلاقات والتكتلات الدولية في المستقبل

المنظور[1]، إن الدول التي أيدت ووقفت تتفرج على سقوط نظام صدام، الذي لا يمكن أن ننفي عنه صفة الشرعية رغم مساوئه، ستنظر بعين الريبة والشك الذي قد يصل إلى حد الخوف السياسي وعدم الثقة في النظام الوريث والموالي لأمريكا والراعي الأول لمصالحها في المنطقة، كما أن علاقة عراق ما بعد الحرب، بإسرائيل ستكون هي الأخرى محل جدل ونزاع بين حكام العرب وشعوبهم. يا ترى كيف ستؤول الأمور في السنين القليلة القادمة؟.. وهل سينقلب السحر، أَمْ ستحاول الدول المحيطة بالعراق إيجاد دور آخر، قد يتمثل في اصطفافات طائفية أو عرقية أو سياسية أو غير ذلك من الصور الجديدة التي ستظهر على الساحة بعد اختفاء دور العراق العربي السابق، بكل سلبياته وايجابياته.. عسى أن يقبله التوازن الدولي الجديد، بين القوى المتنافسة على السيطرة على العرب وثرواتهم و، لاسيما

**[1] إن العقيدة السياسية الجديدة في أمريكا التي جاء بها الرئيس بوش وحزبه الجمهوري وأنصاره من اليمين المتطرّف، بدأت معالمها تتضح بشكل تدريجي بعد الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي في تموز ٢٠٠٢ ضمن حملته السياسية على العراق قبل غزوه واحتلاله أمام حشد من العسكريين الأمريكيين في كلية ويست بوينت حيث قال: إن من حق الولايات المتحدة أن تسدّد ضرباتها الوقائية إلى أي أمة تعتقد أنها تمثّل خطراً عليها.. إن أمريكا تملك قوة عسكرية غير خاضعة لقانون المنافسة، وترغب في الاحتفاظ بهذه القوة، وهذا يجعل سباقات التسلح التي عرفتها حقب ماضية غير واردة.**

في المنطقة العربية وحول إسرائيل بالذات. إن هذه كلها أسئلة وتوجسات ينبغي على الدول المحيطة بالعراق والدول العربية المحيطة بإسرائيل أن تسألها لنفسها وتحاول أن تضع إجابات افتراضية لها، لكي تنجح في الامتحان الصعب القادم بعد العدوان على العراق واحتلاله[1].

---

[1] **لقد واجهت كل من إيران وسوريا القسط الأوفر في التهديد والتلويح بسياسة الردع الأمريكية بعد احتلال العراق، ولم يظهر في الأفق حتى الآن برنامج سياسي مضاد للدول المحيطة الأخرى بالعراق وللتوجه الكردي السياسي العام، بل حصل الأكراد بعد الحرب على حصة تجاوزت ما يستحقون، في امتيازات حكم العراق مستقبلاً، نتيجة التفاهم العميق مع المحتل، فضلاً عن خصوم النظام السابق الأخرى، ولكن ذلك لا ينفي أن تتغير إستراتيجية السياسة الأمريكية في العراق إذا ما مسّت المصالح الأمريكية العليا لاسيما في الأشهر المقبلة التي ستضع المصالح وصراع الإرادات للقوى الطامعة في حكم العراق داخلياً وخارجياً على المحك، مما يجعل إي تحالف أو اتفاق سابق بحاجة إلى إعادة حساب وموازنة جديدة، ومع ذلك فإن رياح التغيير التي مرّت على العراق تهدد الكثير من الدول العربية والإسلامية وفق ما تخطط له الإدارة الأمريكية سواء كان ذلك في السعودية ومصر وليبيا والجزائر والسودان فضلاً عن الضغط المباشر والمعلن على سوريا وإيران وكوريا، وإن عقيدة أمريكا وفلسفتها الحالية قائمة على التغيير والتقسيم والتشكيل الجديد وفق متطلبات العولمة والأمركة وباسم نشر الديمقراطية في الشرق الأدنى.**

## الفدائيون والمجاهدون العرب

بعد أن بدأت الحرب على العراق ونتيجة التعاطف الدولي معه والهيجان العربي والإسلامي لشجب العدوان، بدأت جموع من الاستشهاديين العرب تتوافد على العراق من الحدود السورية، وكان أغلب هؤلاء من الأخوة السوريين والبعض الآخر كانوا من مختلف الجنسيات العربية، كاليماني والفلسطيني والأردني والخليجي والسعودي واللبناني والمصري والجزائري والمغربي وغيرهم من المجاهدين العرب والمسلمين. وكان العدد المعلن لهؤلاء ستة آلاف فدائي عربي، لكن مَن رآهم من شهود العيان يقدرهم بأكثر من ذلك، وقد كان هؤلاء الفدائيون العرب متحمسين جداً للقتال. ولقد قاتلوا جنبا إلى جنب مع الشعب والفدائيين العراقيين خلال الأسابيع الثلاثة، وربما نستطيع أن نؤكد أنه من مجموع ستة آلاف استشهادي تدفقوا أثناء الحرب للدفاع عن العراق وأهله وأرضه من أن تدنس من قبل الغزاة، إن أكثر من ثلثي هذا العدد قد أستشهد على طول الساحة العراقية وعرضها من البصرة وحتى الموصل، كما يمكن تقدير عدد الشهداء في المدن والمواقع المهمة، بأن هناك ألفاً منهم قد أستشهد في معارك الناصرية والبصرة وألفاً في النجف وكربلاء والحلة وألفاً في بغداد في المعارك الأخيرة لاسيما في حي العامل والمنصور والأعظمية

والعامرية والمطار والتاجي وغيرها من المعارك البطولية التي استمرت عدة أيام بعد إعلان سقوط النظام[1]. غير أنه من المؤسف أن بعض المتخاذلين لاسيما المرتبطين بالنظام وبعض المدنيين الذين خافوا على عوائلهم أخذوا ينزعجون من مقاومة هؤلاء الاستشهاديين سواء العرب أو العراقيين، والذين استمرت مقاومتهم لما بعد السبت ١٢/ ٤ في عدد من مناطق بغداد، فكان البعض يقوم بتسليمهم إلى قوات التحالف بثمن بخس أو يهددونهم لترك جهادهم والرحيل من حيث أتوا، وفي المقابل بقي معظم الشعب مساندا لهذه الحركة البطولية (حركة المقاومة والجهاد في بغداد والمحافظات) وكانوا يؤونهم

---

**[1] نشرت مجلة ألف باء العراقية أثناء الحرب خبراً عن اجتماع القيادة العراقية وهي تحيي المتطوعين العرب لنصرة العراق وهذا نص الخبر:-**
**حيا الاجتماع الذي ترأسه الرئيس صدام حسين السبت ٢٩/ آذار ٢٠٠٣ وضمّ السيدين طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية وطارق عزيز نائب رئيس الوزراء والرفاق أعضاء قيادة قطر العراق لحزب البعث لطيف نصيف جاسم وقصي صدام حسين المشرف على الحرس الجمهوري وهدى صالح مهدي عمّاش والسيد أحمد حسين خضير رئيس ديوان الرئاسة، حيا المتطوعين العرب الذين انظموا لإخوانهم العراقيين في المواجهة الشريفة ضد المعتدين الأشرار، مؤكداً أن المتطوعين العرب لو لم يأتوا لشكّك البعض في مبادئنا.. مشدّداً على إن العراق ينتظر أبناء الأمة لعربية وكل المسلمين ليقودهم بما يعزّهم ويعزّ أمتهم ويعلي شأن الإسلام في كل مكان من أرض المعمورة.**

ويقدمون لهم المؤن والغذاء والسلاح، وكان هؤلاء الأبطال قد اتخذوا من المساجد مقرات لهم ولانطلاقهم ضد المحتلين لاسيما في الأعظمية والعامرية والمنصور، وبعد أن تراجعت إمكانية المقاومة وأصبحت بغداد في حكم المحتلة وبدأ الغزاة ينتشرون في كل درب وصوب من بغداد، قام أهالي بغداد الشرفاء بمساعدة الاستشهاديين لترحيلهم إلى الحدود الغربية عبر طريق بغداد الرمادي إلى الرطبة والقائم.

وقد حدثني أحد الثقاة الذين كانوا في أحد مراكز تجمعهم في بغداد أن عدداً منهم عندما وزع عليهم السلاح رفضوا استلامه وطالبوا المسؤولين أن يسلموهم أحزمة ناسفة، وقال أنه قد حدّثه أحد هؤلاء الفدائيين العرب، أنهم بعد أن تجمعوا في بغداد وتم تصويرهم في الإعلام العراقي وعرضهم على الصحفيين ومراسلي شبكات الإعلام الفضائية العربية والأجنبية، وبعد أن انتهت المهمة الإعلامية تركوا في البناية دون أن يبقى معهم أحد من المسؤولين لتوجيههم وتهيئتهم للقتال.

وقد كان أكثرهم شباباً في سن العشرينات ومنهم من كان عمره سبعين عاماً ومنهم أطفال وصبية لا يتجاوز عمرهم ١٤ سنة، وأن أحد هؤلاء الأطفال كان قد عبر الحدود تهريباً وبدون علم أهله، وعندما علمت به أمه لحقته إلى بغداد وكان يتخفى عنها من مجموعة إلى مجموعة أخرى. ويذكر أنه كان من بينهم عددٌ قليلٌ جداً من الجواسيس ذكروا منهم أردنيا واحداً. لقد أبدى هؤلاء الفدائيون بطولات نادرة أثناء

القتال، فكان عدد منهم يقوم باقتحام باب الدبابة والدخول فيها وتفجير نفسه مع طاقم الدبابة المعادية، وقام أحدهم برمي الدبابة بالقذيفة الأولى والثانية وعندما نفدت ذخيرته هجم عليها بجسمه، ويروي شهود عيان أن مجموعة منهم تعدادهم بحدود المائة في طريق الناصرية- البصرة أعطبوا في يوم واحد ٤٠ دبابة. ويذكر الذين رافقوهم أنهم كانوا مثال الطاعة والالتزام والانضباط وكانوا من الزهد والبساطة لدرجة أن أحدهم يقاتل يومين وغذاؤه كسرة خبز يابسة في جيبه. ويذكر من كان معهم أن من يستشهد منهم تكون رائحته رائحة المسك، ويقول أن هذه الرائحة الزكية لا زالت في أنفي منذ عشرين يوماً. ويروي أن كل من تم دفنه من هؤلاء الشهداء كان يشير بسبابة إصبعه للتوحيد.

لقد كانت الإدارة العراقية لهم فاشلة، حيث استلموا أكثرهم من الحدود وبعضهم جاء بنفسه وجمعوهم في فندق السدير نوفوتيل في بغداد ضمن قوائم وحسب الروتين، وأخذوا جوازاتهم وحجزوها عند جهة أمنية خاصة، وفي النهاية وبعد سقوط النظام جاء الأمريكان واستولوا على هذه القوائم والجوازات أو معظمها وأصبحت إحدى الأدلة والوسائل المهمة في متابعتهم وتعقب تواجدهم. ثم قام العراقيون في بداية الحرب بنقلهم وتوزيعهم بدون منهجية أو خطة واضحة، فمن قائمة إلى قائمة إلى المعسكرات، وفي المعسكرات أفهموهم أن العراق ليس بحاجة لهم وأن وجودهم هو لمجرد رفع المعنويات. لقد تعرض

هؤلاء الفدائيون لإطلاق النار في المعسكرات عدة مرات. وعندما رفضوا المعسكرات وتوجهوا إلى جبهات القتال تركوهم بدون دليل أو قائد أو خطة ميدانية لعملهم الفدائي. وعندما كانوا يطلبون منهم ذلك، كان الضباط يقولون لهم: انتم استشهاديون وهذا العدو أمامكم.. ثم يتركونهم وينصرفون عنهم. وقد تواترت الروايات وأقوال شهود العيان أن كثير منهم جاء مشياً على الأقدام من السماوة ومن النجف وكربلاء حتى بغداد لاسيما في الأسبوع الثالث وبعد ارتباك الأمور في المدن الجنوبية بعد وصول قوات التحالف إلى بغداد.

لقد قتل كثير منهم غدراً من الخلف، وإن أكثر الشهداء كانت إصابتهم من الخلف. ويذكرون أنه في معركة المطار رمى أحدهم الدبابة الأمريكية وعندما اشتعلت فيها النار صاح الله أكبر، فأطلق عليه أحد المتخاذلين النار من الخلف فقتله.

وبعد سقوط بغداد تذمر بعض الناس منهم -وإن كانوا قلة- واعتبروهم سبب البلاء، وحاولوا التخلص منهم إما بالوشاية أو بطردهم أو بإسماعهم كلمات جارحة، أما الأكثرية من العراقيين فقد أكرموهم وساعدوهم على الاختباء أو الخروج. ويذكرون في شارع حيفا في بغداد أن امرأتين قامتا بإخفاء وتهريب عدد من هؤلاء الفدائيين بعد سقوط بغداد وسيطرة قوات التحالف على المدينة. وفي محافظة الأنبار قدم الناس لهم كل المساعدة وأوصلوهم إلى الحدود قرب مدينة القائم.

وقد تم ترحيل ما لا يقل عن ألف وخمسمائة فدائي برواية شهود العيان من أغلب مناطق بغداد إلى الصحراء الغربية.

## موقف الفدائيين قبل بدء المعركة في بغداد

حدثني شاهد العيان الأخ محمد سالم الزوبعي عن موقف الفدائيين ودورهم في معركة الأعظمية قائلاً: وقع المتطوعون العرب للدفاع عن العراق بين سندان نيران القوات الأمريكية الغازية وبين مطرقة تراجع القوات العراقية في المعركة التي شهدتها مدينة بغداد. فيما اندفع الأبطال العرب وانتشروا في أزقة وشوارع المدينة وهم في خضم النيران الموجهة إليهم يحدوهم أمل الشهادة في سبيل الله التي جاءوا من أجلها. فدور الفدائيين العرب دور كبير وعظيم سيبقى أبناء العراق يذكرونه جيلاً بعد جيل ويتناولون قصص هؤلاء الأبطال في مجالسهم ولا ينسونهم أبداً كلما ذكرت معركة العراق مع قوات التحالف الغازية. فقد أبلوا بلاءً حسناً في جميع المعارك التي خاضوها دفاعاً عن العراق وقد مرت عليهم أيام وساعات عصيبة جداً ذاقوا خلالها المرارة لكي يصلوا إلى حلاوة الشهادة التي جاءوا من أجلها.

لا كما قيل عنهم وشاع في بعض الأخبار التي تناولها الناس قبل المعركة بأنهم جاءوا من أجل الدولار أو من أجل صدام، فقد كنت ألتقي معهم أثناء زيارتهم الإمام أبا حنيفةﷺ قبل سقوط بغداد وهم عائدون من المعارك في أطراف العاصمة ليأخذوا بعض الراحة وفي

يد أحدهم الخبزة وكانت جيوبهم ممتلئة بقطع (الكليجة) العراقية ويجلسون حلقة حلقة ويتبادلون الحديث عن سير المعارك وماذا فعلوا وكيف سيواجهون الأيام القادمة، وقد قال لي أحد الفدائيين يوماً أنه جاء هنا لطلب الشهادة فقط، وحتى أهله لا يعرفون بأنه هنا في العراق، وقال آخر لقد تركت كل ما أملك وجئت لطلب الشهادة وإنني أملك من الأموال ما لا يعد ولا يحصى فأنا لدي رؤوس أموال وشركات مساهمة حتى في الكويت ولا أريد ذكر اسمي. وقال آخر جئنا للشهادة فقط إلا أننا لم نتدرب التدريب الكافي، وقالوا لنا عند مجيئنا إن دوركم هو معنوي فقط إلى آخر الأيام، ونحن كنا نرفض ذلك وأصررنا على المشاركة في هذه المعركة وهذه هي النتائج أمامكم، أنا شخصياً بعد ما رأيت من شجاعة هؤلاء الأبطال وقدومهم على الموت، أشهد لهم أنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه في طلب الشهادة.

لقد فقدوا ثلاثة عشر شهيداً فداء إلى الأعظمية تسعة منهم عرفنا أسمائهم وأربعة مجهولون لم نعرف أسماءهم لأنهم لم يحملوا أي مستمسكات منهم ثلاثة سوريين وآخر سوداني وهم على التوالي:-

١. أحمد المنقرش
٢. محمد نبيل فستقي
٣. محمد الأسعد
٤. مهند إبراهيم الحسن
٦. موسى إبراهيم الدريكار
٧. خالد سعيد الخطيب
٨. إسماعيل محمد المهد
٩. إسماعيل أحمد العمر

٥. مأمون موسى مصقى

إضافة إلى الأربعة المجهولين.

وقد جاء بعض أهل هؤلاء الشهداء ليعرفوا مصير أبنائهم بعد أن عرفوا خبر استشهادهم وكنت حاضراً ذلك الموقف عندما جاء أهل الشهيد (مهند إسماعيل الحسن) من سوريا يبحثون عنه وهم يحملون صورته، وقد أخبرناهم بأنه نال الشهادة، فما كان من والده الذي كان يتوكأ على (عكّازتين) إلا أن فرح فرحاً كبيراً وحمد الله وكبره وقال سآتي غداً صباحاً وآخذ ابني معي إلى سوريا وسأعمل فرحاً كبيراً هناك، الحمد لله الذي شرفني بشهادته وفعلاً جاء في صباح اليوم التالي وحفر القبر ليخرج جثة ابنه واجتمع الناس حوله ورأوه كالبدر تفوح من قبره رائحة المسك ولم تتعفن الجثة ولا زال الدم يسيل من مكان الإصابة وكأنه جرح تواً، وكان ذلك أمام مرأى أكثر من شاهد في جامع الإمام الأعظم.

والحالة الثانية كانت لأحد الشهداء العرب في القطر السوري واسمه إسماعيل أحمد العمر، وحصل له كما حصل لمهند، وقال قريبه نحن نعرف خبر استشهاده وعملنا فرحاً له في (الضيعة) ولكن لا نعرف أنه قد دفن في حدائق الإمام الأعظم وسأعود إلى أهلي وأخبرهم بذلك وسنعمل فرحاً ثانياً بهذا الخبر فإنهم أخبروني بجلب الجثة معي لأنهم لا يعرفون أين دفن، وإن هذا لشرف كبير لنا أن يدفن أحد أبنائنا في

وسط الإمام الأعظم، الحمد لله على هذا الحال وعلى كل حال، وأخذ صورة مع ابن عمه في الأعظمية.

لقد قام هؤلاء الأبطال من بني عمومتنا بالدفاع عن الأعظمية وكأنها واحدة من أعز مدنهم التي يعتزون بها في بلدهم وأبلوا بلاءً حسناً، سيكتب التاريخ لهم ذلك بأحرف من نور وسيذكرهم جميع من يحب هذه المدينة، نعم إنهم أبطال بحق فقد قاتلوا حتى الموت رغم كل ما قيل عنهم وما سمعوا، فهم يعرفون جيداً لماذا جاءوا إلى هنا، لقد جاءوا لطلب الشهادة وقد نالها أكثرهم بفضل الله عليهم وكانت حصة الأعظمية ثلاثة عشر شهيداً احتضنتهم تحت تربة الجامع وضمتهم في قلب جسدها الإسلامي الجريح لتقول لهم أنا أمكم وأنتم أولادي، نعم فإنهم أولاد نجباء صالحين جاءوا للدفاع عن أمهم ودفعوا لها أغلى ما عندهم كما سنلاحظ ذلك في صورهم البطولية.

# من صور البطولة والتضحية في بغداد

**الصورة الأولى** لفدائي لبناني اسمه (محمد أبو نبيل)، وقد اتخذ ذلك الفدائي البطل موقعاً له أمام جامع الإمام الأعظم في النفق الموجود في الساحة مترصداً إحدى الدبابات القادمة من جهة الشارع المؤدي إلى باب المعظم، وبمجرد ظهور تلك الدبابة أسرع لها وهو يكبر ويصيح الله أكبر الله أكبر وتنحى لها من مكان قريب بإطلاقة صاروخية من قاذفته فحرقها وهو يصيح الله أكبر فتراجع الرتل متخاذلاً مسرعاً ليبادر المدرعة الثانية راكضاً مسرعاً حولها وهو يرمي الرمان الواحدة تلو الأخرى متجهاً نحوها لا يبالي الموت والناس يكبرون وصوت المؤذن يعلو بتكبير وهو يتقدم حتى جاءت الطائرة مسرعة نحو ذلك الفدائي البطل وهي ترشق برصاص الغدر متجهة نحوه فما كان منه إلا أن اتجه إلى الإمام راكضاً فوجد الباب الصغير قد أغلق فتسلق الباب والطائرة فوقه تماماً وقد أمطرته برصاصات الغدر فسقط من الباب على وجهه وهو يكبر لافظاً أنفاسه الأخيرة، وقد روى الشاهد عنه بأنه وضع يده اليمنى على ركبته وهو يرفع إصبعه معلناً الشهادة في سبيل الله فهنيئاً له تلك المنزلة.

**الصورة الثانية** لأحد الفدائيين ولا نعرف اسمه حيث اختفى ذلك البطل خلف الصورة الكبيرة لصدام التي تقع في الساحة القريبة من الجسر،

وبمجرد أن دخلت القوات الغازية في الشارع خرج وهو معصوب الرأس وقد أثنى ركبته وأخذ وضع الرمي بسلاحه المحمول على كتفه (القاذفة) وهو يصوبها نحو العدو فلم ترمي تلك القاذفة ولا أعرف لماذا –كما قال الشاهد على ذلك الموقف- فثقّبه العدو على طول جسده برصاصات المدفع الرشاش المحمول فوق المدرعة وأرداه شهيداً وهو يصرخ الله أكبر الله أكبر ولم يكمل كلمة أكبر الثانية حتى اختاره الله تعالى عنده لكي يلفظها أمامه سبحانه وتعالى.

**<u>الصورة الثالثة</u>** لأحد الفدائيين السوريين ولا نعرف اسمه وقد اختفى ينتظر رؤية العدو في أحد الأزقة الضيقة قرب محل (باتا القديمة) وهو يقول إني أقسمت أن لا أرجع إلا أن أموت شهيداً في العراق، وهو يتربص دخول الناقلات المعادية في ذلك الزقاق الضيق وما إن رآها حتى أسرع راكضاً نحوها وهو يرمي عليها رمانات يدوية كانت معه -حسب ما يرويه الشاهد- بعد أن تمكن من الوصول إلى القرب منها وتدحرج تحتها وفجر نفسه وانفجرت تلك الناقلة واحترقت هي ومن فيها وهو يصرخ ويردد كلمة الله أكبر لا إله إلا الله، وعندما رأت القوات الغازية هذه الصورة أمامها وقد تناثرت أشلاء جسده الطاهر ولم يبق له أثر سوى بقع قليلة امتزجت مع رماد ناقلة العدو أصيب الأعداء بالذعر مما أفزع المدرعات الباقية في الرتل التي بدأت تطلق النار دون وعي حتى أنها أطلقت قاذفة منها إلى تلك الحارة (الدربونة)

وفتحتها إلى الجبهة الثانية ودمرت أكثر من منزل داخل تلك (الدربونة) خوفاً من خروج الفدائيين منها ثانيةً.

**الصورة الرابعة** وكانت لأحد الفدائيين العرب وهو يجوب أبواب بيوت الحارة يطلب منهم الصعود لكي يرمي القناص الأمريكي الذي يقف في المنارة والذي قتل أكثر الفدائيين ولا يجد أحد يفتح له الباب فجاء مسرعا يتظلل الجدران ليقترب من ذلك القناص واختبأ خلف منظومة الرادار الموجود في الحديقة داخل السياج الخلفي للجامع، وحين توجه إلى ذلك القناص الأمريكي ليرميه بصاروخ القاذفة التي معه استطاع القناص الأمريكي من إصابته برصاصة في جبينه فأرداه شهيداً، ثم جاءت الطائرة لتضرب تلك المنظومة بصاروخ فحرقتها وهو ملقى بجانبها، وبعد انطفاء النار في تلك المنظومة وجد ذلك الشهيد ولم تؤثر عليه نار المنظومة وقد رفع سبابته موحداً الله كما شاهد الجميع عند إخلائه من المكان الذي استشهد فيه.

**الصورة الخامسة** والتي رواها الأخ صالح بن قيس الأعظمي، يقول كنا واقفين ننتظر دخول العدو إلى المكان الذي نحن فيه، وكان معنا أحد الأبطال ويحمل الجنسية الأردنية وكنا في رأس سوق (النزيزة) قرب سمير الصائغ ونحن ننظر ونسمع صوت التبادل الناري على بعد قليل من المكان الذي نحن فيه وما هي إلا دقائق حتى دخلت دبابات العدو إلى الشارع الذي نحن فيه فأسرع ذلك الفدائي البطل ليضرب

تلك الدبابات بصاروخ قاذفة فأصاب إحداها وأحرقها وعاد إلينا مسرعاً وهو يكبر الله أكبر ولا يعرف بأن لهيب تلك القاذفة قد أصابه هو أيضاً فأحرق بعض وجهه حتى أخبرناه بذلك فطلب الدخول إلى البيت ليغتسل ويرى وجهه فاصطحبناه إلى البيت فغسل في الحمام ومشط شعره وهو يبكي ويقول أريد الشهادة لا أريد أن أرجع إلى بلدي. فسأل عن أصحابه الفدائيين فأخبرناه عن مكانهم في مدرسة صنعاء، في هذه الأثناء تذكّر جوازه، فقال لقد أضعت جوازي (الباسبورت) وأظنه سقط في أرض المعركة مع المحفظة فذهبنا إلى المكان وبدأنا نسأل عن الجواز فوجدناه عند أحد أبناء المنطقة وهو الأخ منتصر وقد احتفظ به مع المحفظة التي تحتوي على الجواز وبعض الأوراق ومائتي دينار أردني، فذهبنا مسرعين إلى ذلك الفدائي نخبره ونبشره بذلك، فقال إنني قد أقسمت على نفسي أن من يجد الجواز ويجلبه لي سأعطيه مائة دينار أردني مكافئة له فرد منتصر عليه قائلاً: ما هذا الكلام (مو عيب) فأصر على ذلك وما كان من منتصر إلا ليأخذ تلك المائة دينار منه ثم يعطيني تلك المائة دينار لإعادتها إليه لكي لا يحنث في قسمه، وفي هذه الأجواء الأخوية بين حموم النار وأصوات القذائف والرصاص تشابك الجميع وهم يبكون ويرددون: الله أكبر الله أكبر.. بعد ذلك ذهب الفدائي ولا يريد ذكر اسمه مع جماعته إلى حيث لا نعلم.

**الصورة السادسة والأخيرة** وكانت لأحد الفدائيين بعد المعركة في السوق مع أحد أطفال العراق وهو ابن أحد القصابين ويدعى محمد فاروق العبيدي والتي نقلها لي عمه خضر العبيدي حيث قال دخل أحد الفدائيين العرب إلى السوق ليشتري بعض الحاجات فوقف عند دكّان ذلك القصاب الذي ترك ابنه عمر فقال له أعطني كيلوين لحم، فسأله ذلك الصغير أنت من الفدائيين العرب فقال نعم من سوريا، فأسرع ذلك الصبي إلى أجود ما عنده من اللحم ووزن له كيلوين وأعطاها له وهو يكبر الله ويقول له أنتم أبطال ولا يرضى أن يأخذ منه مبلغ اللحم، فبكى ونظر إلى ذلك الطفل الصغير وهو يقول إن لم يكن فينا خير فسيكون فيكم إن شاء الله وغادر المكان قبل أن يتعرف عليه أحد.

هذه الصور التي نقلتها لكم والتي تربط أبناء هذه الأمة الواحدة الجريحة بعضهم ببعض فهم جسد واحد أمام ذلك العدو الغازي الذي لا يفرق بين أعضاء ذلك الجسد، وقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال: (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

# عملية دفن الشهداء في مقبرة الجامع

بعد أن انتهت المعركة وانسحبت القوات الغازية من المنطقة بدأ الناس يخرجون إلى الشوارع لينظروا ماذا حل بمدينتهم الحبيبة وماذا حصل للفدائيين فوجدوا أكثر معالم المدينة قد دمرت والنار تلتهمها ولا مغيث سوى بعض الشباب المتطوع الذي أخذته الحمية وتأججت عنده الشهامة فقاموا بجمع الشهداء والتحري عن أسمائهم والبحث عنهم في جميع أزقة المدينة والتأكد من استشهادهم ونقل الجرحى إلى المستشفى وتهدئة الأوضاع وحمل الأمور على محمل الجد، وقد تعدى ذلك إلى خارج المدينة أيضاً فذهبوا إلى الطرق السريعة للبحث عن جثث الشهداء ودفنهم، فهذه هي أول وأهم مهمة لابد من القيام بها بعد المعركة، وكان عدد كبير من المتطوعين الشباب وهم متحمسون في تقديم أي عمل يطلب منهم في هذه الساعة، وكان على رأس هؤلاء الشباب الأخ محمد بطاوي والأخ محمد الشالجي اللذان قاما بدور مهم في دفن الشهداء وتسجيل أسمائهم وفتح سجل لهم لتوثيق عناوينهم وإيصال خبر استشهادهم إلى ذويهم لاسيما الفدائيين العرب. وقد تمكن هؤلاء الشباب الأبطال بفضل الله من تجهيز الأدوات لحفر القبور وخلال ساعات معدودة لتكون جاهزة لدفن هؤلاء الشهداء الأبطال من العراقيين والعرب، فكانوا يركضون ويعملون كخلية نحل واحدة فهذا

يحفر وهذا يركض وهذا يكبر وهذا ينظف وهم في روح إيمانية لا يمكن للقلم هنا أن يصفها فهم أكبر من أن يوصفوا أو أن يمتدحوا بما قدّموا من عمل يحق لكل عراقي أن يفتخر به فهم الذين حملوا السلاح وهم الذين دافعوا وهم الذين يدفنون شهداءهم، حتى رأيت أحد هؤلاء الأبطال وهو يأتي بجثة أحد الشهداء وهو يحمله بعربة الحمل كي يوصله إلى جامع الإمام الأعظم ليسلّمه إلى المجاهدين المتطوعين من الشباب الذين تجمعوا للقيام بمهمة دفن الشهداء وهو يبكي ويكبر وهم يبكون وكأن هذا الشهيد هو أحد أبنائهم، هكذا كانت الروح الإيمانية لدى هؤلاء الشباب فعظم الله أجرهم وألحقهم برفاقهم في دروب الشهادة إنه على كل شيءٍ قدير.

## ظاهرة الاستسلام والأعلام البيض على البيوت والسيارات

بعد سقوط بغداد مباشرةً قام البعض برفع أعلام بيض على البيوت والسيارات[1]، والجدير بالذكر أن أغلب من وضع الأعلام البيض تعبيراً عن الاستسلام لقوات الاحتلال كانوا من المتخاذلين والواهنين وأذناب النظام المندحر، أما الشرفاء والأبطال فقد واصلوا رفضهم للاحتلال وشجبهم للغزو حتى النهاية وهم الأغلبية، وقامت مظاهرات عديدة تندد بالاحتلال وبأعمال السلب والنهب التي دعمها الغزاة وبالتخاذل والاستسلام، وإن من المظاهرات التي حدثت في بغداد هي

---

[1] **في لحظات السقوط ولحظات الرعب والاحتلال العسكري ودخول الجنود في الأحياء والمدن يشعر بعض الناس بالخوف المرضي والرعب الهستيري ،كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى:** ﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴾. **(سورة النمل/ ٣٤)..**

**مما يدفع البعض –كرد فعل للحفاظ على النفس وتجنّب القتل والإهانة والاعتداء المتوقّع من جنود الاحتلال– إلى تصرفات عفوية غير متّزنة وربما خائفة وطائشة، كان منها رفع الأعلام البيض على أسطح البيوت وعلى السيارات، ولقد كان الكثير من العراقيين الصابرين الشجعان ينصح هؤلاء، بأن ذلك نوع من الذلّة التي لا ينبغي للعراقي والمسلم أن يفعلها، وكان البعض يستجيب ويزيل العلم ويصبر على العدوان ويستعين بالله على ظلم الاحتلال.**

مظاهرة الأعظمية بعد صلاة الجمعة ليوم ٤/١٨ تشجب الاحتلال والتدمير الذي تعرض له البلد، وتدعو إلى إقامة حكومة إسلامية لا سنية ولا شيعية وإنما تضم الجميع لإعادة النظام والحياة إلى هذا البلد المنكوب، وقد سبق هذه التظاهرة الضخمة مظاهرة أخرى في الأعظمية والكاظمية عصر الخميس ٤/١٧ حيث شارك فيها جمع كريم من علماء الشيعة ومثقفيهم في الكاظمية مع علماء السنة في الأعظمية والتقى المتظاهرون على جسر الأئمة ثم ساروا مجتمعين حتى ساحة عنتر، كما قامت مظاهرات يومية منذ الأحد ١٣/ ٤ أمام فندق مريديان حتى نهاية شهر نيسان حيث تتمركز قيادة قوات التحالف ووسائل الإعلام والصحف والقنوات الفضائية العالمية في بغداد، وكنت قد شهدت هذه المظاهرات ليومي الأحد والاثنين ١٣-٤/١٤ وهي تندد بالعدوان والاحتلال وتطالب بجلاء قوات التحالف من العراق.

# أصحاب الفيل

[ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول] (سورة الفيل).

من المعلوم أن الحزب الجمهوري الأمريكي الذي ينتمي إليه الرئيس الأمريكي بوش وإدارته الحالية هو الحزب الذي أيد مشروع الحرب على العراق وأغرى الشعب الأمريكي بالثروة النفطية والطبيعية الهائلة في العراق، وروج لفكرة تصدير الديمقراطية الأمريكية إلى خارج أمريكا وتدعيم العولمة وفكرة أمركة العالم، وكان اللوبي الصهيوني هو المحرّض الأكبر والقوة الدافعة والفاعلة لهذه التوجهات الاستعمارية الأمريكية والمستفيد الأكبر من غزو العراق واحتلاله. والمعلوم أيضا إن شعار الحزب الجمهوري هو الفيل، فهم أصحاب الفيل في أمريكا أي أصحاب الفيل في العصر الحاضر، يربطهم بأصحاب الفيل الأحباش في عصر المولد النبوي أن شعارهم واحد هو الفيل، وكلاهما قد اقترف جريمة الغزو والعدوان على أرض العرب ومقدسات المسلمين، فأبرهة الحبشي نظير بوش الأمريكي، وإن غزو مكة من قبل جيش أبرهة المدجج بالسلاح والعدة والعدد الكبير من الجند والمرتزقة، يقابله غزو قوات التحالف وجيوش بوش وبلير المدججة بأحدث الأسلحة والتكنولوجيا المحرمة وغير المحرمة،

جاءوا بعدتهم وعددهم عبر البحار والمحيطات، يدفعهم الهاجس الاستعماري واجتياح العراق الصابر، مستخدمين مختلف الحجج والذرائع والتزييف الإعلامي والحرب النفسية لتحقيق هدفهم الخبيث في احتلال العراق ونهب ثرواته وربطه بعجلة النظام الدولي الجديد الذي تتزعمه أمريكا. وإذا كان عبد المطلب جد النبي ﷺ وأمير مكة وزعيم قريش يومها قد أجاب أبرهة حينما طالبه بأن يعيد له إبله، فقال له أبرهة ظننتك جئت تسأل عن مكة وتدافع عنها أو ترجو عدم تدميرها وهدم الكعبة، فإذا بك تسأل عن الإبل، يا لك من شيخ خرف.. فأجابه عبد المطلب: إنما أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً يحميه.. فضحك أبرهة مستخفا بقناعة عبد المطلب ونظرته الغريبة لحماية البيت العتيق وكعبة الله في الأرض، وما هي إلا ساعات حتى بدأ الذعر والخوف يدب في جيش أبرهة، بعد أن رأوا أن الطير الأبابيل بدأت ترميهم بالحجر وتفلقهم إلى نصفين فهلك أبرهة وجيشه، وكذلك كان الله سبحانه مع العراق في تصديه للعدوان، فيما حدث لجيش بوش في الأسبوع الأول بعد اجتياح العاصفة الرملية لجيشه المدلل في الصحراء لمدة ثلاثة أيام، والتي دمّرت وخرّبت أجهزتهم ورادارا تهم ومعداتهم وأحاطتهم بدوامات هوائية خانقة ورياح رملية، جعلت أهل العراق يتذكرون يوم الأحزاب حينما حاصر المشركون المدينة المنورة، وكيف أن الريح العاتية التي أرسلها الله دكت حصونهم

وقدورهم فاضطرتهم إلى الرحيل عن المدينة وفك حصارها، وقد حاول العراقيون استغلال هذه العواصف الربانية ومناقلة الجيش والحرس الجمهوري والفدائيين بين بغداد وجبهات القتال في الجنوب، وقد كانت هذه المناقلة العسكرية فرصة ذهبية لتكبيد العدو خسائر جسيمة وتقوية الدفاعات العراقية في البصرة والناصرية والنجف والحلة والكوت وحول بغداد، وتم بعدها تكبيد العدو خسائر غير متوقعة، جعلت الأمريكان يفكرون جديا بمراجعة خططهم وتغييرها جذريا كما حدث فعلا، حينما التجؤوا إلى الاستخدام المكثف للأسلحة المحرمة في معارك بغداد الأخيرة، وصنعوا غطاء إعلاميا لإخفاء جريمتهم وضعفهم، وذلك بتحجيم دور الإعلام العالمي المحايد، ليخفوا جرائمهم ولكي يقولوا للعالم أن العراق استسلم دون قتال لكي يتم تشويه صورة الشعب العراقي وبسالته، ولكن هيهات، فإن الله سبحانه الذي خذل جيش أبرهة ونصر أهل مكة على أصحاب الفيل قبل خمسة عشر قرنا، هو أكبر وأقوى من قوات التحالف وسينصر هذا الشعب العظيم على الغزاة الطامعين ولو بعد حين[1]، وقد جعل الله سبحانه من

---

**[1] إن تزايد وتيرة المقاومة العراقية كماً ونوعاً لهو أكبر دليل على وعد الله لأصحاب الفيل أن يخسروا ويخيبوا في غزوهم لهذا البلد الآمن ولو بعد حين، وهكذا حدد الأمريكان هذا الحين في ٢٠٠٤/٧/١ أو قبله أو بعده حين**

العاصفة الرملية والانتصارات الكبيرة في معارك أم قصر والفاو والبصرة والناصرية والسماوة والنجف وبغداد والأنبار آيات بينات على وعده بالنصر لأهل الحق والمؤمنين بوعد الله ونصره حين يأذن الله سبحانه كما اخبرنا في سورة الفيل وفي آيات كثيرة في قرآنه العزيز.

## الحرب العاصفة:

إن هذه الحرب الغاشمة الظالمة التي اجترأت فيها أمريكا على الله والإنسانية وعقرت ناقة الشرعية الدولية هي حرب عاصفة بحق بكل شئ من حولها، لقد عصفت هذه الحرب البربرية المدمرة التي افتقرت إلى الشرعية والأخلاقية والتي سيتحمل وزرها كل من شارك في الإعداد لها وتمويلها وتقديم التسهيلات لها، لقد عصفت هذه الحرب بأركان النظام العالمي والمنظمات الدولية والعربية والإسلامية التي كانت تبدو وكأنها مؤسسات هزيلة فاقدة الحياة والفعل السياسي أمام الطغيان والغطرسة الأمريكية لفتح باب العراق بهدف السيطرة على العالم والهيمنة على مقدرات الشعوب والدول في شتى الأصقاع

---

**يأذن الله بالنصر المبين والخزي للمعتدين المحتلين، ولعل الله يرينا في بوش وحزبه سقوطاً سريعاً في الانتخابات الأمريكية القادمة.**

والأنحاء. لقد انتهى دور منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ولم يعد لها دور أو قوة فاعلة في الأحداث المقبلة وفي حل المشاكل الدولية في المستقبل لوقوعها في زاوية الشلل السياسي لتفعيل قراراتها وإلزام الدول بها، بعد أن تركتها الولايات المتحدة وراء ظهرها في عملية ضرب العراق واحتلاله. لقد عصفت هذه الحرب بأمريكا وديمقراطيتها ومثلها واحترامها لحقوق الإنسان وسيادة الدول والتزامها بالقانون الدولي ومواثيق المنظمات الدولية وفي مقدمتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن، واحترامها لأجهزة الإعلام العالمية الحرة. وكشفت الروح الاستعمارية الإمبريالية التي تجذَّرت واستقرَّت في قلوب رؤسائها وقادتها ومؤسساتها.

كما عصفت هذه الحرب بمصداقية الحضارة الأمريكية وديمقراطيتها وقدرتها على إقناع العالم المتحضر بالحذو تجاه النموذج الأمريكي الذي فقد الشرعية والمصداقية في دعوته الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان داخل أمريكا بعد أحداث ١١ أيلول وخارج أمريكا بعد ضرب العراق. وأصبحت الحضارة الأمريكية والنظام الدولي الجديد والعولمة في أسوأ وأضعف حالاتها وقدرتها على إقناع العالم بأهمية مفاهيمها بعد موت القوة الذاتية الفاعلة لها أمام المنطق الهمجي الذي فرضته أمريكا على العالم في تعاملها مع الدول والأزمات ومعالجتها الكيفية والمزاجية لهذه الأزمات، فيا لها من خسارة عظمى للحضارة

الأمريكية وانحدار مظلم وسحيق للمنهج الأمريكي وتداعياته بعد هذه الحرب اللاشرعية العاصفة بكل المفاهيم الخيرة في الحضارة البشرية، إنها مرحلة انحطاط الإنسان ونظرته البربرية للسياسة والاقتصاد والدين والاجتماع. إنها عودة للقرصنة وشريعة الغاب التي كانت سائدة في أوربا في القرون الوسطى الهمجية، تلك هي جريمة أمريكا الكبرى في مطلع القرن الواحد والعشرين دفعتها نحوها الروح الاستعمارية والغطرسة والطغيان الذي نفخته فيها العقلية الصهيونية الشريرة التي تطمح إلى السيطرة على العالم من خلال الأخطبوط والنموذج الأمريكي الغاشم. ثم عصفت هذه الحرب بصدام حسين ونظامه الدكتاتوري المتحجر الذي أراد أن يكون فرعون العصر وأن ينصب من نفسه في العراق بديلا عن الله سواء أكان يعلم أم لا يعلم، وعصفت بحزبه الذي كان أفسد منه، حكم البلاد أكثر من ثلاثين عاما بالحديد والنار وبالاستبداد واستعباد الشعب حسب نظرية الحزب الواحد المتعسفة، وقد قتل صدام وحزبه روح الإبداع والعمل والتحدي والبناء بتلك الروح الفردية والنظرة المصلحية والنفعية، حين كان الولاء لصدام أساسها دون أي اعتبار للأمانة والكفاءة والخبرة، مما أدى إلى تفشي الفساد الإداري والرشاوى والسرقات وقتل العقول المخلصة والعاملة والمبدعة وهجرتها إلى ما يشاء الله بحثا عن الأمن والرزق والحرية، فكانت النتيجة المرّة المتوقعة هزيمة النظام وحزبه

خلال الأيام الأولى -كما توقع الأمريكان- لولا إن أصالة الشعب العراقي ورصيده الأخلاقي الكامن وغيرته على وطنه ودينه ضد الاحتلال الأجنبي، هي التي أخّرت السقوط بل حولته إلى نصر، ولقد عزّ على الأمريكان تحقيق أحلامهم إلا باستخدام السلاح النووي وأسلحة التدمير الشامل المحرمة، فشهدت الأسابيع الأربعة، أسبوعين لصالح الشعب العراقي، ذاق الأمريكان مرّ الهزيمة فيهما، وأسبوعاً ثالثاً اضطر الغزاة إلى استخدام الخطة البديلة للصدمة والترويع باللجوء إلى الأساليب القذرة والأسلحة المحرمة، والأسبوع الأخير الذي كرّسه الغزاة للسلب والنهب والتدمير والإحراق على يد عصابات السلب والنهب من داخل وخارج البلد وبمساعدة وتشجيع قوات الاحتلال، للانتقام من الشعب وتدمير بنيته التحتية ووثائقه وكتبه ومتاحفه وجامعاته ومدارسه تماما كما فعل هولاكو وجيشه المغولي قبل سبعة قرون في بغداد العباسية، فتلوثت مياه دجلة باللون الأزرق والأحمر، لامتزاجها بأحبار الكتب ودماء الشهداء، وما أشبه اليوم بالأمس، فبوش هو شبيه هولاكو، وهمجية الأمريكان تشبه إلى حد كبير همجية المغول، وشعب العراق كان محروما فقيرا في الحالين، وغنى صدام لا يشبهه إلا غنى المستعصم وخزائنه التي كانت ممتلئة، والمتآمرون والخونة والبطانة الفاسدة حوليهما هم أنفسهم أو هم اليوم

أحفـاد أولئـك المتخـاذلين الـذين تحـالفوا مـع هولاكـو لإسـقاط بغـداد وحضارة الرشيد.

لقد عصفت هذه الحرب أيضاً بكل الحكام العرب المستبدين والعملاء، وسيلمس هؤلاء أثر ذلك العصف الذي سيهز أركان حكمهم في الفترة القادمة[1]، لعدم امتلاكهم الحس والقدرة على الارتقاء لفهم الشارع العربي وهمومه واحترام الفرد العربي والتقرب إليه ومعرفة دواخله وآلامه، إن تداعيات هذه الحرب ستعصف بأشكال الحكم وأنماطه

---

**[1] سرعان ما ظهر أثر هذه الحرب على عدد من الدول العربية والإسلامية وأحست بالخطر الخانق الذي يتهددها سواء بفعل التهديد الأمريكي أو تفجّر ظاهرة العنف والإرهاب، كما نرى في إيران وسوريا وتركيا والسعودية ومصر وموريتانيا والسودان والمغرب وغيرها من الدول التي تواجه عواصف التغيير سواء بالماكنة الأمريكية أم بردّ الفعل التلقائي لتداعيات وإفرازات احتلال العراق وأفغانستان. وما إعلان ليبيا فتح أبوابها أمام لجان التفتيش النووي الدولية في أي وقت ومكان واستعدادها للتخلي عن برنامجها النووي وتفكيكه طوعاً ودون أي شروط أو ضوابط بعد أقل من شهر من إعلان اعتقال الرئيس العراقي، كما صرّح الرئيس القذافي في مطلع عام ٢٠٠٤م، ثم ما جرى بعد ذلك بأيام في باكستان من اعتقال العلماء النوويين، كان من بينهم العالم النووي عبد القدير خان واتهامهم بتسريب الأسرار النووية إلى كل من إيران وليبيا، وغيرها من التداعيات التي تواجهها دول الشرق بعد الحرب العاصفة التي انتهت باحتلال العراق وإسقاط نظامه الحديدي.**

الهزيلة وتبعيته للأجنبي وعدم قدرته على التحرر من قيوده وأوثاقه وسياقاته الشكلية التي لا فعل لها ولا أثر على الساحة العربية، والذي يحصل في فلسطين الآن وما حصل في العراق أكبر مؤشر على فشل الأنظمة العربية والحكام العرب في مواجهة التحدي الذي يعيشه العرب اليوم في الهجمة الاستعمارية الصهيونية المسعورة والتي اتخذت من غزو العراق منطلقاً عسكرياً لها.

وقد عصفت هذه الحرب بالأحزاب والمنظمات الإسلامية والقومية والعلمانية في تصور ما يمكن أن يحل بأي دولة عربية أو إسلامية فيما إذا توجه إليها المارد الأمريكي الصهيوني بحجة الإرهاب أو توفير الحرية والديمقراطية أو غيرها من المسميات التي يتذرع بها الأعداء لمحاربة الأمة وتدميرها.

إنها الحرب العاصفة التي لا تبقي ولا تذر لأحد أية قوة أو استقلال أو سيادة على ماله وعرضه وأرضه وأوطانه، إنها حرب الشيطان ضد الشعوب والأوطان وضد الخيرين من أولياء الرحمن وضد كل إنسان حر شريف يؤمن بالعدل والخير والحرية ويريد للناس أن يعيشوا كما يريد الخالق سبحانه أمماً وشعوباً وقبائل متنوعة مختلفة المشارب والأفكار لكي يتعارفوا ويتعاونوا لبناء حضارة الإنسان على الأرض، ولكن أتباع الشيطان لا يسمحون.. قال تعالى:

[يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير]. (سورة الحجرات / ١٣).

ترى ما هي أهداف الحملة الأمريكية الحقيقية على العراق وما هي الدوافع الرئيسية لغزوه؟ هل هي لاحتلاله والسيطرة على ثرواته وفي مقدمتها النفط والزئبق الأحمر واليورانيوم والكبريت والفوسفات وغيرها من المعادن الثمينة؟ ومن المعلوم أن العراق يحتوي على ثاني أكبر مخزون نفطي في العالم،كما إن النفط العراقي يعد من أجود أنواع النفط في العالم أيضاً.

أم إن الهدف الأساسي لاحتلال العراق هو توفير الضمان الإستراتيجي للأمن القومي الإسرائيلي وتوفير الجو المناسب لإحداث تغييرات أساسية في سياسة التطبيع والسلام العربي الإسرائيلي بالآلية التي يريد الأمريكان والصهاينة فرضها على العرب في المرحلة القادمة، تمهيداً لتوفير الاستقرار السياسي لإسرائيل وتفعيل السوق الشرق أوسطية بقيادة إسرائيلية وإشراف أمريكي.

أم إن الهدف الإستراتيجي الخفي والأكثر أهمية هو تطويق القطب الأوربي الموحد وربما روسيا بالذات التي خسرت الحرب الباردة بعد تفتيت الاتحاد السوفييتي وحلف وارشو في مطلع التسعينات، وإن حرب العراق ما هي إلا مرحلة جديدة ومتطورة من مراحل الحرب

الباردة التي لم تنتهِ بعد، من وجهة النظر الأمريكية، ومن ثم القضاء على الترسانة الصاروخية النووية والإستراتيجية التي تهدد أمريكا، أمريكا التي لم تعد تكتفي بموقع الصدارة بين الدول العظمى بل أخذت تستشرف دور الانفراد بالقرار الدولي لقيادة العالم والسيطرة الكاملة على مقدراته من خلال مفاهيم العولمة والنظام الدولي الجديد، بعد أن تمكنت من فتح بوابة الأمركة وتفتيت الأمم المتحدة وإلغاء دورها وفرض اللاشرعية التي ستكون حتماً من التداعيات المهمة والسريعة لحرب العراق واحتلاله، فالعراق وفق هذا المفهوم ليس هدفاً بحد ذاته[1]، شأن أفغانستان وكوسوفو، وإنما وسيلة سياسية وعسكرية لإحاطة روسيا وأوربا بحزام أمني خطير يتشكل من أفغانستان

---

**[1] لقد نشر في بغداد كتاب عنوانه (زارعو الفطر) تأليف حكيم السامرائي والذي طبع في ١٢/١٠/٢٠٠٣م، وهو يتحدث عن نية الإدارة الأمريكية لتصنيع قنابل نووية صغيرة كتلك التي استخدمت ونجحت في معركة المطار في حرب العراق لغرض استخدامها في الحروب القادمة في إستراتيجية عسكرية جديدة لإخضاع أوربا والعالم للهيمنة الأمريكية، ويشير هذا الكتاب إلى موافقة الكونجرس لإنتاج هذه القنابل النووية الصغيرة والمحدودة التأثير فضلاً عن أنواع أخرى، منها ما أطلق عليها اسم أم القنابل لكفاءتها التدميرية ضمن رقعة معينة وغيرها، ويقول الكاتب إن العراق لم يكن مقصوداً لذاته وإنما كان احتلاله خطوة في برنامج حروب عديدة لتحقيق الأهداف الأمريكية الإستراتيجية، أي انه كان معبراً لما بعده من أحداث سياسية وعسكرية هامة.**

والعراق وتركيا وكوسوفو وإسرائيل. فبمجرد إقامة حلف أمريكي لهذه الدول حول روسيا وأوربا فضلا عن دور النفط والتحكم الكلي بالاقتصاد العالمي ستكون أوربا -وروسيا بالذات- قد وقعت في الفخ، وسوف لن تقوم لأوربا الموحدة قائمة بعد تنفيذ هذه الإستراتيجية... وقد تكون هناك أهداف أخرى عديدة، ولكننا نؤمن بأن مكر الشر والشيطان كان ضعيفاً، وسيكون الله سبحانه وسننه وقوانينه التي تعمل في بناء وهدم الدول والحضارات وفق قانون الأسباب الإلهي، بالمرصاد لهذا الشر المستطير. وقد أدرك العالم بعد الحرب أن أمريكا ستحاول ممارسة منطق الثور الأبيض وسياسة القضم في القضاء على خصومها ومعارضيها في العالم الواحد تلو الآخر.

إن الإعلام الأمريكي الذي اشتهر خلال هذه الحرب بالكذب والخداع والتزييف وقلب الحقائق سيحاول بكل ما أوتي من قوة وجبروت أن يشوه كل الحقائق التي يمكن أن تكشف نقاط ضعف السياسة الأمريكية المتغطرسة والمستبدة، ويشكل الصورة الإعلامية المزيفة المتكاملة والتي يريد تسويقها للعالم، وإن أهم الحقائق التي سيحاول طمسها ومسخها في هذه الحرب هي حقيقة الصمود البطولي لشعب العراق وتحديه لعقلية الغزو والاستعمار والاحتلال والانفراد والهيمنة على العالم، ذلك الصمود الذي شارك فيه كل العراقيين بمختلف مذاهبهم ومشاربهم، والذي صمد أكثر من عشرين يوماً أمام أعتى قوتين

عـدوانيتين، جاءتـا لغـزو العـراق واحتلالـه متذرعـة بـحجج مكـررة واضـحة الكـذب والـبطلان، وهـم قـد بيتـوا النيـة علـى الاحـتلال والاستعمار الطويل الأمد، ومن الحقائق التي أظهرت كذب هذه الحملة الاستعمارية وكذب قادتها ومخططيها، أنهم لم يعثروا على أسلحة تدمير شـامل فـي العـراق كمـا صـرح الأمريكـان بـذلك قبـل أيـام، ولـم يقوموا بتحرير الشعب بل استبدلوا الفوضى والاضطراب والانفلات الأمني بالنظام الفردي الذي دعموه أكثر من عشرين سنة ثم أغروه بغـزو الكويـت وغـدروا بـه وجعلـوه بـين مطرقـة الحـرب وسـندان الحصار، وهم قد سمحوا وشجعوا بعد إسقاط النظام على أعمال السلب والنهـب والحـرق والتـدمير المـنظم لكـل تـراث العـراق وحضـارته وممتلكاته ووثائقه، ثم هم يصرحون الآن- ولم تنتهِ الحرب بعد رسمياً- دون خوف أو خجل عن نيتهم في بناء أربع قواعد عسكرية أمريكية في العراق، واحدة في الناصرية أو الشعيبة جنوب العراق وواحدة في بغـداد قـرب المطـار وثالثـة فـي الحبانيـة غـرب الـبلاد ورابعـة فـي كردستان في شمال العراق[1] كما قام الرئيس الأمريكي بوش بتعيين

---

[1] **لقد أصبح الحديث عن القواعد الأمريكية في العراق الآن أكثر وضوحاً مما كان حين كتبت هذه السطور، ويذكر أن هناك مفاوضات سرية حول هذا الملف الحساس والخطير بين سلطة الاحتلال وبين بعض الشخصيات العراقية المرشحة للحكم، وقد تسرّبت بعض المعلومات عنها في مطلع هذا العام.**

خمسة مسؤولين أمريكان لإدارة الحكم المباشر للعراق وهم الجنرال المتقاعد جي كارنر/ مدير مكتب الإعمار والمساعدات الإنسانية، وزلماي خليل زادة/ مستشاراً ومسؤولاً عن الانتخابات في العراق، وبربارا/ مسؤولة بغداد ووسط العراق، وبيرنر/ الحاكم المدني، وأخيراً الجنرال تومي فرانس/ الحاكم العسكري للعراق. وهم يراوغون في وعودهم وعهودهم مع فئات الشعب والكتل والأحزاب التي قاموا بجلب بعضها معهم وأوعزوا إلى آخرين بتشكيل هذه المنظمات والأحزاب، أما الفئات والأحزاب التي تمثل الشعب فهي الآن أضعف من أن تتمكن من الدفاع عن نفسها فضلاً عن تشكيل حكومة وحكم البلد. إن الإعلام الأمريكي الموجه ضد هذا الشعب الصابر لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويحاول أن يعيد تشكيلها من جديد وفق النظرة المتحيزة والمخادعة لكي يعيد تشكيل العقول والنفوس بالطريقة التي تخدم مخططه ومصالحه في العراق والمنطقة ولكي يبني إستراتيجية الأمن الإسرائيلي الأبدي الجديدة. ومن الصغائر الإعلامية التي لم يهملها هذا الإعلام الموجه أنه أخذ يشكك في كل قصص البطولة والصمود والتحدي لهذا الشعب المؤمن العريق، فحتى الفلاح العراقي الذي أسقط طائرة الأباشي بسلاحه الخفيف استكثروها عليه وعلى الشعب، فقالوا إنها كذبة أملاها أعوان صدام على هذا

الفلاح المسكين ثم وعدوه بمكافأة ولم يصرفوها له[1]. وقالوا أيضاً إن الذي ظهر في أحياء بغداد يوم الأحد ٦/ ٤ إنما هو شبيه صدام وليس صدام نفسه[2]، وإن قتلاهم كانوا فقط ١٢٦ جندياً وليس آلاف الجنود ... وغيرها من الأكاذيب والخداع الإعلامي الذي درجوا عليه وعلى تسويقه إلى شعوبهم وإلى الرأي العام العالمي.

لقد أعلن بوش يوم الخميس ٥/١ ومن على حاملة الطائرات الأمريكية(أبراهام لنكولن) في ولاية كاليفورنيا عن انتهاء العمليات الحربية الرئيسية لقوات التحالف في العراق، بعد تحقيق الأهداف المحددة لها، ولكنه عزف عن اتخاذ قرار بوقف الحرب في العراق كما كان متوقعا وذلك لأسباب سياسية ولكي لا تتحمل أمريكا تبعات

---

**[1] لقد أكد الصحاف في برنامجه وكذلك جابر عبيد مقدم البرنامج أن الفلاح العراقي علي لفتة المنقاش قد أكد إطلاق الرصاص ببندقيته على الطائرة، مما يشير إلى خطأ التكذيب والنفي الأمريكي للخبر والإشاعة التي تم ترويجها خلال أيام الحرب من أن القصة مفبركة عراقياً.**

**[2] ظهر كتاب في بغداد بعد الحرب عنوانه (شبيه صدام) وهو يتحدث عن رجل كربلائي اسمه (ميخائيل رمضان) كان يمثل دور صدام في بعض المناسبات، وهي جزء من قصص وأخبار كثيرة عن أكثر من شبيه عن صدام وعدي ولا ندري مدى صدق هذه الأخبار، غير أن الأخبار أكّدت ظهور صدام نفسه يوم الأحد ٤/٦ في بغداد، كما أكدت زيارته الحزينة للأعظمية يوم سقوط نظامه ظُهر الأربعاء ٢٠٠٣/٤/٩م.**

قانونية وسياسية دولية حسب اتفاقيات جنيف حول الحروب وشروط إنهائها لعام ١٩٤٩ وعام ١٩٧٧ م، وكذلك لتدعيم موقفه في الانتخابات الأمريكية القادمة[٣]. وقد استمرت هذه الحرب اللاشرعية ٤٣ يوماً، وقد فشل قادتها ومخططوها في تحقيق هدفهم في الحرب الخاطفة والصدمة والترويع لاحتلال العراق وإنهاء الحرب خلال أسبوع، فاضطروا إلى استخدام أساليب غير مشروعة لغدر العراق وطعنه من الخلف واستباحه سيادته وأراضيه مما أدى إلى سقوط أكثر من مائة ألف شهيد من المدنيين والعسكريين، كان نصفهم قد أستشهد بأسلحة الغدر المحرمة ذات التدمير الشامل، كما جرح في هذه الحرب أكثر من خمسين ألف عراقي، مع عشرين ألف أسير. كان منهم عشرة آلاف أسير من المدنيين من سكان المدن والعشائر العراقية الذين قاوموا الاحتلال وتصدوا للغزو والعدوان بكل بسالة[١]. أما قوات

---

**[٣] إن صدى الحرب العاصفة خلال الأشهر التسعة الماضية التي أعقبت الحرب أثبتت صحة قرار الرئيس الأمريكي في إعلانه إنهاء العمليات الحربية الرئيسية وعدم اتخاذه قرار بوقف الحرب نهائياً، لأن ظهور المقاومة قد غير الحسابات على الأرض، وجعل بوش يشعر يقيناً أن الحرب ما زالت مستمرة ولن تتوقف إلا بخروج جيشه من المستنقع العراقي، وربما تكون لعنة العراق سبباً لخروجه المبكر من البيت الأبيض كما هو متوقع.**

**[١] يذكر بعض المراقبين أن عدد المعتقلين العراقيين بعد الحرب وصل إلى أكثر من مائة ألف معتقل غير أن الأمريكان لا يعترفون إلا ببضعة عشر ألف**

الاحتلال التي حاولت أن تخدع الرأي العام العالمي والأمريكي بشكل خاص وجعلت خسائرها لا تتعدى ١٥٠ قتيلاً و٣٠٠ جريح، فإن الحقيقة التي أكدها شهود العيان والمحللون أن قتلاهم قد جاوزوا عشرين ألفاً من المرتزقة وقوات المارينز والجيش الأمريكي، وأكثر من ثلاثين ألف جريح امتلأت بهم مستشفيات ألمانيا[٢] وإنكلترا وأسبانيا وأستراليا وأمريكا وبعض الدول الأخرى الحليفة لهم، ومئات الطائرات السمتية والدبابات والناقلات والعدد والآليات التي جاؤوا بها إلى الخليج لتدمير هذا البلد الآمن، وقد القوا على العراق أكثر من ثلثي احتياطي الصواريخ الإستراتيجي الأمريكي وآلاف الأطنان من القذائف والمواد المتفجرة والأسلحة التدميرية الجديدة التي جاؤوا بها ليجربوها على شعب العراق، وما خفي كان أعظم. ورغم الاستبداد الإعلامي ومنع الأعلام المحايد وتحجيم حركته، إلا أن الشرفاء في العالم من الصحفيين والإعلاميين والكتاب قد كشفوا الكثير من الحقائق، والمستقبل القريب والبعيد كفيل بكشف هذا الزيف الأمريكي الصهيوني ومحاولة سرقة تحدي العراقيين البطولي وصمودهم

---

**معتقل بعد أن اعتادوا سياسة الكذب والتزييف التي أصبحت ملازمة لإعلامهم.**

**[٢] أكدّت الأخبار في آخر تقرير ألماني عبر الانترنيت عن الجرحى الأمريكان في المستشفيات الألمانية بعد الحرب قد بلغ عددهم أكثر من عشرة آلاف جريح أمريكي إصاباتهم خطيرة ومعوقة حتى نهاية عام ٢٠٠٣م.**

وتضحياتهم السخية التي جادوا بها من أجل الدفاع عن وطنهم. إن الرئيس الأمريكي بوش الذي تصور أن هذه الحرب ستكون نزهة وحرباً خاطفة سيجد أنها ليست سوى مستنقع كبير تورط فيه هو وأعوانه[١]، وأنه سوف لا يجني الثمار التي خطط لها سواء على أرض العراق أو في الساحة السياسية الدولية، وسيكون تجاوزه على الشرعية الدولية أمر مشين في تاريخ الأمة الأمريكية المتحضرة، وسيلعنه الله والتاريخ والشعب الأمريكي والعالم بعد حين من الدهر، حينما يكشف العالم أبعاد هذا التآمر والظلم الذي لحق بالعراق والعالم[٢].

---

**[١] كانت عبارة المستنقع العراقي مما أطلقه صدام على غزو العراق في أحد تصريحاته قبيل الحرب، ولقد أثبتت الأيام صدق تلك المقولة، فقد كان العراق مستنقعاً وفخاً أكثر خطورة من المستنقع الفيتنامي الذي جربه الأمريكان في مطلع السبعينات، وينبغي للحكيم العاقل أن لا يلدغ من جحر مرتين.**

**[٢] لقد أكد الرئيس الأمريكي بوش في خطابه السنوي عن حالة الاتحاد في ٢٠/١/٢٠٠٤ مبدأ القوة وإجهاض الشرعية الدولية بصراحة وذلك بقوله: إن الولايات المتحدة لا تحتاج إلى إذن من أحد لشن الحرب على أية دولة تراها تهدّد الأمن الأمريكي وتساند الإرهاب.. وفي هذا التصريح تأكيد رسمي على إسقاط الشرعية الدولية، وفي أخطر الأمور الدولية التي تهدّد الدول والشعوب وهي الحروب التي تهلك الحرث والنسل والفكر، وتقوض أركان السلام العالمي الذي تدعي أمريكا أنها ترعاه وترعى حقوق الإنسان وحريته**

أن المبدأ البراكماتي الذي يؤمن به بوش وحزبه سينقلب عليه وعلى شعبه، حين تدور الدوائر وتضعف أمريكا وتسقط هيبتها وتتمزق إلى دويلات وولايات متحاربة متنافرة بدافع من التداعي السياسي والاقتصادي الذي ستولده سياسة اللاشرعية والقوة البراكماتية، وحينها سيعلم بوش والصهاينة والمتصهينين من أعوانه أن القوة تكمن في الحق والمبدأ الصحيح وليس العكس، كما يؤكد المنهج الصهيوني في أدبياته في أن الحق يكمن في القوة والقوة تكمن في الذهب بنوعيه الأصفر والأسود ( النفط ) وهو الذي دفعهم وجاء بهم إلى هذا المستنقع والمنزلق الذي أسقط مفهوم الشرعية الدولية وجعل العالم في مطلع القرن الحادي والعشرين ما هو إلا شريعة غاب يتقاتل عليه

---

**وحضارته، كما إن هذا التصريح الخطير هو تأكيد على منهجية الرئيس بوش وحزبه الجمهوري المنفّذ للتوجه الصهيوني واليمين المتطرف في أمريكا وتأكيد على فلسفة شل الدور العالمي لمجلس الأمن ومنظمة الأمم المتحدة وتحويلها إلى منظمة منفّذة للسياسة الأمريكية، وتأكيد على الموقف الميداني في العراق والإصرار على صحة الموقف الأمريكي بشن الحرب واحتلال العراق بدون الحاجة إلى قرار دولي، كما حدث فعلاً عند بدء الحرب حين وقفت فرنسا وروسيا والصين ضد قرار الحرب دون أن يؤثر ذلك على القرار الأمريكي، فكانت هذه الحرب الظالمة وتداعياتها الكبيرة على الساحة الدولية فضلاً عن تدمير البنية التحتية للعراق وانهيار دولته ووقوعه بين سندان الاحتلال ومطرقة الفوضى الأمنية والسياسية الداخلية.**

الأقوياء والطواغيت من عباد المال والشهوات والشيطان، وسنرى غداً مدى صدق تلك التوقعات والتداعيات السياسية ومدى انطباق وقوعها بعد هذه الحرب الظالمة.

وفي الختام.. نسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يطرح فيه الخير والبركة لبث روح الوحدة والتحدي والوعي والثقة بقدرة هذا الشعب على الثبات والدفاع عن بلده وحقه في وجه الطامعين الأشرار وبقدرته على البناء والإعمار وحكم نفسه بنفسه سواء بسواء، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه نعم المولى ونعم النصير[1]..

---

**[1] في خاتم الهوامش التي كرست لتسليط الضوء على (صدى الحرب العاصفة) خلال الأشهر التسعة التي أعقبت سقوط بغداد واحتلال العراق، وفي أعقاب نهاية عام الاحتلال المشؤوم وبداية عام السيادة والاستقلال كما وعدت به سلطة الاحتلال، بعدما لمست صعوبة تقبّل الفرد العراقي لفكرة الاحتلال ورفض الشعب لذلك الإذلال والتبعية، نؤكّد فشل الإستراتيجية الأمريكية والصهيونية التي تريد فرض الظلم والأمر الواقع بالقوة الغاشمة ولو بعد حين. ولقد حاولنا في ذلك الصدى التعقيب على مادة الكتاب الذي نشر في شهر مايس. وقد ظهر جلياً للقارئ الكريم، أن عشرات الأحداث والأخبار التي توافقت مع الصدى الذي عشناه خلال الأشهر الماضية، التي هي بحق حرب أخرى لمقاومة الاحتلال ورفضه وشجبه بكافة الطرق والوسائل الإعلامية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، مما اضطر الرئيس**

تم الانتهاء من الكتاب في ١٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ

الموافق ١٣/ ٥/ ٢٠٠٣م.

---

**بوش أن يستدعي الحاكم المدني (بول بريمر) إلى واشنطن في منتصف شهر تشرين الثاني ويبلغه بقراره بتغيير إستراتيجية أمريكا في العراق وضرورة تسليم السلطة للعراقيين قبل انتخابات الرئاسة، بعد أن شعر إن إنشاء مجلس الحكم المحلي بات غير كافٍ، كما إن تردد دول العالم في إرسال قوات دولية إلى العراق قد أربك موقفه وأضعف إدارته وأضعف شعبيته، بحيث أصبح أمر إعادة انتخابه في خطر، وأتمنى أن يجد القارئ في هذا الصدى وهذه التعقيبات إضافة جديدة ومفيدة تدعوه لإعادة قراءة كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة) في ثوبه الجديد وطبعته المنقّحة، وفي ظل المستجدات والأحداث التي أعقبت الحرب والتي تم استعراضها ضمن هوامش الكتاب المضافة عليه، وفي مقدمته التمهيدية وخاتمته اللاحقة، مما يعطيه نكهة جديدة وبعداً إضافياً جديداً، والله من وراء القصد.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

## اعتقال صدام ومقتل ولديه بين الحقيقة والصناعة الهوليودية

لقد عاش أهل العراق بعد الحرب وخلال أشهر الصيف الماضي محنة قاسية من نوع فريد لم يشهدها غيرهم في التاريخ القريب، إنها محنة الهزيمة والاحتلال وفقدان الأمن والنظام والفوضى العارمة التي أحاطت ببلدنا العزيز في ذلك الوقت العصيب، وجاء الظلام الحالك الذي أوجدته حالة فقدان السيادة والاستقلال واضمحلال السلطة والجيش والشرطة التي كانت تقوم بواجب حماية الوطن وأمنه في الداخل كما تحمي حدوده من كل طامع ومخرب ومتسلل ليزيد الأمر سوءاً، وكان هنالك أيضاً الفراغ الإعلامي والثقافي وضياع كافة أجهزة الدولة ومؤسساتها الخدمية والإعلامية والصحية والاقتصادية وغيرها، كما صاحب تلك المأساة الحقيقية المحزنة انهيار البنى التحتية للبلد بسبب التدمير الذي لحق به من جرّاء الحروب المتكررة والحصار الظالم والنظام الفاسد سواء بسواء، ولم يبق للناس سوى رحمة الله وحفظه وقدرته البالغة لإنقاذنا مما نحن فيه بعد تداعي أمم الكفر والنفاق علينا وعلى بلدنا الذي ما فتئ ينزف من جراحه المميتة، وقوات الاحتلال تصول وتجول في مدننا وقرانا، وفي مثل هذه الأجواء والأحوال والفراغ الهائل الذي حصل بعد انهيار الدولة

والنظام -بغض النظر عن سلبياته وإيجابياته- يمكن تصور حالنا وكيف مرّت الشهور علينا حتى بدأت الأمور تعود لحال يمكن العيش فيه بحده الأدنى لشعب يريد أن يعود إلى الحياة كباقي الشعوب. ويمكن تصور مدى التأثير الإعلامي التعبوي لأي جهد بسيط يحاول أن يسد جزءاً من ذلك الفراغ الذي تركته الدولة حال اختفاءها المفاجئ، ولعل في نشر كتاب الحرب العاصفة شيء من ذلك الدور المرتجى، رغم إن كل عمل لا يخلو من هفوات وأخطاء ولابد لمن يجتهد من أجر سواء أخطأ أم أصاب. ولعلنا لا نبالغ حين نشير إلى أن الشيء الذي ولّده نشر هذا الكتاب مفيد في عراق ما بعد الحرب وبعد الانفلات الأمني وأعمال السلب والنهب والحرق المتعمد الذي طال معظم البنايات والوزارات والمراكز الحكومية التي باتت مهجورة من منتسبيها بعد السقوط، وفي وقت توقفت فيه الحياة وفرغت المدن العراقية إلا من الأشباح وقوات الاحتلال وتوقفت كافة الخدمات الأساسية من الوقود والكهرباء والنقل والصحة والأمن خلال تلك الأشهر الطولية والثقيلة التي تلت الحرب يمكن تصوّر الدور الذي يمكن أن تقوم به المعلومة الهادفة في تجميع الناس وإعادة الوعي والحياة إلى الناس الذين أذهلتهم حقيقة سقوط بغداد السريعة واختفاء النظام الحديدي فجأة وتبخر الحزب والدولة معاً، كما تصوّر مدى الصعوبة في جمع المعلومات والتنقل في مناطق

بغداد التي شهدت المعارك والالتقاء بشهود العيان ممن عاشوا الحدث الرهيب وكانوا جزءً من قصة سقوط بغداد وصدام في آن واحد

## مقتل ولدي صدام حسين

بعد أشهر قليلة من نهاية الحرب وبعد أن شهد هذا الكتاب إقبالاً كبيراً، نفدت معظم الكمية التي تمّ طبعها قبل نهاية عام الاحتلال بمدة ليست قصيرة ، وقد نشرت العديد من الصحف والمجلات والوكالات الإخبارية العربية والأجنبية العديد من المقالات والتقارير عنه وعن سقوط صدام كما مرّ في مقدمة الكتاب، والكثير من القنوات التلفزيونية والفضائية كالألمانية والإيطالية فضلاً عن الجزيرة والعربية وأبو ظبي وغيرها. بعد هذا النجاح الذي حققه الكتاب في بغداد، شرعت بالسفر إلى دمشق لمحاولة طبعه في سوريا أو الأردن، وبعد أسبوع من إقامتي في دمشق سمعت من وسائل الإعلام خبر مقتل نجلي صدام عدي وقصي وابنه مصطفى في الموصل وذلك في ٢٠٠٣/٧/٢٢، وظل العراقيون غير مصدقين الخبر حتى قام الأمريكان بتصوير جثتهما بعد القيام ببعض الترتيبات والتعديلات عليها كحلق اللحى وترقيع بعض المناطق من جسميهما التي تعرضت للحرق أو التشويه أثناء المعركة.

إلا أنني بعد عودتي إلى بغداد في ٢٠٠٣/٨/٦ وجدت أن هناك الكثير من العراقيين لازالوا يتشككون في الرواية الأمريكية حول مقتل نجلي

صدام والتفاصيل التي أوردتها الرواية، لاسيما وإن الأمريكان دأبوا خلال الحرب على إقصاء أي نشاط إعلامي محايد سواء كان عربي أو أوربي يحاول التقاط الحقيقة ونشرها بما لا يتفق مع الرواية الأمريكية، حتى إن أضطرهم ذلك إلى استخدام العنف والإرهاب النفسي والسياسي والجسدي لغرض إسناد وجهة النظر الأمريكية ابتداءً من ملف الأسلحة المحظورة والانفراد بقرار الحرب بمعزل عن الشرعية الدولية وموافقة الأمم المتحدة وانتهاءً بمطاردة فلول النظام السابق واعتقال صدام أخيراً. فلم يكن العراقيون بكل صنوفهم ليطمئنوا إلى الإعلام الأمريكي والوعود الأمريكية بتحرير العراق وإقامة نظام بديل ذو سيادة ونقل السلطة إلى العراقيين وغيرها من المفاهيم التي تروج لها أمريكيا لتبرير الحرب واستمرار الاحتلال والتخفيف من حدة المقاومة التي بدأت تتصاعد رويداً رويداً بعد الحرب حتى أصبحت تهدد جنود الاحتلال في كل أرض العراق وطالت الهيئات والسفارات والمنظمات الدولية بل قد أصبح الجو غير آمن أيضاً بعد إسقاط العديد من الطائرات والسمتيات الأمريكية منذ شهر تشرين أول الماضي، ونتيجة لذلك الشك والارتياب من الدعاوى الأمريكية عموماً ظهرت في بغداد روايات أخرى مخالفة للرواية الأمريكية بعضها أشبه بالشائعات والأماني وبعضها الآخر يتحدث عن اختفاء نجلي صدام في مكان آمن وإرسالهما بعض الرسائل والدلائل التي تشير إلى وجودهما

وهو أمر مستبعد فيه الكثير من المبالغات والنَفَس الأسطوري الذي ينتاب الناس بعد الإحباط والهزيمة أمام قوة عاتية لا حيلة في مواجهتها سوى بالأماني والأحلام، غير أن أصحاب مثل هذه الآراء التي لا يخلون من نفس مؤيد لصدام، ويستندون أيضاً على نقاط عديدة لإقناع أنفسهم والآخرين منها قدرة الماكنة الإعلامية الهوليودية على الفبركة والكذب والتزييف التقني لاختراع أي قصة يريدون نشرها، لاسيما وأنهم وحدهم في الساحة ولا يجرؤ أحد على الكلام والاعتراض عليهم بعد أن أصبحوا هم قادة الإرهاب الفكري والإعلامي الدولي تحت شعار محاربة الإرهاب ونشر الحرية والديمقراطية، ومنها أيضاً تخبط الرواية الأمريكية في التصريحات حيث أنهم أكدوا في بداية مقتل عدي وقصي أن جثتهما متفحمتين ومحترقتين، ثم أظهروهما بلحى طويلة وبمظهر وشكل كامل غير متفحم، ثم قاموا بعد ثلاثة أيام بعملية الحلق والتجميل لجثتيهما وعرضهما مرة أخرى على الشاشة، ثم قاموا بعد أسبوعين بتسليم الجثتين إلى أهلهما ودفنهما في تكريت، ولكن مع كل الشكوك والتخبط الإعلامي فلا أحد يستطيع أن ينكر أن عدي وقصي قد قاوما قوات الاحتلال بشجاعة وبسالة قل نظيرها ولم يستسلما حتى لاقى قدرهما المحتوم بالرغم من كل ما كان يقال عنهما وعن سيرتهما أبان حكم أبيهما.

# اعتقال صدام بين الحقيقة والدعاية الإعلامية

ربما من قبيل الأقدار والموافقات أن تحدث الأحداث الكبيرة وأنا في سفر، رغم قلة سفراتي خارج العراق، فقد عشت حرب إيران وحرب الكويت والحرب الأخيرة وأنا في بلدي العراق، وقبل سنتين وفي شهر أيلول ٢٠٠١ كنت في عمان ثم ذهبت في ٢٠٠٠/٩/٩ إلى دمشق للسياحة والتجارة، فشهدت أحداث ١١ أيلول وأنا في دمشق. واليوم أتيت إلى عمان يوم السبت ٢٠٠٣/١٢/١٣، وفي ليلة هذا اليوم تم إلقاء القبض على صدام حسين في قبو تحت الأرض في مزرعة في مدينة تكريت، أو هكذا ذكرت الرواية الأمريكية الوحيدة على الساحة الإعلامية، ولقد عرضت الفضائيات فيلماً مهيناً ومذلاً لتصور صدام حسين بملبسه الرث وفي لحيته الكثّة وشعره المنفوش بعد ذلك العز والترف وتلك الأناقة التي اعتادها المشاهد العراقي والعربي وهو يرى صدام رئيساً للعراق وقائد للقوات المسلحة ورمزاً بارزاً على الساحة العربية بالرغم من شخصيته العنيفة وطبعه الحاد الشديد ومنهجيته الحازمة المستبدة.

لقد تقصّد الأمريكان إهانة العراقيين والعرب بعرضهم صدام بتلك الصورة الحزينة المهيمنة المؤلمة، فأنا شأن الكثير من العراقيين لست من محبي صدام ولا من أنصاره وكنت طيلة حكمه من المهمّشين المبعدين عن أصحاب السلطة والقرار والغنيمة والأعطيات التي كانت تنهال على أنصاره وحزبه والمتملقين له، ولقد كنت يوماً أحد سجناء صدام فقد أمضيت سبعة أشهر من عام ١٩٩٥ سجيناً في دوائر الأمن الصدامية، ولكني مع ذلك لم أكن لأتحمل أن يهان رئيس دولتي مهما كان ظالماً ومن قبل المحتلين، ولقد بكيت وأنا أرى الذل والمهانة تنزل بصدام رئيس العراق، وأنا في الوقت نفسه لا أشجب من فرح باعتقاله ممن طالهم ظلمه وفتكه وشدّته من العراقيين فذلك أمر طبيعي، ولكن ينبغي لكل عراقي أن لا يخدع ويمرر عليه برنامج إهانته وإذلاله من خلال نظرية التحرير وإسقاط الحكم الإستبدادي، فلا ينبغي أن نستبدل الاحتلال بالاستبداد وإلا فسنكون قد استبدلنا ( الخرمة بالتمر) كما يقول المثل العراقي، والخرمة باللغة الكردية هي التمر عينه، ذلك إذا لم يكن الوضع الحالي أسوء بكثير من حالة الاستبداد التي عاشها العراقيون في عهد صدام، فقد اضطرب الأمن وسادت الفوضى وعم البلاء واستيقظت الفتنة ودمّرت السيادة والهوية الوطنية، ولا أسوء للمواطن الشريف من ذل الاحتلال والاستعمار وقد عاشه العالم العربي

كله في القرن الماضي، ولعل العراقيين اليوم ينتظرون وعد أمريكا بنقل السلطة وعودة السيادة إليهم وكلنا لهذا الوعد منتظرون!.

هناك تحاليل وتفسيرات ونظريات عديدة عن اعتقال صدام، وقد ألزمت نفسي في كتابي أن لا أثق أو أعول على الإعلام الأجنبي المرئي أو المسموع أو المقروء، لأنه السبيل الخطير لصياغة العقل العربي من جديد وفق الرؤية الأمريكية المفروضة، ولذا فاني سأركّز على أراء العراقيين والعرب الذين رأيتهم أثناء وبعد إعلان خبر اعتقال صدام ونشره في الصحف والمرئيات.

هنالك رأي يقول أن صدام كان معتقلاً لدى الأمريكان قبل شهرين على الأقل من تاريخ إعلان اعتقاله، وذلك حين أعلن الأمريكان عن اعتقال صيد ثمين وعن اعتقال مقربين من الرئيس العراقي صدام حسين في أوائل شهر تشرين ثم أعلنوا أنه أصبح البحث عن صدام مثل البحث عن إبرة في كومة من القش، وأن اعتقاله شبه مستحيل، مع أنهم أعلنوا كانوا قد فيما مضى أن عملية اعتقال صدام أكيدة وهي مسألة وقت لا أكثر، كما حددوا مكافئة قدرها ٢٥ مليون دولار لمن يأتي به حياً أو ميتاً أو من يوشي به ويدلي بمعلومات أكيدة تؤدي إلى اعتقاله أو قتله، وقد رصدوا لهذه المهمة أحدث التقنيات وأفضل الخبرات الاستخبارية للحصول عليه، ومع تدني شعبية بوش بعد تصاعد المقاومة العراقية التي وصلت إلى أعلى مستوى لها خلال شهر تشرين الثاني من حيث

الخسائر البشرية والمادية وتهديد الطيران الأمريكي وإسقاط طائرات وسمتيات عديدة في مطار بغداد والفلوجة والموصل وسامراء، اضطر الرئيس الأمريكي بوش أن يستدعي الحاكم المدني الأمريكي للعراق بول بريمر إلى واشنطن ويبلغه بتغيير جذري للإستراتيجية الأمريكية في العراق، وهو تحديد موعد في نهاية حزيران القادم لتسليم السلطة إلى العراقيين دون انتظار محطة كتابة الدستور الدائم أو محطة الانتخابات العامة المفترضة بعد إكمال الدستور خلال السنتين القادمتين، أن هذا التغيير الجذري يعكس مدى الخوف والجدل الحاد في واشنطن من تزايد المقاومة العراقية ضد الاحتلال مع استمرار الفوضى والانفلات الأمني الذي يعيق المشروع الأمريكي لاستثمار ثروة العراق بحجة إعادة أعماره وهم الذين دمروه خلال حربين، والتصرف الثاني للرئيس الأمريكي الذي يعكس قلقه على مستقبل حزبه السياسي في الانتخابات القادمة وتناقص شعبيته في الآونة الأخيرة، قيامه بالزيارة الخاطفة لجنوده في بغداد في ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٣م، حيث وصل إلى بغداد سراً وبقي فيها أقل من ثلاث ساعات في مطار بغداد مقابل ٢٧ ساعة طيران من أمريكا إلى العراق ذهاباً وإياباً، ليقوم بزيارة جيشه المنهار والمتردي المعنويات بسبب الخوف من المخاطر التي تحيط بهم، والزيارة تمت في أواخر تشرين الثاني بمناسبة عيد الشكر الذي رأى بوش أن يشارك جيشه في الاحتفال به

عسى أن يؤثر ذلك في رفع معنويات الجنود وزيادة شعبيته أو إيقاف التدهور المستمر في سمعته السياسية وشعبيته بعد ورطة المأزق العراقي وفضائح مسلسل الكذب والتضخيم الذي تتهم به الإدارة الأمريكية في ملف الأسلحة المحظورة. فكان توقيت إعلان اعتقال صدام في هذا الوقت بالذات معد بدقة ليسهم في دعم موقف الرئيس بوش في الانتخابات لعله يفوز بها بعدما بات فشله شبه مؤكد خلال الأشهر التي تلت الحرب وذلك حسب رؤية بعض المحللين والصحفيين.

النظرية الثانية تتكلم عن صفقة أولية تمت بين أقارب صدام-دون علمه- وبين الأمريكان وهي شبيهة بصفقة سقوط بغداد المفترضة على يد بعض قادة الحرس الجمهوري لتفادي تدمير بغداد وتعرّضها لضربة نووية، ومكاسب أخرى نشرت في وسائل الإعلام في حينه. وهي صفقة مقايضة تحفظ تكريت موطن صدام وتعطي لعشيرته دوراً سياسياً جديداً في الخارطة السياسية للعراق، بعد أن استحوذ عليها الشيعة والأكراد (بنظر المحلل) لتعيد التوازن بإهمال الدور السني والتكريتي بشكل خاص في المعادلة السياسية، مقابل تسليم صدام ودعم الموقف السياسي والانتخابي للرئيس الأمريكي وموقف أمريكا الحرج والمخزي أمام العالم، ويرى المحللون إن زيارة وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد ونائبه لبغداد وتكريت قبل أسبوعين من إعلان اعتقال

الـرئيس العراقــي كانــت للتــداول حــول هــذه الصــفقة وتمــادى بعـض المحللين في الخيال السياسي متوقعاً أن الصفقة كانت مع صدام نفسه.
والرواية الثالثة تقول أنه كانت هناك وشاية لشخص ما قريب من صدام للحصـول علـى مكاسب ومصـالح ماديـة بحتـة مقابل تسليم صـدام، فـي مقدمتها مبلـغ المكافئـة وهو ٢٥ مليـون دولار، وبعض المصـادر غيـر الرسمية قالت أنه من مدينـة تكريـت والبعض الآخـر أشـار إلـى زوجتـه الثانية سميرة الشـهبندر المقيمـة فـي لبنـان، وذكـرت بعض الصـحف أن صـدام كـان يتصـل بهـا هاتفيـاً أسـبوعياً وبشـكل دوري ، وهـو احتمـال مستبعد، بل هناك من يقول -كما نشر في الصـحف العربيـة -أن زوجتـه أعلنت أن صدام لم يتصل بهـا منذ شـهرين ممـا يعزز الاحتمـال الأول، وهو أن صـدام كــان معتقلاً قبـل شـهرين وأعلـن اعتقالـه الآن لأسـباب سياسية وانتخابيـة داخـل أمريكـا. وقد حددت بعض القنـوات الأخباريـة وبعـض المواقـع علــى الإنترنـــت تـــاريخ اعــتقاله بـــ ٢٠٠٣/٩/٢٨ وذكـرت بعض الأخبـار غيـر المؤكـدة أن الـرئيس بـوش التقـى بـه بعـد اعتقاله عند زيارته الخاطفة لبغداد، كما أشيع أن آرييل شارون قد زاره سراً فـي بغداد وغيرها من الإشـاعات التـي كثـرت فـي الأسـبوع الـذي أعقب اعتقاله. ويماثل هذا الاحتمال ما أشيع عن اعتقال أسامة بـن لادن بعـد أكثـر مـن شـهرين مـن اعتقـال صـدام، حيـث نقلـت وكالـة الأنبـاء الإيرانيـة نقـلاً عـن مصــادر ميدانيـة مطلعـة فـي أفغانسـتان أنـه تمكّـن

الأمريكان من إلقاء القبض على أسامة بن لادن على الحدود الباكستانية الأفغانيـة، وإن إخفـاء الخبـر مـن قبـل الإدارة الأمريكيـة مقصـود لاستثماره في تدعيم موقف الرئيس الأمريكي بوش في الانتخابات القادمة، وإنه سيتم الإعلان عنه في الوقت المناسب، غير أن هذا الخبر قد نفاه كل من المسؤولين الأمريكان والباكستانيين وذلك بعد يوم واحد من نشره في ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٤م.

نظرية أخرى تقول أن المعتقل لم يكن صدام وإنما أحد أشباهه الكثيرين وهي نظرية ضعيفة ويعلل أصحاب هذا الرأي قناعتهم نظرية الشبيه بوجود العديد من الأشخاص الذين قاموا بدور شبيه صدام في عهده لحمايته وإخفاء تحركاته.. (انظر في الملحق صورة عن صدام وشبيهه كما نشرت في وسائل الإعلام المختلفة).

كما يدعموا رأيهم بالتشكيك في صحة الفيلم الأمريكي الذي عرض فيه صدام بعد اعتقاله وأنه كان صناعة هو ليودية واضحة ابتداءً من وجود النخلة ذات التمر الأصفر والتي توحي إلى أن وقت الاعتقال ينبغي أن يكون في أيلول وليس في كانون الأول. ثم أن الفيلم لم يعرض صدام بكامل جسمه وإنما عرض رأسه فقط، كما أن التباين بين شعر لحيته الأبيض وشعر رأسه الأسود فيه غرابة وإيحاء بالدبلجة والفبركة والصناعة التصويرية. فضلاً عن أن حركاته كانت تبدو كأنه شخص مخدّر ومستسلم لأبعد مدى، وقال البعض الآخر أن طول شعر

لحيته أطول مما هو متوقع لفترة اختفائه، وتحدث بعض المتعاطفين والمؤيديين له أنه كان حليق اللحية قبل شهر من اعتقاله، وان هناك العديد من أنصاره قد التقوا به قبل اعتقاله بمدة محدودة وكان حليق اللحية وهكذا كثر الكلام وتعددت الإشاعات في أمر اعتقال صدام، والجدير بالذكر أنه حدثت مظاهرات دموية صاخبة في العراق نتيجة لإشاعة قوية انتشرت في الفلوجة والرمادي والأعظمية وسامراء وتكريت والموصل في اليوم الذي تلى إعلان اعتقاله في ٢٠٠٣/١٢/١٥م والإشاعة تقول بأن صدام حر طليق ولم يعتقل وقد رآه أشخاص ثقاة في الفلوجة في صباح اليوم التالي لخبر اعتقاله، وكان لهذه الإشاعة ولخبر اعتقاله الصاعق الذي سبق الإشاعة الأثر العنيف في أوساط أنصاره فقامت مظاهرات كبيرة وحاشدة في تلك المدن، وقد سقط على أثرها عشرات القتلى والجرحى وتحول الوضع في العراق في حينه إلى حالة من الهستريا والفوضى والفوران الدامي استمر أكثر من ثلاثة أيام حتى استطاعت سلطة الاحتلال أن تسيطر على الموقف الأمني ثانية بعد أن استخدمت العنف والقتل وإطلاق الرصاص الحي في تفريق المظاهرات الحاشدة في الأنبار وبغداد وتكريت والموصل وقد سقط في مظاهرة الأعظمية فقط ليوم ١٢/١٥ أكثر من عشرين شهيداً أمام جامع الإمام الأعظم تم رميهم من قبل الشرطة العراقية وقوات الاحتلال، منهم أسامة صلاح الدين المشهداني

(عمر ١٦ سنة) وعثمان الأعظمي وآخرين تم تشييعهم ودفنهم في اليوم التالي . وأخيراً هناك نظرية تقول أن صدام قد استسلم بالاتفاق مع الأمريكان بعد أن تعب من المطاردة التي دامت ثمانية أشهر من قبل قوات الاحتلال ومن قبل أعدائه في الداخل، وأنه سيكون أرحم له وأفضل حينما يودع السجن وينسحب من الساحة العراقية الملتهبة والمعقّدة والمتعدّدة الأطراف المتصارعة حول العراق سواء القوى المتصارعة في الداخل لوراثة نظام صدام في حكم العراق أو حصول بعض الدول المتنافسة على نصيب في الكعكة العراقية أو حتى محاربة أمريكا داخل الساحة العراقية المفتوحة على مصراعيها لكافة القوى الدولية، وذلك أيضاً رأي ضعيف وتحليل غير وارد إلا إذا تصورنا أن اتفاق صدام وإبرامه الصفقة مع الأمريكان ليس نتيجة يأس أو ضعف في شخص صدام الذي عرف بعناده وقوة أعصابه وصبره وتحمله، وقد ضحى بملكه وحكمه وسلطانه وأهله في حربه الأخيرة بسبب موقفه العنيد في مواجهة أمريكا وعدم الاعتراف بإسرائيل، وإنما هو جزء من صفقة سياسية شاملة ومتكاملة لترتيب أوراقه من جديد ليكون له دور ما في المستقبل، في مقابل أن يسهّل للأمريكان الخروج من المأزق العراقي الحالي، وكذلك للاستفادة من ورقة اعتقاله من قبل الأمريكان للضغط على التيارات الموجودة على الساحة العراقية، كما

استخدمتها في سنين الحصار وبعد حرب الكويت سنة ١٩٩١م كورقة ضغط على الدول المحيطة بالعراق لاسيما دول الخليج[١].

وأياً كانت الرواية الحقيقية عن اعتقال صدام حسين فإن الأكيد الذي لا ريب فيه أن الطريقة الأمريكية التي عرض فيها حادث الاعتقال وفق السيناريو الأمريكي الذي شاهده الناس على شاشات التلفزة العالمية كانت مذلّة ومؤلمة وليست إنسانية، وهي في حقيقتها هدية قاسية وقذرة لأطفال العراق والعرب، ورسالة مباشرة للجيل الجديد مليئة بالاستكبار والغطرسة الأمريكية لإذلال الشعوب ورموزها، ولا ندري لمن سيكون دور الإذلال والاحتقار للحكام العرب والمسلمين بعد محاصرة عرفات وإسقاط صدام وعرض قصة اعتقاله بتلك الصورة المذلّة

---

**[١] أن قرار البنتاجون الذي صدر بعد شهر من إعلان اعتقال صدام، باعتباره أسير حرب وليس مجرم حرب وشمله بحقوق أسرى الحرب، وبراتب يتناسب مع منصبه كرئيس دولة وقائد القوات المسلحة، وعدم السماح لأي جهة بإهانته وتجريحه وربما عدم السماح بمحاكمته، كل ذلك يصب في هذا الاحتمال الضعيف، الذي يفترض أن إخراج صدام من اللعبة في المشهد العراقي المعقّد بعد تورط أمريكا في احتلاله وإدارة شؤونه ذات الاستطالات والإمتدادات المفزعة داخل حدوده ومع جيرانه، بعد أن تم إخراجه بتلك الصورة التي بدت مذلّة ثم استقرّت لصالح صدام بعد اندحاره ولصالح أمريكا بعد تورّطها، ربما كان بناءاً على تنسيق ودراسة وحساب دقيق، وهو مما لا يعجز القدرة السياسية والمخابراتية الأمريكية لاسيما في هذه الأشهر التي تسبق الانتخابات.**

والوضيعة، والحقيقة الثانية التي لا مراء فيها أن اعتقال صدام يصب حتماً في مصلحة قوات الاحتلال والرئيس الأمريكي بشكل خاص، وهو محاولة هوليودية لإسناد الوضع السياسي والشعبي المنهار للرئيس الأمريكي، والرفض العالمي للحرب العراقية، وشجب المنهج الأمريكي الحالي القائم على أساس إقصاء الشرعية الدولية والانفراد بقرارات الحرب والاستغناء عن رأي الدول الأخرى حتى إذا كانت حليفة بالأمس القريب، كما حدث في حرب العراق برغم معارضة الدول الأوربية والدول الكبرى الأخرى، وأخيراً فإن اعتقال صدام بتلك الطريقة هو عبرة لكل من يعتبر بأن البقاء لله وحده ولا ملجأ إلا إليه وليس إلى الحول والقوة، وإن الملوك والحكام بشر كغيرهم من البشر يعزهم الله ويذلهم متى يشاء، ولا حول ولا قوة لأحد حاكماً كان أو محكوماً إلا لله العلي العظيم.

## الخاتمة.. لماذا هذا الصدى بعد العاصفة ؟

لقد ظهر كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة) بعد أقل من شهر من سقوط بغداد بيد قوات الاحتلال كما ذكرنا آنفاً.. ولقد شرعت في كتابة هذه المذكرات حول الحرب العراقية الأمريكية بغية ملإِ الفراغ الذي أوجدته ظروف الحرب وللتاريخ والعبرة، وأزعم أني كتبته من أجل الأرامل والثكالى لألوف الشهداء الذين ماتوا وأقبروا في دباباتهم المختلفة وتحت أشلاء راداراتهم العتيقة وتحت مواضعهم وثكناتهم التي جعلها الجهل والتخلف والاستبداد مكشوفة للعراء. ومن أجل أطفال الشهداء والجيل الجديد الذي سيشهد حياة الاحتلال والتبعية بكل صورها للغرب وحضارته لعله يعي بعضاً مما جرى لبلده العراق وكيف انتُهكت سيادته وضُربت الشرعية الدولية عرض الحائط في

قرار الحرب عليه دون وجود مسوّغ أخلاقي أو قرار دولي أو تأييد شعبي لأغلبية الرأي العام العالمي سواء خارج أمريكا أو داخلها.

لقد كان من دوافع كتابته تقديم بعض الإجابات عن الأسئلة والاستفسارات الكثيرة داخل العراق وخارجه عن السر وراء سقوط بغداد المريع والسريع، وما هو دور الشعب والجيش العراقي إزاء هذا العدوان والحرب الظالمة التي شنّت باسم الحرية والتحرير وإزالة أسلحة الدمار الشامل التي تهدد العالم بأجمعه كما زعموا، ومن أجل القلوب الحائرة التي تتساءل دوماً عن سر الهزيمة ولغز السقوط الخاطف ودور الشعب الصابر وسط دوامات الحروب والصراعات والفتن التي عاشها خلال عقود طويلة، ولكي نستعيد الثقة التي انهارت مع السقوط ونداوي الدمعة التي سالت ونسترجع البسمة والأمل على الشفاه اليابسة التي مزقتها الريح الصفراء والشمس الحارقة دون أن يوفر لها الوالي الغطاء والأمان والسبب.

واليوم أجد نفسي مضطراً لإكمال ما بدأت لهذا البحث التعبوي الإعلامي المتواضع في هذا الصدى الذي أسميته (صدى الحرب العاصفة) بعد تسعة أشهر من نهاية العمليات العسكرية الأمريكية الكبرى في العراق في ٢٠٠٣/٥/١، وبعد ذلك الزلزال الذي لم نسمع بمثله وبصدى ظلامه الذي ألمّ بنا إلا في عهد هولاكو قبل سبعة قرون. ولعلي أستطيع أن أقول أنني أكتب الصدى لكل الأخوة والقرّاء الكرام

الذين طلبوا مني أن أكمل المشروع الأول بالكتابة عن أحداث ما بعد الحرب وعن صدى الحرب من النواحي الإعلامية والفكرية والسياسية في العراق وخارجه، كما أهديه لبعض المخالفين في الرأي لما ذهبت من معلومات وإحصائيات أخذتها من شهود عيان وصنعتها بالطريقة التي ظهر بها الكتاب بما فيها من صواب وخطأ وما فيها من حقيقة أو خيال كما يراها البعض، وبما فيها من حماسة وصوت عراقي انفعالي إعلامي ناقد للإعلام المضاد الذي أراد شل الفعل العراقي وإصابة العقل الجمعي بالصميم من خلال خطة إعلامية نفسية أطلق عليها خطة الصدمة والترويع، فظهر كتاب الحرب العاصفة كما ظهر في حينه، ولعل في ذلك التاريخ المبكر أحد الخصائص المهمة في عملية تدوين أحداث الحرب، ومن خلال شهود عيان عراقيين عاشوا المحنة وذاقوا مرارة الأزمة، بل لقد ذهب البعض إلى اعتبار الكتاب أحد مفردات الحرب وإفرازاتها بما مثله في المشهد العراقي من خلال تفاعله مع القارئ العراقي في تلك الأشهر الحزينة التي عاشتها بلاد الرافدين بعد الحرب. ولعلي أجد عند البعض عذراً وتأييداً حينما قمت (كنذير العريان) أكتب وأسطّر ما رأيت وسمعت بأسلوب مفعم بالذوبان مع حال المواطن الجريح، بما يشبه حال المتصوف الذي هام على رأسه وتاه في صحراء الهيام بحثاً عن الحق والحقيقة والدور الذي يمكن أن يعيد له اتزانه وسعادته بعد ما رأى من أهوال الصدمة والانهيار

الهستيري لشعبه الأصيل الرافض لذل الهزيمة والاحتلال. فكان إخراج الكتاب خلال مدة لا تزيد عن أسبوعين دون قصد أو تخطيط، وإنما كنت أكتب ما أسمع وأرى من أخبار وأحداث في ذهول وانفعال مرّ، وأذهب بنفسي لرؤية بعض الأحداث والمعارك وآثار القصف في أحياء بغداد بعد انقضائها وأسطّر ما يفور في وجداني من تصارع وتناقض ومدح وذم ووصف لما جرى بعد ذلك العصف الهادر المهين لأمة كانت خير أمة أخرجت للناس حين كانت تحمل الأمانة، ثم ارتكست إلى الوهن والتفرق والتبعية حين تركت رسالتها وباتت لاهية لاعبة واهنة هزيلة تطمع فيها أضعف الدول والأمم فضلاً عن أقواها.. ذلك لأنها فقدت سحرها وجذوتها وقوتها حين فقدت تلك الروح التي كانت فيها قروناً وهي تحيى بنور القرآن وحضارته.. لكنها اليوم أمة موات لا تقوى على الدفاع عن نفسها وطرد المحتل الطامع في ثرواتها الساعي إلى طمس هويتها وتدمير حضارتها، ولا تقوى على أن تبني مجدها من جديد لما أصابها من الجمود والعقود لكي تعيش كما صنفها الزعيم الألماني هتلر وإضرابه مع البهائم والوحوش.. فكانت أمم الكفر والفجور والشيطان أشد منها بأساً وقوة رغم ادعائها أنها أمة القرآن والرحمن، لأنهم آمنوا بالعلم والقوة والحضارة وأعدوا لها عدتها واتخذوا أسباب الرقي والتقدم سلماً للوصول إلى القوة والتفوق والهيمنة ونحن كفرنا بها، وكان شعارنا حب الذات والدنيا وكراهية التضحية

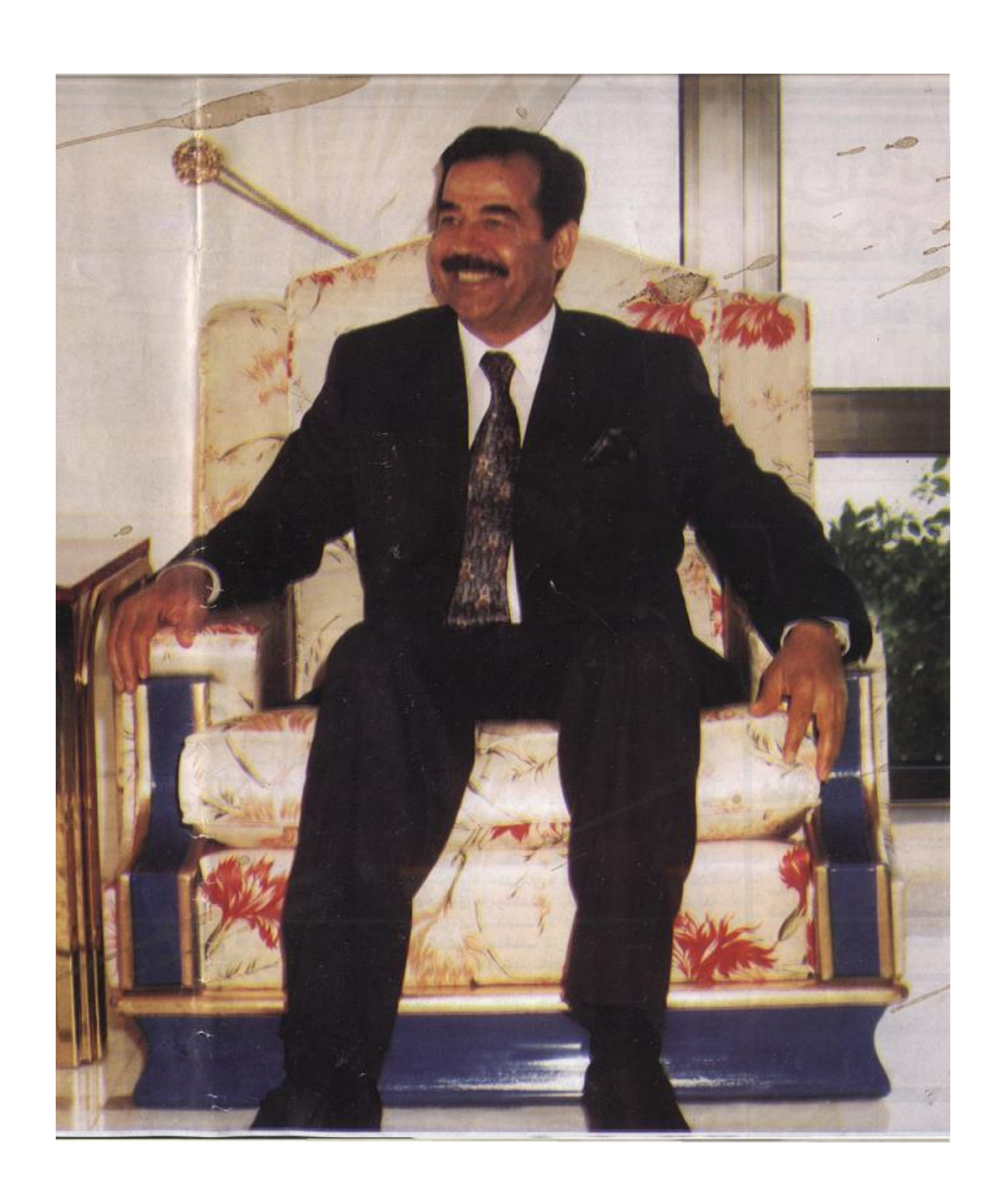
والموت وتركنا الرسالة وأسباب العلم والإيمان والحضارة وراءنا ظهرياً..

عسى أن يكون هذا الجهد والصوت مضافاً إلى غيره من الكتب والبحوث التي تدعو إلى إحياء حضارة الأمة والإشارة إلى أسباب الضعف والتمزّق والتخلّف فيها.. حافزاً فاعلاً لإعادة الوعي بذاتنا وقوتنا الكاملة لكي نعيد لهذه الأمة مجدها ولحضارتنا دورها المميّز بين الأمم.. والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل.

علاء الدين شمس الدين المدرس

٢٠/ ٣/ ٢٠٠٤م الموافق ٢/ ٢/ ١٤٢٥هـ

# ملحق
# صور الكتاب




صدام يازهـــوا به راياتنــــا

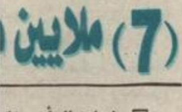
لا تجعل عدوك يطمع في صفحك، ولا صديقك ييأس منه

**الرئيس القائد صدام حسين**

2000 / 8 / 8




# سيف لم تثلمه الملمات




□ **بغداد/ الرأي:** تقر
الماضي تخصيص مبالغ
يتيم في قرية (عائلة العـ
الدولة للرعاية الاجتماعـ
جيب يومي.

ونقلا عن مصادر رسـ
يدخر قسم من هذه المبا
لدى احد المصارف الحكـ
حسابات توفير مغلقة لتـ
يبلغ سن الرشد.

واكدت انه تودع قر
العراق) قسطا ثابتا في
مغلق باسم كل مستفيد لـ
الايتام ابتداء من بلوغـ
سنوات وبما يؤدي الـ

## 5 الاف دينار

□ **بغداد/ لينا البيضـ**
السيد اكرم جعفر حساني عـ
التقني في كربلاء عن توز
مالية للطلبة الساكنين فـ
الداخلية وذلك من المبلغ الـ
السيد محافظ كربلاء. واكد




القائد صدام حسين يرأس الجلسة الثامنة

إعادة الموظف المستقيل والمحال الى

إيجاز عن مشاركة العراق في اجتماعات الاتحاد البرلماني العربي



AN-NAHAR Lundi 15 Décembre 2003 12

صدام حسين عندما كان وزيراً للداخلية عام 1971. (أب)

مع الرئيس العراقي السابق احمد حسن البكر عندما كان نائباً له عام 1978. (أب)

في مكتبه

يطلق قذيفة "ار بي جي". (رويترز)

مع زوجته ساجدة وافراد العائلة والاحفاد. (أ ف ب)



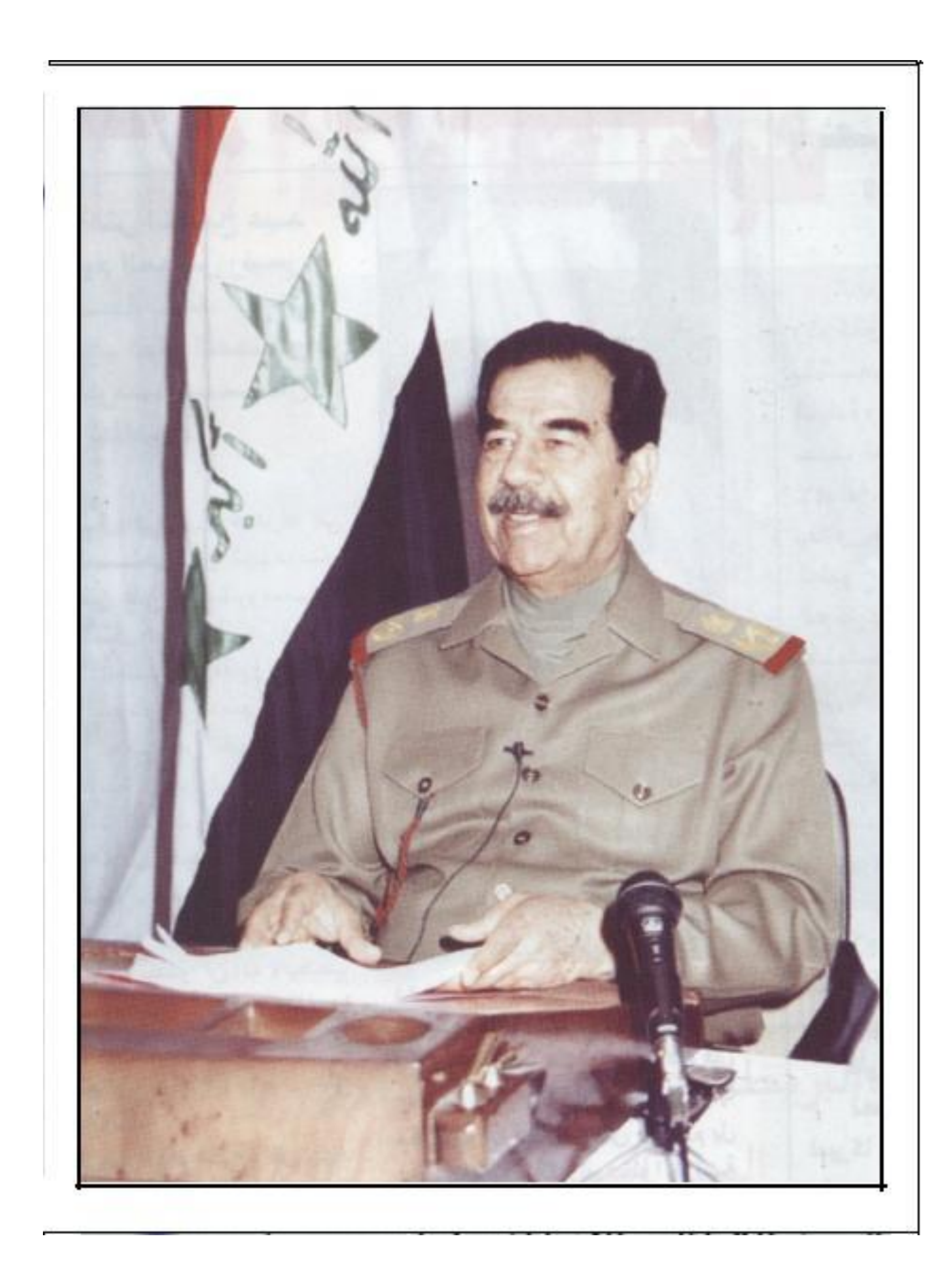
بين القصر والقبو

على خطوط الجبهة. (أ ف ب)

...به رئيساً في الثمانينات. (أ ف ب)

يسبح مع ابنته هالة. (رويترز)


يتجول قرب منزله في تكريت.
(رويترز)
في احدى جولاته.
A
SADDAM HUSAYN AL-TIKRITI
President
A
مطلوباً لدى الاميركيين على اوراق لعب
في اجتماع لاعضاء قيادته عام 1999.
(أ ب)






متظاهرون يرفعون صورة الرئيس العراقي والاعلام العراقية امام السفارة الامريكية في فنزويلا خلال تظاهرة خرجت مندددة بالحرب العدوانية على العراق.

سلحة تدمير شامل ابدا ونتحدى من

لاقة مع تنظيم القاعدة

العراقيون تعاملوا مع القرار ١٤

ائد يرفض الأطلاع على أسئلة السيد بن قبل المقابلة

لفازية حتى لاتكون اجابات سيادته فنية ومعدة سلفا

وضوع المفتشين ، ففى ضوء من تصرف المفتشين وهم يشتكون وقد قلنا مرارا ونقول اليوم ان السيد توني بن ا


صدام بين
عهدين



**رجم تمثال لصدام** : مواطنون من مدينة الصدر قاموا امس برجم تمثال من البرونز للرئيس المخلوع صدام حسين وذلك بعد انتهائهم من اداء صلاة الجمعة( ا ف ب).



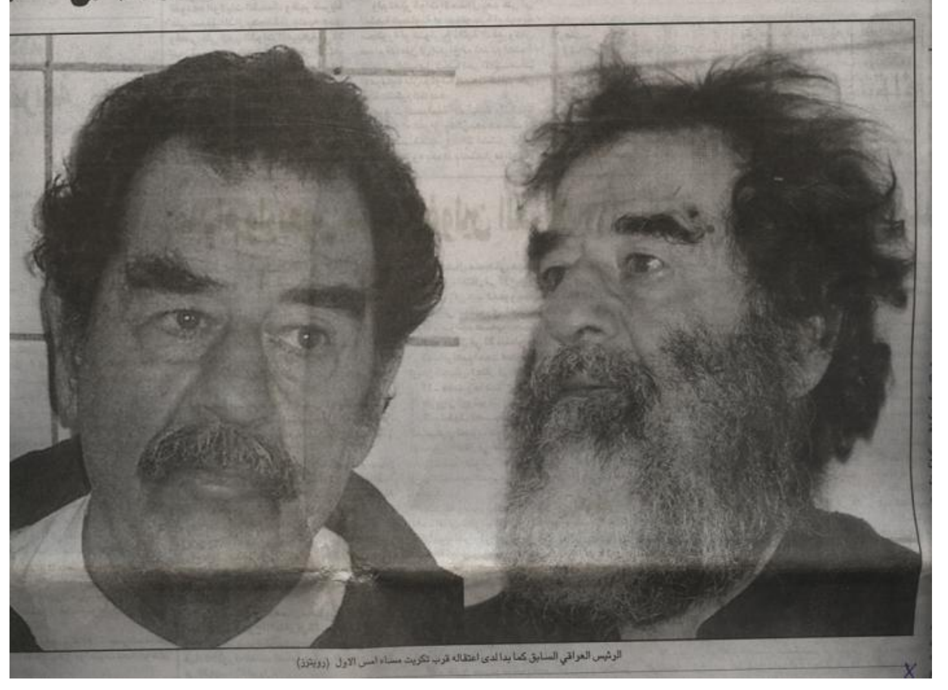
وعثر قرب المكان على نحو 14 مظروف رصاص.

العدد 21817 28 صفحة / 2000 ليرة Lundi 15 Décembre 2003 - 71 ème Année – N° 21817
A N - N A H A

الى اليمين الرئيس العراقي السابق صدام حسين كما بدا في شريط وزعته القوات الاميركية خلال فحص طبيب اميركي له عقب اعتقاله قرب تكريت السبت. والى اليسار بعد حلق ذقنه.

## أسر صدام يهيّئ لنهاية الحرب أو يمددها

# مجرم حرب في لاهاي أم مهداوي في بغداد



وجدناه قويا متحديا.. الربيعي: لم يبد اي ندم للحربين مع الكوي

# الامريكية تعتقل صدام حسين في

افلة امريكية بالكويت وثلاثة انفجارات تهز بغداد و4 قتلى وجرح اكثر

الرئيس العراقي السابق كما بدا لدى اعتقاله قرب تكريت مساء امس الاول (رويترز)

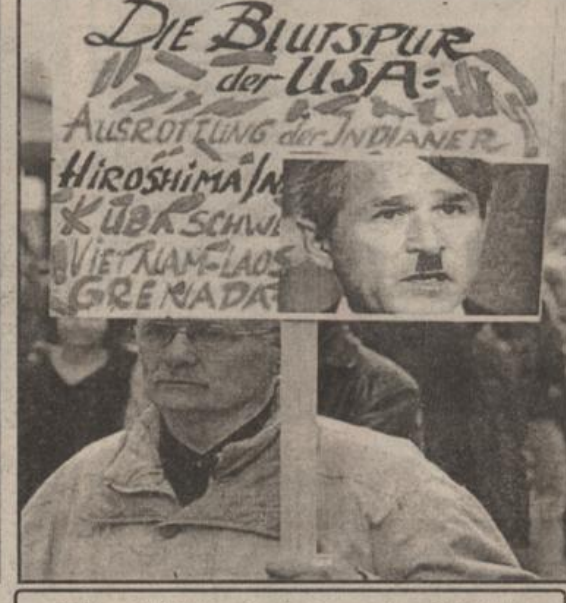


**تمثال لصدام من الرمل** : فنان هندي فطري قام بنحت تمثال للرئيس المعتقل صدام حسين على ساحل البحر وهو ملتح بعد اعتقاله من قبل قوات التحالف يوم 13 الجاري ( رويترز)


سقوط
الشيطان!!
بطل الحفر المظلمة



شرطة بنغلادش تفرق تظا...
العراق..




متظاهر ألماني يشبه بوش الصغير بالدكتاتور الألماني هتلر



عدي صدام حسين المشرف على فدائيي صدام

## على ذمة الوكالات الاجنبية

### بغداد تعلن ان فدائيي صدام دمروا خمس دبابات للقوات الاميركية

بغداد 3/25 /الساعة

العراق.وفي رسالة تلاها باسمه وزير الاعلام العراقي محمد سعيد الصحاف عبر التلفزيون العراقي، قال الرئيس العراقي متوجها الى الفدائيين : تابعوهم (الاميركيين والبريطانيين) واضربوهم حيثما وجدتموهم ، مضيفا ان فعلهم لخاسىء.وقال الرئيس العراقي: لقد كان الفدائيون يتمنون لقاء العدو ليدمروه. وها هو الآن جاءكم الى عقر داركم. واضاف : قاتلوهم واضربوهم في كل مكان واحرصوا على ان تجعلوا


وزير الاعلام السابق
ساذكر كل شيء
في مذكراتي
وزير المالية الحالي
اذا قالت
حذام
فصدقوها
وزير التجارة
نحن لانسرق
المساعدات الانسانية
وزير داخلية
النظام السابق:
انا
ضحية
خديعة كبرى

London - Wednesday - 10 December 2003 - Front Page



# رغد ورنا صدام تقرران مغادرة الأردن إلى قطر

## سيدة التقتهما أكدت أن أمهما وشقيقتهما ستنضمان لهما




ابنتا صدام رغد ورنا كما ظهرتا خلال مقابلة مع شبكة «سي ان ان» الأميركية في عمان في اغسطس (آب) الماضي (أرشيف «الشرق الأوسط»)

**لندن: معد فياض**

# ـارق عزيز يغير من المعتقل اسم ابنه الأصغر من «صدام» إلى «زهير»

## ـائب رئيس الوزراء العراقي السابق يطلب في رسائله تزويده سجائر أميركية وفرنسية

ـن: معد فياض

تكشف رسائل بعث بها نائب رئيس
ـزراء العراقي السابق طارق عزيز المعتقل
ـ القوات الأميركية في مطار بغداد
ـولي الى عائلته، انه طلب تزويده
ـجائر مارلبورو الاميركية و«غلواز»
ـرنسية وتمر وخبز وملابس اضيق من
ـلبسه التي كان يرتديها وهو في الحكم
ـني فقدت بعض الوزن».

والاهم ان الرسائل تكشف ايضا انه
ـ اسم نجله الاصغر «صدام» الى «زهير».

وقد حصلت «الشرق الأوسط» على نسخ
ـ مجموعة من هذه الرسائل قدمها نجله
ـبر «زياد» الذي يقيم الآن في العاصمة
ـردنية، عمان.

واجرت «الشرق الأوسط» معه حوارا
ـر الهاتف اكد خلاله ان محاميا فرنسيا
ـتخصصا في قضايا الدفاع عن السياسيين
ـيتولى الدفاع عن والده الذي استسلم
ـقوات الاميركية في بغداد في الرابع
ـعشرين من ابريل (نيسان) الماضي، بعد
ـبوعين من سقوط نظام صدام حسين
الذي كان طارق عزيز احد اقطابه
الرئيسيين، خصوصا في مجالي الاعلام
والسياسة الخارجية.

واضاف زياد طارق عزيز الذي كان
يعمل مديرا عاما في وزارة الاسكان
والتعمير انه قلق على والده الذي لم
يستطع اي أحد من افراد العائلة مقابلته
أو الاتصال به مباشرة. واوضح انهم
تسلموا سبع رسائل عن طريق الصليب
الاحمر قبل ان تترك هذه المنظمة العراق اثر
تفجير مقرها في بغداد بسيارة مفخخة.

واعتبر زياد عزيز ان والده غير متورط
في أية جريمة «ويجب اطلاق سراحه».

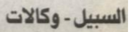
وانكر نجل نائب رئيس الوزراء
العراقي السابق وجود اية مقابر جماعية،
واصفا ما عرضته شاشات التلفزيون بانها
مقابر للجنود العراقيين الذين قتلوا خلال
انسحابهم من الكويت عام 1991، معتبرا ان
المسؤول عما يمكن ان يكون قد حدث هو
الرئيس السابق صدام حسين باعتباره
رئيس الدولة وان الوزراء لا دور لهم «غير
التنفيذ».

(نص الحوار ص 5)

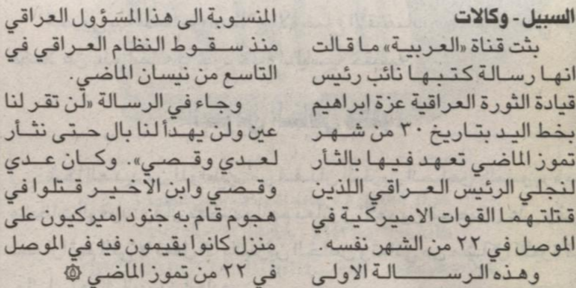


## في رسالة بخط اليد

# عزة إبراهيم: سنثأر لعدي وقصي



**السبيل - وكالات**

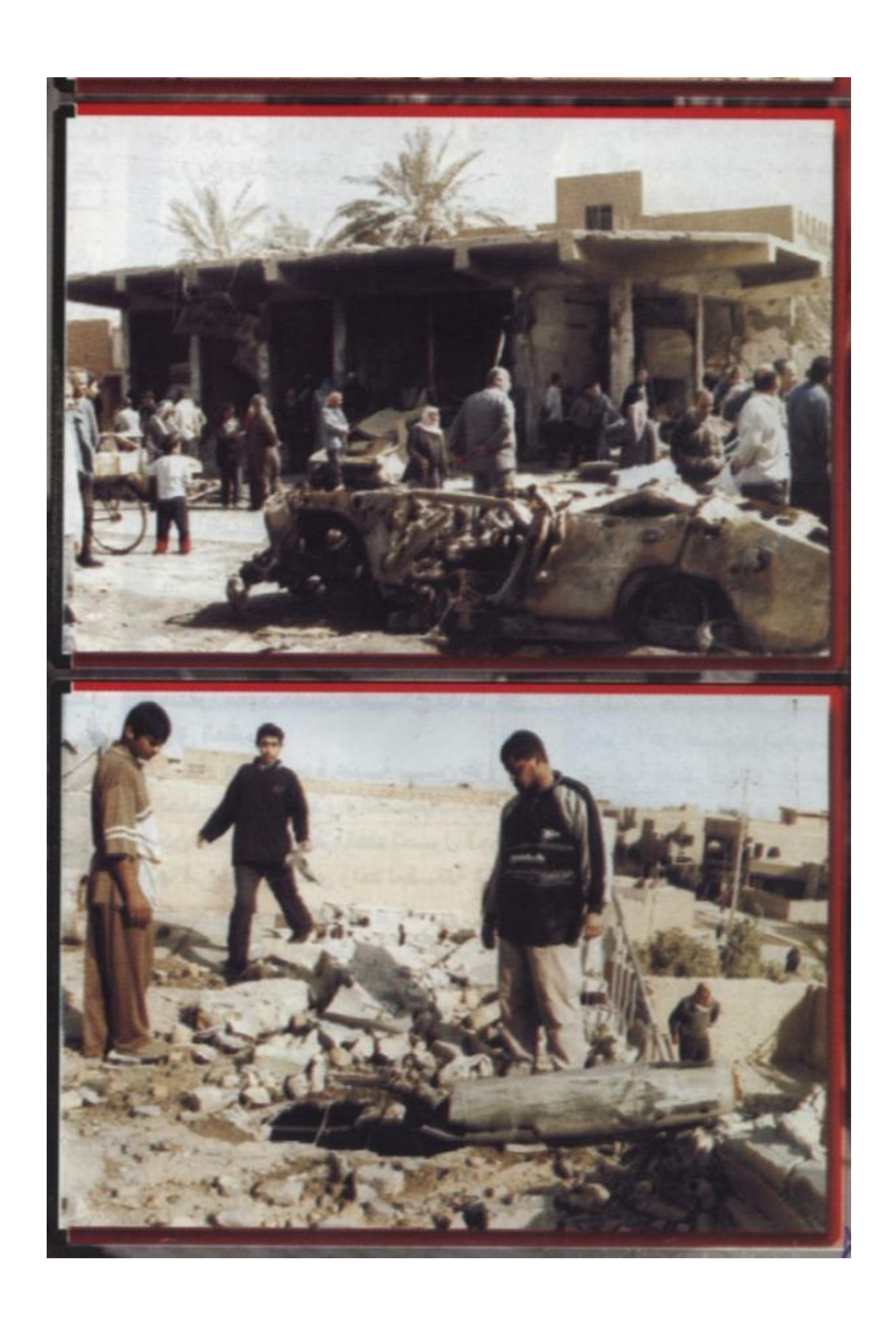


بثت قناة «العربية» ما قالت انها رسالة كتبها نائب رئيس قيادة الثورة العراقية عزة ابراهيم بخط اليد بتاريخ ٣٠ من شهر تموز الماضي تعهد فيها بالثأر لنجلي الرئيس العراقي اللذين قتلتهما القوات الاميركية في الموصل في ٢٢ من الشهر نفسه.

وهذه الرسالة الاولى المنسوبة الى هذا المسؤول العراقي منذ سقوط النظام العراقي في التاسع من نيسان الماضي.

وجاء في الرسالة «لن تقر لنا عين ولن يهدأ لنا بال حتى نثأر لعدي وقصي». وكان عدي وقصي وابن الاخير قتلوا في هجوم قام به جنود اميركيون على منزل كانوا يقيمون فيه في الموصل في ٢٢ من تموز الماضي ●






صاروخ غادر على احد المنازل
مدينة الصدر عصية على الاعداء



تبت يدا كل مجرم.. تبت يدا الصغير
بوش وتبت يدا الكذاب بلير، وتبت يدا كل



صاروخ غادر على احد المنازل

مدينة الصدر عصية على الاعداء



# تبت يدا كل مجرم

تبت يدا كل مجرم.. تبت يدا الصغير
بوش وتبت يدا الكذاب بلير، وتبت يدا كل



معركة الحواسم



**جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف**

الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر والرئيس العراقي الأسبق عبد السلام عارف اثناء اجتماع لهما بالقاهرة عام 1964 حيث اتفقا على انشاء قيادة سياسية موحدة بين البلدين تمهيدا للوحدة الدستورية بينهما (الزمان)

رمضان الملتهب كان أكثر الشهور دموية منذ بدء الحرب

# قوات الاحتلال في العراق تعترف بمقتل ١٠٠ من جنودها خلال تشرين الثاني

**السبيل - وكالات**

أكدت شبكة الـ(سي إن إن) الإخبارية الأمريكية أن الإحصاءات الرسمية تظهر أن عدد من لقوا مصرعهم من قوات التحالف (الاحتلال) العاملة في العراق خلال شهر نوفمبر/ تشرين الثاني قد بلغ ١٠٠ شخص، وهو ما يجعله أكثر الشهور دموية، على قوات التحالف، منذ بدء الحرب على العراق في مارس/ آذار الماضي.

ولا تتضمن هذه التقديرات الخسائر الإسبانية التي وقعت نتيجة لهجوم بالقذائف الصاروخية جنوب بغداد السبت، وكذلك الخسائر اليابانية نتيجة لهجوم وقع على سيارة لدبلوماسيين يابانيين في مدينة تكريت أمس الأول الأحد.

وتفيد تقارير التحالف أن ٥٠٩ من القوات المشاركة في التحالف لقوا مصرعهم منذ بداية الحرب من بينهم ٤٤٠ أمريكيا. ويبلغ عدد من لقي مصرعه منذ إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش انتهاء العمليات العسكرية الكبرى في العراق في أول مايو/ أيار الماضي ٣٣٧ شخصا حسب الاعترافات الرسمية، أي ٦٦ بالمائة تقريبا من إجمالي القتلى.

ووفقا للتقديرات المعلنة فإن ٨١ أمريكيا، و١٧ إيطاليا، وبريطانيا واحدا وبولنديا واحدا قد لقوا مصرعهم في العراق خلال شهر نوفمبر/ تشرين الثاني وحده.

وفيما يلي قائمة بعدد قتلى قوات التحالف شهريا خلال الفترة من مارس/ آذار وحتى نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٣ وفق الإحصاءات الرسمية الأمريكية التي هي موضع شك كبير جدا في مصداقيتها:



| الشهر | عدد القتلى | جنسيات الجنود القتلى |
|---|---|---|
| نوفمبر/ تشرين الثاني | ١٠٠ | (٨١ أمريكيا وبريطاني وبولندي و١٧ إيطاليا) |
| أكتوبر/ تشرين الأول | ٤٣ | (٤٢ أمريكيا، وبريطاني) |
| سبتمبر/ أيلول | ٣٢ | (٣١ أمريكيا و بريطاني) |
| أغسطس/ آب | ٤٣ | (٣٦ أمريكيا، ٦ بريطانيين، ودانيماركي واحد) |
| يوليو/ تموز | ٤٦ | (٤٥ أمريكيا، وبريطاني) |
| يونيو/ حزيران | ٣٥ | (٢٩ أمريكيا و٦ بريطانيين) |
| مايو/ أيار | ٤١ | (٣٧ أمريكيا، و٤ بريطانيين) |
| أبريل/ نيسان | ٧٩ | (٧٣ أمريكيا و٦ بريطانيين) |
| مارس/ آذار | ٩١ | (٦٥ أمريكيا و٢٦ بريطانيا) |



ت الجنود الأمريكيين بل لطرد المحتل

# كتم على خسائرها الحقيقية

## م على حجم الخسائر خوفا من خسارة انتخابات الرئاسة




الوطنية» بتكثيف عملياتها ضد الأمريكيين إذا لم يغادروا العراق «فورا».

كما أصدرت جهة أطلقت على نفسها اسم «قيادة قوات الخندق للجهاد الإسلامي» البيان الأول لها في منتصف حزيران ٢٠٠٣، وطالبت في هذا البيان الذي تم توزيعه في مساجد بغداد وشوارعها، العراقيين بعدم الاقتراب من أفراد قوات الاحتلال الأمريكي، «ليتسنى لخلاياها القيام بعملياتها الجهادية».

وتنشط حركة المقاومة العراقية الإسلامية الوطنية التي تمثل جماعة الإخوان المسلمين بصورة غير رسمية، في مناطق المثلث السني وبخاصة في بغداد والفلوجة والرمادي ⊕.

نصف مليون مومس في شوارعها !!

### مقاومتنا ليست رد فعل على استفزازا

# مقاومون عراقيون: أمريكا تت

## ٣٠٠ جندي أمريكي يقتلون شهريًا في العراق وبوش يتكتم

**السبيل - وكالات**

توعدت مجموعة تطلق على نفسها اسم «حركة المقاومة العراقية الإسلامية الوطنية» بتكثيف عملياتها ضد قوات الاحتلال الأمريكي، مؤكدة أن القوات الأمريكية تتلقى «ضربات موجعة» في العراق، وأنها تتعرض لفقدان ٣٠٠ من جنودها شهريا في هجمات المقاومة.

وقال متحدث باسم المجموعة التي تمثل المقاومين العراقيين المحسوبين على جماعة الأخوان المسلمين في العراق، في شريط فيديو بثته قناة الجزيرة القطرية أول أمس الأحد: «إن المقاومة لم تنشأ كرد فعل على استفزازات الجنود الأمريكيين وقلة الخدمات، وإنما هي مقاومة لطرد المحتل عن مبدأ وعقيدة».

وأوضح المسلح الذي ظهر في الصورة مع مجموعة من المسلحين الملثمين والمرتدين زيا عسكريا أخضر اللون أن هذه المقاومة «ولدت من عقيدتنا الإسلامية الصافية (...) وأنها تمثل كافة فئات العراقيين المسلمة».

وقال في بيان تلاه: «إن أهم ما تميزت به المقاومة العراقية وما حققته في هذه الفترة القصيرة أنها حولت العدو من وضع الهجوم إلى وضع الدفاع، كما أنها بضرباتها المتنوعة والمتكررة حرمت المحتل من تثبيت قدمه على أرض العراق».

ووصف المسلح الضربات التي توجهها المقاومة لجنود الاحتلال بأنها موجعة، مشيرًا في هذا السياق إلى «اعترافات المسئولين الأمريكيين بارتفاع نسبة القتلى الأمريكيين جراء عمليات المقاومة.

وأضاف المسلح أن «العدو يمارس تكتمًا إعلاميًا رهيبًا بسبب الخسائر التي يتكبدها يوميا خوفًا من أن يخسر الرئيس الأمريكي جورج بوش دورة الانتخابات المقبلة، وخوفًا على ساسة البيت الأبيض من حنق الرأي العام الأمريكي».

ودعا البيان «أبناء الأمة الإسلامية والشرفاء في العالم» إلى مناصرة المقاومة العراقية «معنويا بدعائهم ومباركتهم»، مشيرًا إلى أنه لا ينقصها الرجال ولا السلاح.

ولقي أكثر من ٦٠ جنديا أمريكيا و٨ بريطانيين ودانماركي واحد وحارس أمن نيبالي مصرعهم في هجمات لمقاومين عراقيين منذ الأول من ايار ٢٠٠٣ حتى الآن وفق اعتراف المسؤولين الأمريكيين، لكن مصادر محايدة اكدت أن حجم الخسائر الحقيقية أضعاف هذا العدد.

يذكر أنه خلال الأسابيع الماضية أعلنت أكثر من جهة في العراق أنها تقوم بأعمال مقاومة ضد قوات الاحتلال الأمريكي، ويتم الإعلان عن تلك الأعمال عن طريق أشرطة فيديو ترسل إلى القنوات التلفزيونية أو عن طريق توزيع بيانات على المواطنين العراقيين. و هددت جهة تطلق على نفسها اسم «جبهة الفدائيين



القائد يرأس اجتماعا لكبار المسؤولين اثناء العدوان



القائد يلتقي الرفيق قصي صدام حسين ووزير الدفاع



القائد رعاه الله يرأس اجتماعا لعدد من المسؤولين واعضاء قيادة قطر العراق للحزب
تدارس الوضع في جبهات القتال وسير العمليات العسكرية وبطولات العراقيين



# THESE PEOPLE ARE WANTED FOR CRIMES AGAINST THE IRAQI PEOPLE.

**Don't be afraid to report any information. Your identity will be protected. A monetary reward will be provided based on information leading to the apprehension of any of the individuals below.**

**Baghdad: 778-4076    Outside of Baghdad: 01-778-4076    Outside of Iraq: 01-778-4076**

**Email: tips@orha.centcom.mil**


Izzat Ibrahim al-Duri


Ibrahim Ahmad abd al-Sattar Muhammad 'Ayyash al-Tikriti


Ali Hasan al-Majid


Abid Hamid Mahmud al-Tikriti


Uday Saddam Hussein al-Tikriti


Qusay Saddam Hussein al-Tikriti


Saddam Hussein


Hani' Abd al-Latif Tilfah al-Tikriti


Aziz Salih al-Numan


Muhammad Hamza Zubaydi


Kamal Mustafa Abdallah Sultan al-Tikriti


Barzan Abd al-Ghafur Sulayman Majid al-Tikriti


Muzahim Sa'b Hasan al-Tikriti


Sayf al-Din Fulayyih Hasan Taha al-Rawi


Rafi Abd al-Latif Tilfah al-Tikriti


Tahir Jalil Habbush al-Tikriti


Hamid Raja Shalah al-Tikriti


Latif Nusayyif Jasim al-Dulaymi


Abd al-Tawab Mullah Huwaysh


Taha Yasin Ramadan al-Jizrawi


Rukan Razuki Abd al-Ghafar Sulayman al-Majid al-Tikriti


Jamal Mustafa Abdallah Sultan al-Tikriti


Mizban Khadr Hadi


Taha Muhyi al-Din Maruf


Tariq Aziz


Walid Hamid Tawfiq al-Tikriti


Sultan Hashim Ahmad al-Tai


Hikmat Mizban Ibrahim al-Azzawi


Mahmud Dhiyab al-Ahmad


'Ayad Futayyih Khalifa al-Rawi


Zuhayr Talib Abd al-Sattar al-Naqib


Amir Hamudi Hasan al-Sadi


Amir Rashid Muhammad al-Ubaydi


Husam Muhammad Amin al-Yasin


Muhammad Mahdi al-Salih


Sab'awi Ibrahim Hasan al-Tikriti


Watban Ibrahim Hasan al-Tikriti


Barzan Ibrahim Hasan al-Tikriti


Huda Salih Mahdi 'Ammash


Abd al-Baqi Abd al-Karim al-Abdallah al-Sadun


Muhammad Zimam abd al-Razzaq al-Sadun


Samir Abd al-Aziz al-Najm


Humam Abd al-Khaliq Abd al-Ghafur


Yahya Abdallah al-Ubaydi


Nayif Shindakh Thamir al-Dhuhi


Sayf al-Din al-Mashhadani


Fadil Mahmud Gharib "Gharib Muhammad Fazel al-Mashaikhi"


Muhsin Khadr al-Khafaji


Rashid Taan Kazim


Ugla Abid Saqar al-Kubaysi "Saqr al-Kubisi Abd Aqala"


Ghazi Hamud al-Ubaydi


Adil Abdallah Mahdi


Husayn al-Awadi


Khamis Sirhan al-Muhammad


Sad Abd al-Majid al-Faysal

IZ C138r



ن 1424هـ . 6 نوفمبر (تشرين الثاني) 2003 . السنة السادسة والعشرون . العدد 9109 ront Page No. 1 Vol 26 No. 9109

# ات كنفاني لـ الشرق الأوسط:
# راءتها للأوضاع العراقية خاطئة

بريمر (يمين) وجلال طالباني اثناء افطار رمضاني في بغداد أول من امس (أ.ب)


الصورة تتكلم


الصورة بألف كلمة
MP


الصورة تتكلم



وفمبر (تشرين الثاني) 2003 ـ السنة السادسة والعشرون ـ العدد 9116

ondon - Thursday - 13 November 2003 - Front Page No. 1 Vol 26 No. 9116

# ية يوقع 17 قتيلاً إيطاليا و8 عراقيين

## الإيطالية والمصادر الطبية تحدثت أيضا عن 59 جريحا عراقيا

عناصر من الشرطة العراقية وفريق اسعاف وانقاذ ينتشرون حول المقر المدمر للقوة الايطالية امس (ا.ف.ب)

## واشنطن استدعت بريمر بعد تقرير «قاتم» من «سي. آي. إيه»

### رصاص أميركي على سيارة بحر العلوم



...امة تصدر عن هيئة علماء المسلمين في العراق

١٢ صفحة السعر: ٢٥٠ دينارا

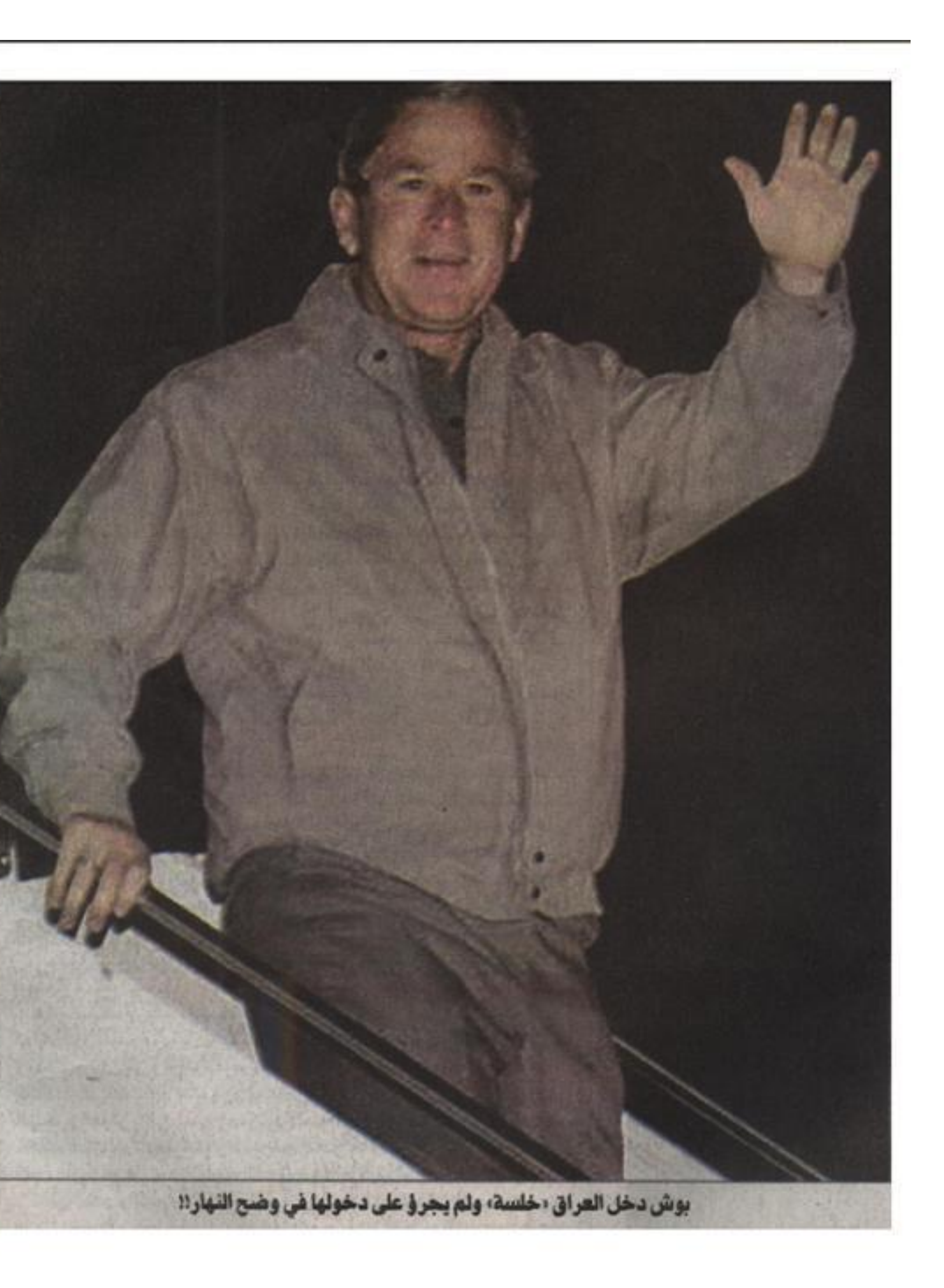
## عربات تجرها الحمير

من جهة أخرى ذكرت جهات مطلعة أن وزارة النفط قد تعرضت هي الأخرى لهجوم صاروخي موضحا أن الدخان بدأ يتصاعد وأن الهجوم على وزارة النفط لم يسبب أي إصابات لأن المكاتب خالية في يوم الجمعة.

من جانب آخر عثرت الشرطة العراقية على عربة محملة بالصواريخ بعد ساعات من استخدام عربتين مماثلتين تجرها حمير في هجوم بالصواريخ على وزارة النفط وعلى فندق فلسطين في وسط بغداد وشاهد مراسل وكالة رويتر في منطقة قريبة من السفارتين الإيطالية والتركية جنوداً أمريكيين ورجال شرطة عراقيين وهم يزيلون عدداً من الصواريخ من العربة.

الحمار الذي استخدم لضرب مجمع الوزارات

## موجة ثانية من التفجيرات تضرب اسطنبول



بوش دخل العراق «خلسة» ولم يجرؤ على دخولها في وضح النهار!!

London - Saturday - 29 November 2003 - Front Page No. 1 Vol 26 No. 9132

# القصة الكاملة لترتيبات رحلة بوش إلى بغداد

# الرئيس تسلل من مزرعته بسيارة عادية وبدل طائرته في واشنطن



الرئيس بوش يتوسط عددا من اعضاء مجلس الحكم
هم (من اليسار) موفق الربيعي والدكتورة رجاء الخزاعي وجلال طالباني واحمد الجلبي (رويترز)

بغداد: مايك آلن وجودي كين *

## رايس: العراقيون

## خبر وصوره

# بوش: مصممون على البقاء في العراق للقتال والنصر



قال الرئيس الامريكي جورج بوش ان الولايات المتحدة وحلفائها مصممون على البقاء في العراق للقتال والنصر.

وأضاف بوش في خطاب اذاعي ان من يقف وراء الهجمات الأخيرة التي شهدها العراق هم الموالون للرئيس العراقي السابق صدام حسين الذين يسعون لاستعادة السلطة والمستاؤون من الحريات الجديدة في العراق.



تصدر عن حركة الدستور للتحالف الملكي

## بول بريمر..

# سنعجل بعملية نقل السلطة الى العراقيين

قال الحاكم المدني الامريكي في العراق بول بريمر ان سلطة التحالف سوف تعجل من عملية نقل السلطة الى العراقيين.

وأضاف بريمر في مؤتمر صحفي انه سيتم التعجيل بتدريب افراد الجيش العراقي الجديد والشرطة العراقية لمكافحة الارهاب وتحقيق الأمن.

وأوضح ان الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين حي برزق وهو في العراق مشيراً الى ان عملية القاء القبض عليه او قتله تشكل أولى اولويات سلطات التحالف. وقال انه من المهم ان يكون للعراقيين دور مركزي في الدفاع عن العراق لأنه بلدهم ومستقبلهم موضحا انه ومن أجل تحقيق هذا الهدف ستضاعف عدد قوات الدفاع المدني العراقي بحلول شهر مارس وستوزع العراقيين



المجندين لحماية الحدود والبنى الحيوية.

وقال انه سيكون لدينا مائتي الف عراقي في هذه القوات مكلفين بتوفير الأمن عند حلول شهر ايلول المقبل.



## قرار الغاء عقوبة الاعدام

قررت سلطة الائتلاف المؤقتة في العراق تعليق العمل ببعض أحكام قانون العقوبات ومن ضمنها عقوبة الإعدام. وجاء في حيثيات القرار الذي صدر في جريدة الوقائع العراقية واتخذ درجة القطعية ان إصدار هذا القرار يأتي إدراكا من قيام النظام السابق باستخدام أحكام معينة من قانون العقوبات كأداة للقمع منتهكا بذلك معايير حقوق الإنسان المعترف بها دوليا. وجاء في القرار تعلق عقوبة الإعدام في كل حالة





العراق | العدد الثاني | الاثنين ١٢ جمادي الثانية ١٤٢٤هـ | ١١ آب ٢٠٠٣م

لا زالت القوات الأمريكية تغوص في المستنقع العراق



# صفقة بين مجلس الحكم والـ

البينة/خاص

كثر الحديث في الشار
مجلس الحكم الانتقالي
المصادر ان اهم بنود
اولاً: يتعهد مجلس الـ
دائمة في العراق.
ثانياً: هيكلة النظام الـ
واضح للاغلبية الشيعـ
ثالثاً: تعويم مفهوم دير
الدستور العراقي المقتـ
رابعاً: احداث توازن غـ
القـومية وتحـويلهـ
وهو غير متفق عليه.
صح مثل هذا الامر .. فـ
الاغلبـية الشـيعية في
وثقتنا بـهم على جراحنـ
اين هو الجلبي والجعفـ
العلوم .. اطفاء الكهربا



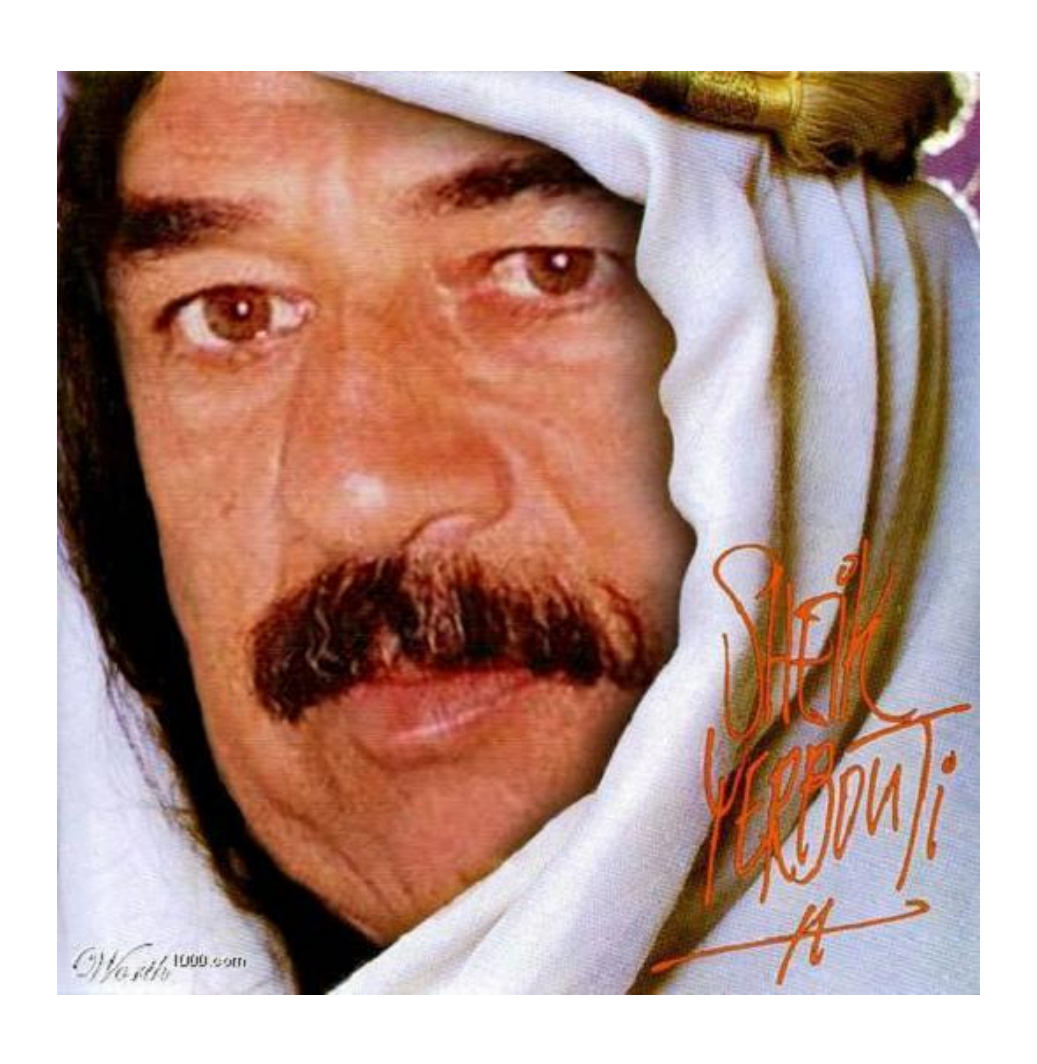
# استقبال حافل في أنقرة لوفد مجلس الحكم بعد زيارة ناجحة لطهران

طالباني متوسطا وفد مجلس الحكم يتحدث الى الصحافة بعد الاجتماع مع اردوغان في انقرة امس (اب)



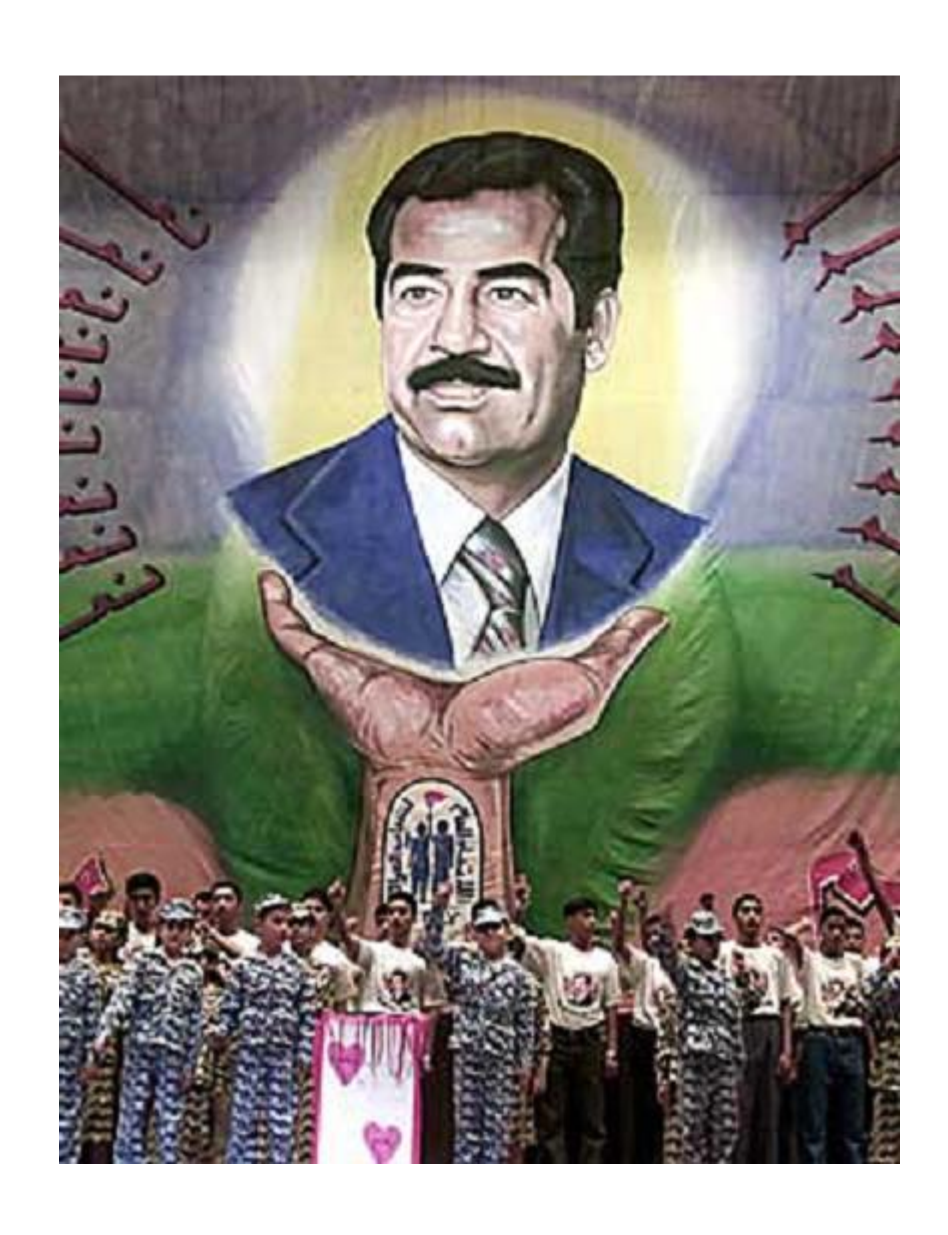





SHEIK
YERBOUTI
Worth1000.com

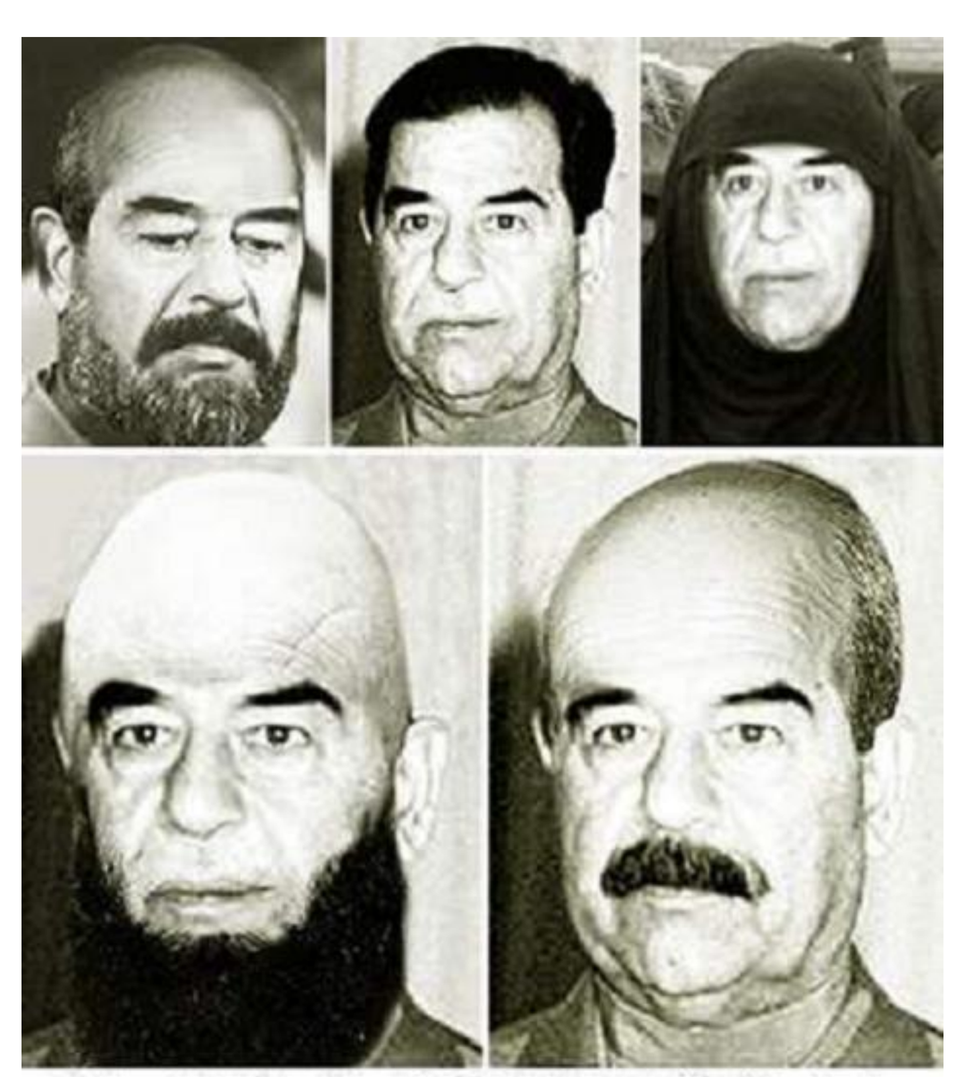










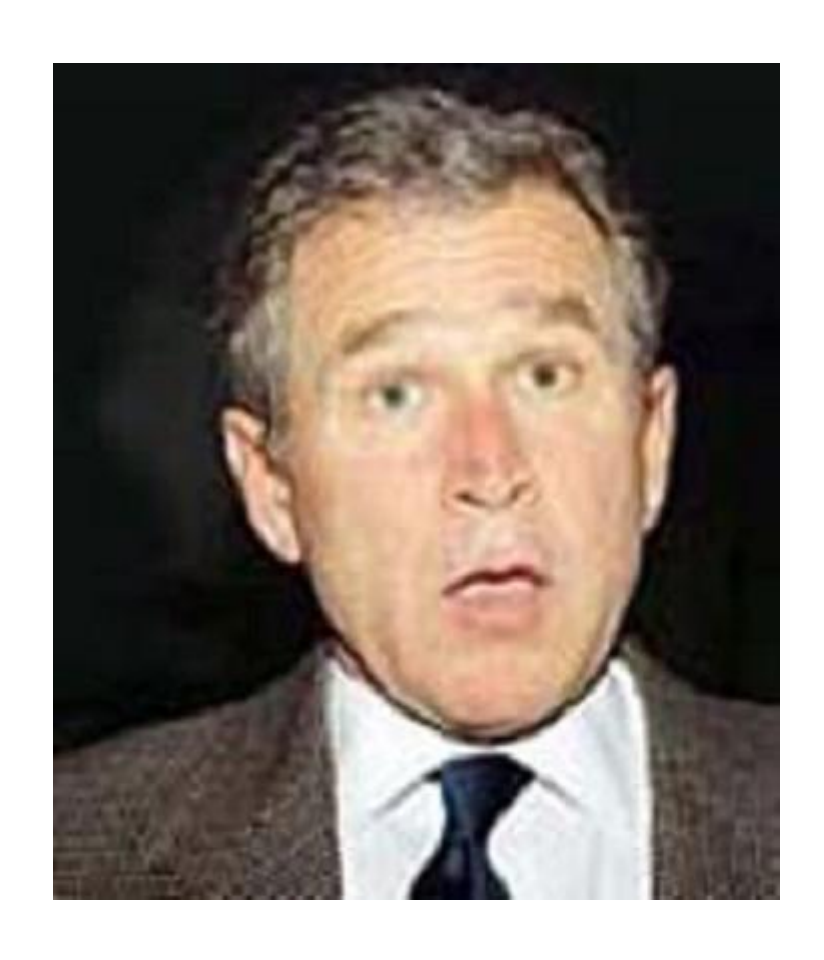


وجوه صدام التنكرية المتعددة: من التجول كامرأة بعباءة في الشارع، الى ما يشبه المتقين، أي بلحية مع بعض الصلع على الرأس، أو أصلع بالمرة مع لحية سوداء قاتمة تغطي معظم الوجه. أو يمكنه حلق شاربيه، أو الابقاء على الشارب مع صلعة تخفي معظم معالمه الرئيسية وسماته [مونتاج يوسف سرور «الشرق الأوسط»]



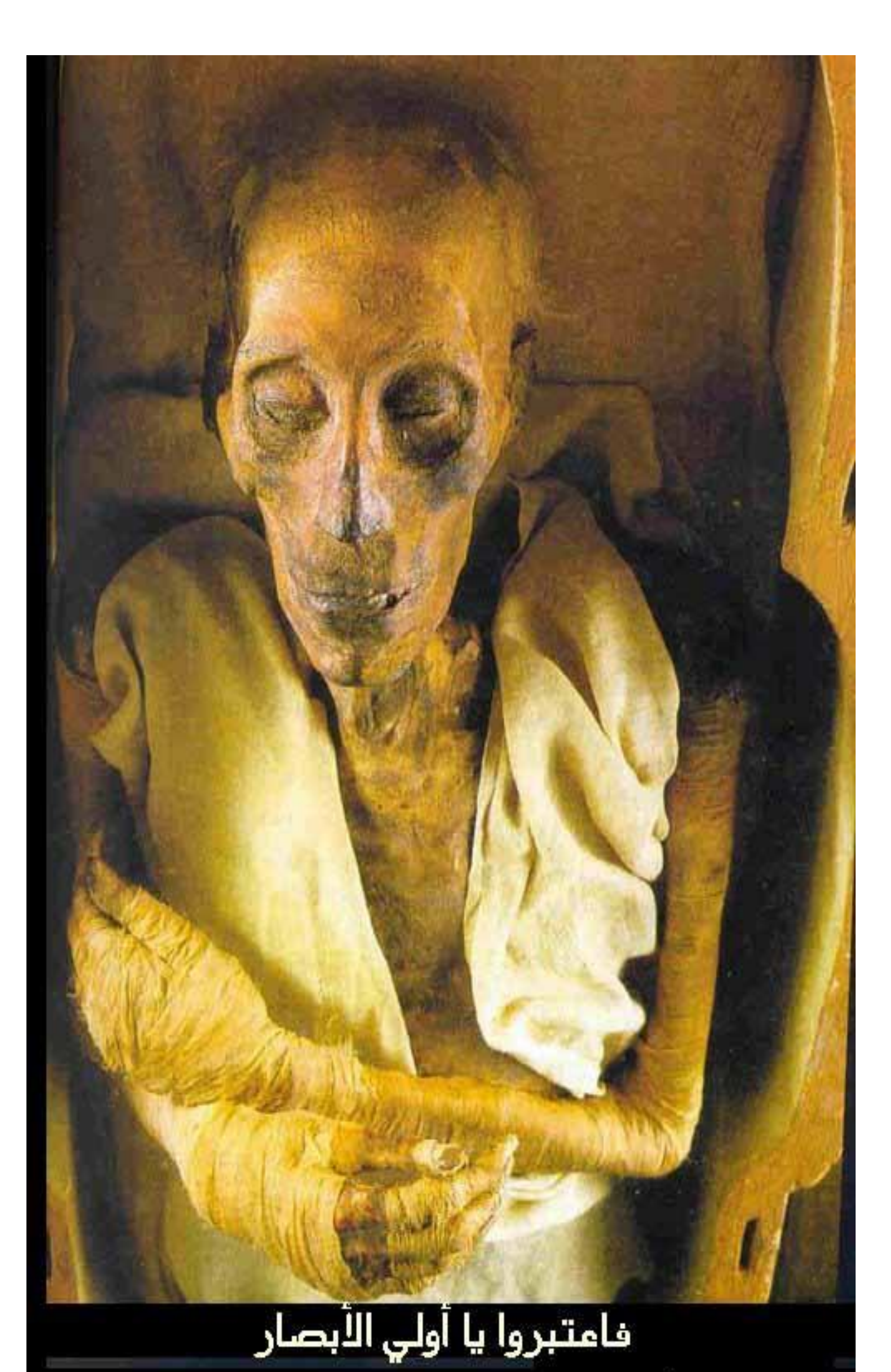

(CNN)











فاعتبروا يا أولي الأبصار
الْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً

## أهم محاور وأفكار كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة)

- الغزو الأمريكي والحرب النفسية الإعلامية ومحاولات شل الإعلام المحايد. وفشل نظرية الحرب الخاطفة وخطة الصدمة والترويع. الإعلام الأمريكي يحاول النيل من الصمود البطولي.

- استخدام سلاح نووي تكتيكي في المطار وأسلحة دمار شامل وقنابل صوتية ومنفلقة وثقيلة على الأحياء السكنية في خطة الصدمة والترويع البديلة واحتلال بغداد.

- صدام يصرّح ليلة سقوطه في آخر كلمة له: أن الشعب قاتل وصبر ولكن حزبه لم يقاتل.

- إن السلب والنهب (والفرهود) من تدبير الغزاة وأذنابهم.

- مصير أصحاب الفيل ومغول بغداد هو ذاته مصير المحتلين في كل عصر وحين، وهم زبد عاصف سرعان ما يذهب جفاء ويمكث الحق في الأرض ولو بعد حين.

# هذا الكتاب

إنه مراجعة عامة لآثار الحرب العراقية وتداعياتها عراقياً وأمريكياً وتقويم عام للحرب العاصفة..نقدمه للقارئ الحصيف خدمة لعراقنا الجريح الذي تم تدميره وتهديم بنيته التحتية باسم الحرية والتحرير ونصرة الجيران الذين جار عليهم النظام العراقي السابق..

وهو مكرّس لهدف رئيسي من بين أهدافه العديدة..ألا وهو إسناد العراق وكشف الزيف في إدارة الصقور لإسقاط رئيسها، فهل سيسقط بوش في انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة؟..أم انه سيسقط فقط عربياً وأوربياً وعالمياً (خارج أمريكا) لما اقترف هو وأبوه من إرهاب ومظالم وتجاوزات بحق العراق والعرب والعالم وانتهاك للشرعية والقانون الدولي؟!.

إنه نصر حقيقي للعراق إذا ما تم سقوط الرئيس بوش وجاء الديمقراطيون إلى الحكم مهما كان توجههم وفق مفهوم غلبت الروم القرآني.

كما يحتوي هذا الكتاب على المحاور التالية:

١- صدى الحرب العاصفة في الإعلام العربي والعالمي..

٢- تقويم وتوثيق ومراجعة ميدانية وإحصائية وإعلامية لما جاء في كتاب (تحت رماد الحرب العاصفة) الذي صدر في أعقاب الحرب العراقية.

٣- يعرض الكتاب بعض التفاصيل عن الأزمة السياسية التي يواجهها بوش وبلير والفضائح التي ظهرت بعد احتلال العراق وتداعياتها على الانتخابات القادمة.

٤- يستعرض ملف اعتقال صدام ومقتل ولديه وأثره على الوضع السياسي في العراق والعالم.

٥- يحتوي على أكثر من ١٥٠ صورة وخارطة معبّرة عن مادة الكتاب وفصوله.

٦- تحليل وتقويم لسياسة الردع الأمريكية ومدى نجاحها أو فشلها أمريكياً وعالمياً.

وغير ذلك من المواضيع والملفات ذات الصلة بعراق ما بعد صدام والتوجه الأمريكي في الشرق الأوسط.